

1436 هـ - 2015 م

تفريغ دورة

الفرق الإسلامية

للشيخ:

أبي قتادة عمر بن محمود

بسم الله الرحمن الرحم

تفريغ دورة

تاريخ الفِرَق

للشيخ/ أبي قتادة عمر بن محمود (حفظه الله)

مُؤسَّسَة التَّحَايَا

قِسْمُ التَّفْرِيغِ وَالنَّشْرِ

سياسية التفريغ

انتهجنا في هذا التفريغ سياسة التصرف في الكلام دون الإخلال بالمعنى؛ وذلك بغرض جعل الكلام بأسلوب الكتابة ما أمكن، وذلك عبر:

1. تغيير الكلمات العامية لكلمات عربية فصحى.
2. تغيير صياغة الجمل للتوافق مع القواعد النحوية.
3. تغيير صياغة الجمل لتكون بلغة الكتابة ما أمكن –وكأن الشيخ هو الذي كتب الكتاب–؛ سواء بالتقديم أو التأخير أو الحذف أو الزيادة.
4. حذف الكلام المكرر، وهذا يكثر في المحاضرات؛ وكذلك حذف الكلام غير الواضح.
5. أضفنا عناوين جانبية لتسهيل تصفح الكتاب.

سياسية التخريج

1. اعتمدنا في المقام الأول في تخريج الأحاديث على موقع الدرر السنية الحديثية وعلى أحكام الشيخ الألباني.
2. لم نخرج الأحاديث المكررة واكتفينا بالتخريج الأول لها.
3. وضعنا النصوص الصحيحة للحديث في ملف التفريغ بدلًا من المعنى أو اللفظ القريب لها.

الفهرس

1

فضل النبي –صلى الله عليه وسلم– وواجبنا تجاهه

بسم الله الرحمن الرحيم، إن الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلله فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى صحبه الغر الميامين وعلى من تبعهم بإحسان وهدى إلى يوم الدين، جعلنا الله –عز وجل– وإياكم منهم. آمين.

فقد كلف الله –سبحانه وتعالى– رسوله محمدا ﷺ بحمل هذه الرسالة الجليلة الشريفة –رسالة الإسلام– إلى الناس كافة، وإن من يحمل مثل هذه الرسالة لا بد أنّ له من الخصائص ما يتميز به عن غيره من بقية الخلق؛ فالرسالة اصطفاء بإجماع أهل الملة؛ ولم يشذ عن هذا القول إلا بعض الصوفية حيث زعموا أن الرسالة إنما تحصل بكثرة الاجتهاد والطاعة، ومن تأثر بهم من فلاسفة الإشراق، فإنهم يزعمون أن المرء إذا صفى باطنه وجاهد نفسه يمكن أن يحصل على ما حصل عليه الأنبياء، وهذا كفر بالله –عز وجل–، فإن المرء مهما جاهد نفسه وبَذَل في إصلاحها فإنه لن يصل إلى ما وصل إليه الأنبياء، لا بالحصول على المعارف والعلوم، ولا بالحصول على الصلاح والتقوى.

وفُتِن الإمام ابن حبان أبو حاتم المفتي صاحب الصحيح (صحيح ابن حبان) المسمى (التقاسيم والأنواع)، هذا الإمام إمام جهبذ عظيم من أجلّة عُلماء الحديث، صار إليه عِلم الحديث وفَنُّه، وكتب فيه الكتب، منها المشهور بالصحيح (صحيح ابن حبان)، وكتب في الرجال؛ فله الكتاب الفرد الذي لا يشبهه كتاب لكثرة ما فيه من نقد وعلم وهو (الثقات)، وله كتاب آخر كتاب (المجروحين)، وله كتاب يسمى (بروضة العقلاء) فيه من الآداب وأخبار الأدب والتربية ما يحتاج إليها السالك لربه.

فمرة قال في بعض دروسه: "إنما النبوة العلم والعمل"، فظن بعضهم أن المقصود بقولته هذه هو عين ما تقوله فلاسفة الإشراق الذين حكم أهل العلم بكفرهم، كابن سينا في (المباحث المشرقية) وكذلك الفارابي وغيرهم؛ فهؤلاء زعموا أن الأنبياء أُعطوا ما أُعطي لفلاسفة الحكمة من القدماء كأرسطو وسقراط وأفلاطون وأشباههم.

فَفُتِن الفتنة العظيمة؛ ولا حاجة لذكر تاريخها ففيها الخطأ على الإمام، فهو إنما قال أن النبوة هي مقامٌ سامٍ في العلم وهي مقام سامٍ في العمل، والقصد أن النبوة اصطفاء.

لقد نظر الله إلى قلوب الخلق فوجد أن أصفاها وأعلاها من اختارهم للرسالة، وهذا الباب في القضاء والقدر هو الذي قال عنه ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما-: "الناظر في القدر كالناظر في الشمس؛ كلما ازداد نظره ازداد تحيرًا".

بمعنى أن الله هو الذي خلق؛ فكيف يكون هذا القلب بأصله طاهر وهذا القلب بأصله فاسد؟ هذا ما لا ندريه، وهو سر القدر الذي قال عنه النبي ﷺ: (إذا ذُكر أصحابي فأمسكوا، وإذا ذُكر القدر فأمسكوا)[1]، فهناك علم في القدر يجب على المسلم أن يعلمه، وهناك علم يجب عليه أن يُسلِّم لربه فيه.

فنظر الله إلى قلوب الخلق فوجد أصفاها وأعلاها من اختارهم للرسالة، وكان رسولنا ﷺ هو خيرهم وهو أفضلهم وهو إمامهم، وقد حصلت أفضلية النبي ﷺ على الأنبياء بالأمور التالية:

أولًا: بالنص؛ إذ أن النبي ﷺ قال: (أنا سيّد ولد آدم ولا فخر)[2]، والأنبياء من ولد آدم، ولذلك مما ينبغي أن يُرد على بعض الصوفية قول بعض زنادقتهم كأبي يزيد البسطامي: "قدمي هذه على رقبة كل ولي"، وهذا باطل؛ فالأنبياء أعظم الناس قدرًا وهم سادة الأولياء، ولم يشذ عن هذا إلا الفلاسفة -حيث زعموا أن الأنبياء هم أنبياء العامة والفلاسفة هم رسل الحكمة الخاصة-، والصوفية كقول صاحبهم ابن عربي الطائي، قال كما في كتاب (فصوص الحكم) -والفصوص جمع فص وهي الدرة التي توضع فوق الخاتم-، وهو كتاب الزندقة الذي زعم أنه أخذه من رسول الله ﷺ عيانًا ومكاشفة وليس منامًا:

مقـــــامُ النّبـــــوة فـــــي بـــــرزخٍ   فُويـــــق الرســـــولِ ودون الـــــولي

---

[1] صححهُ الألباني في صحيح الجامع: (545).

[2] صححهُ الألباني في صحيح الترغيب: (3643).

"مقام النبوة في برزخ" أي وسط، "فويق الرسول ودون الولي" أي النبي فوق الرسول ولكنه دون الولي، وهذا كفر.

فالنبي ﷺ حصل له الأفضلية على كل الخلق ومنهم الأنبياء بالنص؛ كقوله ﷺ: (أنا سيد ولد آدم ولا فخر)، لكن هناك نصوص قد تشكل على بعضهم كقوله ﷺ: (لا تفضلوني على يونس ابن متى)[3]، فما معنى هذا؟

معناه أنه لا ينبغي أن يكون هذا التفضيل مجال الخصومة بينكم وبين غيركم، فالنصارى يفضلون عيسى –هذا قديمًا واليوم يسبونه ويلعنونه عليهم لعائن الله–، واليهود يفضلون موسى؛ فربما إذا ناقشته سيؤدي هذا إلى أن يسب النبي ﷺ وأن يشتمه، وهذا من باب قوله –عز وجل–: {وَلَا تَسُبُّوا الذِين يَدْعُونَ مِنْ دِونِ الله فَيَسُبُّوا الله عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ} [النساء/32].

فالنبي ﷺ أفضل من كل الأنبياء، لكن حين التخصيص يكون هناك الفخر الذي يجر إلى الجهل، وهذا الذي نهى عنه النبي ﷺ.

ثم حصلت له الأفضلية **بالواقع**؛ عندما أُسري به ﷺ أمَّ بالأنبياء ببيت المقدس –وهذه مزية أن يكون هو إمامهم–، وتقدّم إلى مكان لم يتقدم إليه أي نبي آخر.

وكذلك قال ﷺ: (لو نزل موسى فاتبعتُموهُ وتركتُموني لضلَلْتُمْ ، أنا حظُّكم منَ النبيينَ . و أنتم حظي منَ الأمَمِ)[4]، فالأنبياء لو كانوا موجودين بعصره لوجب عليهم أن يتّبعوه، وحتى وهم في غيبٍ عنه –فهم جاؤوا قبله– فقد أوجب الله عليهم الإيمان به.

فرسولنا ﷺ هو سيد الأنبياء، وهذه الأمة هي خير الأمم، ورسولنا ﷺ حصلت له الأفضلية، وله المقام العظيم، وحصلت له الخصائص على الأنبياء، وحصلت له خصائص على بقية البشر؛ فهو ﷺ له من الأسماء ما لم تكن لغيره، كقوله ﷺ: (أنا الحاشر)[5]، أي يُحشر الناس عنده، وهو العاقِب أي يُحشر الناس على عقبه، وهو الذي يحمل لواء

[3] قال الألباني في صحيح شرح الطحاوية: (لا أعرف له أصلا مرفوعاً).
[4] حسنهُ الألباني في صحيح الجامع: (5308).
[5] صححهُ الألباني في صحيح الجامع: (2189).

الحمد يوم القيامة، ولواء الحمد هو أعظم الألوية يوم القيامة، أي لواء حمد الله –عز وجل– وشكره –سبحانه وتعالى– والثناء عليه، فرسولنا ﷺ هو حامل لواء الحمد يوم القيامة.

وتحصل له المرتبة العظيمة؛ وهي مرتبة الشفاعة التي يدفعها الأنبياء عن أنفسهم، فكل نبي يذكر ذنبًا، ولا تتصوروا أن ذنوب الأنبياء كذنوب بقية الخلق؛ إنما هي ذنوب في مقاماتهم، كما قال بعضهم: "حسنات الأبرار سيئات المقربين". فإبراهيم –عليه السلام– يذكر ذنبًا، ولا حاجة للتطويل لذكر ذنبه، وموسى يذكر ذنبًا، وعيسى يدفعها يقول: "لست لها" ولا يذكر ذنبًا، ويقوم لها المصطفى ﷺ، فيسألونه أن يشفع لهم عند ربهم، فيقول: (أنا لها، أنا لها)، ويلقي نفسه ﷺ تحت قوائم العرش ساجدًا ويدعو ربه، فيفتح الله –عز وجل– عليه من المحامد ما لم يفتحه على إنسي قبله ولا إنسي بعده، فيحمد الرب، والله –عز وجل– في ذلك اليوم يغضب غضبًا لم يغضبه قط، فيبقى رسولنا ﷺ حامدًا، حتى يُرْضي ربه ويأذن بحساب الخلق، فهذا من المقام الخاص لرسولنا ﷺ.

ثم خُصّ هذا النبي –عليه الصلاة والسلام– بخصائص خاصّة عن بقية الأنبياء بالشرائع له؛ ومنها سقوط تكاليف كانت تكون على الأمم السابقة من قبيل العذاب عليهم؛ كعدم قبول توبة الإسرائيلي اليهودي حتى يقتل نفسه، ومنها عدم قبول إسقاط النجاسة عن الثوب حتى يخرقه ويزيل قطعة منه، فهذه الإِصَر والعذاب والمشقّة التي كانت على الأمم السابقة أسقطها الله عن هذه الأمة بفضل رسولنا ﷺ.

وكذلك أُحلت له الغنائم، يقول ﷺ: (لم تحل الغنائم لقوم سود الرؤوس قبلكم)[6]؛ وانظروا إلى قوله: (سود الشعر)، وهذا لفظ غريب في الحديث يدل على أنّ الشُقْر –أصحاب الشعر الأشقر– ليس عندهم أنبياء، فقال: (لم تحل الغنائم لقوم سود الرؤوس قبلكم)، فأُحلت الغنائم، وكانت الغنائم فيما مضى من شرائع الأنبياء السابقين يجمعها النبي فتنزل نار من السماء فتحرقها.

وكذلك جُعلت للنبي ﷺ الأرض مسجدًا وطهورًا؛ فحيث ما حضر المسلم يجد طهوره ويجد مكان صلاته، واليهود كان الواجب عليهم أن لا يصلُّوا إلّا في خيمة الاجتماعات، ثم لما بُني الهيكل كان الواجب أن يصلوا في الهيكل، وأن يُقدّموا مُحرقاتهم فيه، وهكذا.

---

[6] صححهُ الألباني في صحيح الترمذي: (3085).

وكذلك نُصر ﷺ بالرعب مسيرة شهر؛ قذف الله -عز وجل- في قلوب أعدائه الرعب منه ومن أصحابه، فكان إذا نزل بساحة قوم ساء صباح المنذرين، كما صرخ اليهود لما رأوا جيشه: (محمد والخميس محمد والخميس)، الصبح هذه اللحظة المباركة التي جعلها الله -عز وجل- ميقات المغفرة وميقات فتح السماء وميقات مدّ الرب -عز وجل- يده ليتوب مسيء الليل، وهي ميقات حركة خيل الجهاد {والعَادِيَات ضَبْحًا * فالموريَات قَدْحًا * فالمغِيرَاتِ صُبْحًا} [العاديات1/3]، فهي تغير صبحًا، والنبي ﷺ قال: (إنا إذا نزلنا بساحِ قوم فساء صباح المنذرين)[7].

إذن مقام النبي ﷺ مقامٌ عظيم، والله -عز وجل- اختصه على بقية الخلق بخصائص، وعلى بقية أمته بخصائص، وقد ألّف بعض أهل العلم كُتبًا في هذا، وإن كان قد أَكثروا فيها من الأحاديث الضعيفة؛ كما فعل القاضي عياض في كتابه (الشِّفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ)، والسيوطي في كتابه (الخصائص الكبرى) وغيرهم.
و منهم من كَتَبَ في دلائل النبوة، وذكر فيها بعض خصائصه، مثل أبي نعيم الأصفهاني كتب كتابًا في دلائل نبوة النبي ﷺ، وكتب البيهقي كتابًا جليلًا عظيمًا واسعًا في دلائل النبوة، وذكر فيها ما اختص الله -عز وجل- به رسوله ﷺ.

القصد أيها الإخوة، أن هذا النبي -عليه الصلاة والسلام- عظيم القدر، جليل الشرف، اختاره الله -عز وجل- لحمل الرسالة، وأكرمه وجعله رحمة مُهداة؛ أي رحمة أهداها الله -عز وجل- إلى الخلق، وسماه الله -عز وجل- "الرؤوف الرحيم"، فقال تعالى: {بالمؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيم} [البقرة/143]، فقلبه رؤوف على أمته ورحيم عليهم.

وانظروا إلى ما كانت تصنع به أعداؤه، وما كان يصنع به قومه؛ عندما خرج إلى الطائف وأوذي، فنزل ملك الجبال يسأله: (مُرني فلأطبق عليهم الأخشبين)، لكنه ﷺ يقول: (لا). يقول له: أأمرني فلأطبق على أهل مكة الأخشبين لأنهم هم سبب البلاء وهم سبب العذاب والنبي ﷺ يقول: (بل أرجو أن يخرجَ اللهُ من أصلابِهم من يعبدُ اللهَ وحدَه ، لا يشركُ به شيئًا)[8]، وصبر عليهم، وأوذي في الله -عز وجل- وكان يدعو لهم.

[7] صحيح البخاري: (2945).
[8] صحيح مسلم: (1795).

لما جاء الطفيل بن عمرو الدوسي –رضي الله تعالى عنه– إلى النبي ﷺ وهو في مكة فأسلم على يد محمد ﷺ، ورجع إلى قومه مبلغًا فدعاهم فلم يستجب أحد، ثم جاء إليهم مهاجرًا إلى المدينة بعد أن هاجر النبي ﷺ إلى المدينة فقال: "يا رسول الله، ادعُ الله على دَوْس، عصوا الله عصوا رسولك، وما استجابوا لهذا الدين"، فتوجه النبي ﷺ إلى القبلة ورفع يديه، فقال الناس: "هلكت دوس"، ثم توجه إلى القبلة فقال: (اللهم اهدِ دوسا وأتِ بهم مسلمين)[9].

يعني الآن الواحد ربما لو يسمع كلمة من أحدهم عليه يفتح فمه ويلعنه باللعنات الكثيرة ويدعو عليه بالدعوات الشديدة ويسب، النبي ﷺ دعا لهم ولم يدعُ عليهم بل قال: (اللهم اهدِ دوسًا وأتِ بهم مسلمين)، فرجع الطفيل –رضي الله تعالى عنه– فجاء معه في العام القادم سبعون بيتًا من دوسٍ فيهم من راوية حديث النبي ﷺ أبو هريرة.

فانظروا إلى رحمته على أمته وإلى شفقته عليهم؛ يضحّي ﷺ كبشًا عن نفسه وكبشًا عن أهله وكبشًا عمّن لم يستطع أن يضحي من أمته ﷺ.

يخرج إلى أُحد يصلي عليهم في العام الذي توفي فيه ويدعو لهم ويقول: (وددت أني رأيت إخواننا)، قال الصحابة الذين معه: "أولسنا إخوانك يا رسول الله؟" قال: (أنتم أصحابي، وإخواني الَّذينَ لم يَأتوا بعدُ)[10]، انظر هذه المحبة أن يتمنى النبي ﷺ أن يقابل أمته وأن يراهم.

وانظر إلى دعائه ﷺ ربه أن يخفف عنهم الصلاة من خمسين إلى خمس صلوات، وبقي لهم الأجر كاملًا ما نقص منه شيء، كما قال الله –عز وجل– في الحديث القدسي: (هن خمس لا يبدل القول لدي؛ خمس في اليوم والليلة وخمسون في الأجر)[11]، ما الذي خفف هذا؟ هو طلب النبي ﷺ من ربه.

كان ﷺ يرسل السُّعاة من أجل أن يجمعوا الزكاة فقال لمعاذ بن جبل: (إياك وكرائم أموالهم)[12]، هذا القلب العجيب! يدعو لأمته ﷺ، يحب أصحابه يقول لهم: (لا تخبروني بما يقع بينكم إني أريد أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر)[13]، لا

---

[9] صحيح البخاري: (4392).

[10] صححهُ الألباني في صحيح النسائي: (150).

[11] اللفظ الأول جاء في الصحيحين؛ البخاري: (349) ومسلم: (163) وأما التكمله: "خمس في اليوم والليلة وخمسون في الأجر" فلم نجدها.

[12] صحيح البخاري: (1496).

[13] قال المحدث أحمد شاكر: (إسناده حسن على الأقل) في تحقيقه لمسند الإمام أحمد.

تحدثوني ماذا تقولون وماذا تتكلمون، حتى لا يقع في قلبي شيء على واحد منكم، ولذلك النبي ﷺهو سيد الخلق ورحيم القلب.

وكان -عليه الصلاة والسلام- أشجع الناس، وانظر ماذا يقول علي -رضي الله تعالى عنه- وكان من شجعان أصحابه ﷺ، والزبير هو سياف النبي ﷺ، فإذا غاب فعليّ، وشجاعته معروفة، وإن لم يكن ليس بما يصفه الشيعة أنه أشجع أصحاب النبي ﷺ، بل هو من أشجع أصحاب النبي ﷺ وليس أشجعهم، كان يقول -رضي الله عنه-: "إذا احمرت الحدق" -الاحمرار لشدة الهول- "إذا احمرت الحدق وحمي الوطيس كنا نلتجئ إلى رسول الله ﷺ"، فكانوا يهربون خلفه.

عندما وقعت غزوة حنين وهجمت جموع ثقيف عليهم في الصباح والشمس مشرقة، وذلك عندما خفّت درجة الحذر في أصحاب النبي ﷺ وافتخر بعضهم بقوتهم وقالوا: "لن نُغلب اليوم من قلة"، فنزلت جموع ثقيف عليهم حتى تشتّت الناس، لم يرجع رسول الله ﷺ مترًا واحدًا عن موقفه، حتى قال أبو سفيان: "الآن بطل سحر محمد"، فهرب الناس وتشتتوا وانتهى الجيش، ولكنه وقف ولم يتراجع مترًا واحدًا بل جعل يصيح: (أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب، اللهم أنزل نصرك، يا أبا سفيان -ينادي ابن عمه أبا سفيان بن الحارث-: ادعُ لي الأنصار. يا عباس: ادعُ لي الأنصار، ادعُ لي أصحاب الشجرة)[14]، هؤلاء الذين عاشوا معهﷺ ورأوا البلاء والشدة، فصاروا يدعون الأنصار ويدعون أهل بيعة الرضوان ويدعون أهل بدر حتى اجتمع معه سبعون أو قليلًا، فثبتوا معه وردّوا ثقيفًا، فانظر لهذه الشجاعة العجيبة التي كانت في قلبه، فجمع بين الشجاعة والرحمة.

وانظر ماذا يقول أنس -رضي الله تعالى عنه-، وأنس جاءت به أمه أم سُليم وهو صغير من أجل أن يخدم النبي ﷺ، لذلك أنس هو خادم النبي ﷺ، وأكرمه الله بطول العمر فأكثر الرواية عن النبي ﷺ وخدم النبي ﷺ عشر سنين، يقول أنس: "خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فوالله ما كَهَرني ولا سبّني ولا قال لي يومًا لشيء فعلته: لمَ فعلته؟ ولا لشيء لم أفعله: لِمَ لَمْ تفعله؟".

[14] الشطر الأول رواه البخاري في صحيحه: (2930).

ما ضرب رسول الله ﷺ يومًا بيده جارية أو أَمَة أو طفلًا أو مسلمًا قط، وتعرفون حادثته مع سواد عندما كان يصحح صفوف المسلمين في أحد، فكان صدر سواد بارزًا فضربه رسول الله ﷺ وقال له: (استوِ)، فقال: "يا رسول الله أوجَعْتَني"، فقال: (القصاص)، فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه فاعتنقه سواد وقبله، قال: (ما حملكَ على هذا يا سواد ؟)، قال: " يا رسولَ اللهِ حضَرَ ما ترى فأردتُ أن يكون آخرُ العهدِ بك أن يَمَسَّ جلدي". [15] فما ضرب رسول الله ﷺ بيده عبدًا ولا أمة ولا طفلة.

وكان من أدبه ﷺ أن الأَمَة تأخذ بيده، تصور هذا وقارن بين النبي ﷺ في خُلقه وبين قادة الجماعات الإسلامية أصحاب الكرفتات، الذين لا تروهم إلا في التلفزيون مثل الحُكّام الطواغيت! كانت تأتي إليه الأمة –العبدة الصغيرة– وتشد بيده فيمشي معها وتمشي به في طرقات المدينة حتى تقضي حاجتها.

وما كان يستنكف أن يقضي حاجة الناس، وهو ﷺ في مكة جاء رجل من الأعراب يطلب قضاء دين من أبي جهل فطرده أبو جهل وسبه، فقال الناس: "لا يقضي لك حاجتك من أبي الحكم إلا هذا الرجل"، وأشاروا لرسول الله ﷺ، وأرادوا الاستهزاء به، فجاء إليه وقال: "يا هذا، الناس أرسلوني وهذا الرجل قد ظلمني حقي"، قال: (أين هو؟)، قال: "متوسد في الكعبة"، فمشى معه النبي ﷺ حتى وقف على رأس أبي جهل فقال له: (يا أبا الحكم رُدّ لهذا دَيْنه)، فقال: "أبشر يا محمد"، وأخرج المال وأعطاه، فانصرف النبي ﷺ وانصرف الرجل، فسأله الناس عن هذا فقال: "والله ما رأيت إلا وحشًا معه فاغِرًا فاه، إذا قلت: لا، سيلتَقِم رأسي"، فانظروا إلى أدبه ﷺ يقضي حاجة الناس.

وكان إذا دخل بيته صنع ما يصنع أهله؛ فيخصف نعله ويرقع ثوبه ويفلي بدنه، وهو ﷺ لو سأل ربه أن يجري معه بطحاء الجزيرة ذهبًا والله لجرت وراءه، {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ} [الكوثر/1]، ومع ذلك كان ﷺ يمثل هذه الخصال؛ شجاعةً ورحمةً على أمته، وأما على أعداء الله –عز وجل– فلم يُعْلم عن ﷺ إلا الشدة عليهم، لأنه لا يمكن أن توجد الرحمة في قلب المرء على المؤمنين إلا وتجتمع معها الشدة على الكافرين.

انظروا ماذا فعل النبي ﷺ بقوم عَكْل وعُرَينة، وكذلك عندما أراد بعضهم بعد غزوة بدر أن يخفف عن العباس كرامة للنبي ﷺ، فقال لأحد أصحابه: "اشدُدْ يدك على العباس فإن له مالًا"، فكان مع المسلم ضد عمه.

---

[15] قال الألباني في السلسلة الصحيحة: (إسناده حسنه).

فكان النبي ﷺ بمثل هذه الرحمة وبمثل هذه الشجاعة، وبمثل هذه الغلظة على الكافرين، وهذه بعض خصاله ﷺ، فماذا أوجب الله -عز وجل- على الأمة مقابله؟

ونحن لا نستطيع أن نستقصي ما فيه ﷺ من خصال، فهذا باب واسع عظيم، **فما هو الواجب علينا؟**

الواجب علينا أن نحبه، وأن نقدّمه على الأهل والأولاد والمال وعلى النفس، كما كان أصحاب النبي ﷺ يفعلون، وأن نحبه كالأقوام الذين مدحهم النبي ﷺ وهم لم يروه، الذين يتمنى أحدهم لو يرى النبي ﷺ، فيتمنون أنهم يُضحّون بأموالهم وأهليهم ليجلسوا مع رسول الله ﷺ.

فالواجب هو الشوق، وهذا الشوق لا يمكن أن ينتج إلا بمحبته ﷺ، وأن تكون هذه المحبة تسري في دم المرء متمثلًا الصفات العظيمة للنبي ﷺ لينشأ الاتّباع، لا يمكن أن ينشأ الاتّباع الكامل إلا بعظيم المحبة للنبي ﷺ، لا يمكن أن ينشأ الاتّباع الكامل ظاهرًا وباطنًا إلا بمحبة النبي ﷺ، ولذلك قال الله -عز وجل-: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُم الله} [آل عمران/31].

وألّا يُقدَّم بين يدي الله ورسوله أمرًا ولا قولًا، وأن نمتثل أمره، وأن ننزل حديث النبي ﷺ إذا جاءنا أهنأ وأفضل ما يُنزل عليه الحديث، وأن نتلقّاه بالتسليم، وأن نسمعه باحترام وتقدير؛ لأن النبي ﷺ لم يقله يا عبد الله إلا رحمةً عليك وإلا من أجل رفعة منزلتك، وما جاءت الشريعة ولا جاءت السنة إلا من أجل الخير، ويجب علينا أن نموت في سبيل محبة النبي ﷺ، وهذا لا يمكن أن يكون إلا ببغض أعدائه.

أيها الإخوة، هذا الدين قائم على هذا الأمر: على عبودية الله وعلى محبة النبي ﷺ وأن تبغض أعداءه وأن تموت في سبيل محبته، وهذا معنًى جليل لا ينتبه له الناس هذه الأيام، فكما ترى بعض الناس يقولون: "ما لنا وللصحابة، وما لنا وللخلاف حول حديث صحيح وحديث ضعيف وحديث موضوع، ما لنا ولهذه الأمور؛ تعالوا لنتفق في السياسة ونتفق في الاقتصاد ونتفق في الوحدة الوطنية ونتفق في مصلحة الوطن"، أما أن يسب هذا الرجل رسول الله ﷺ أو ألا يحترم النبي ﷺ ولا يحترم الصحابة ولا يحترم الأولياء والعلماء فهذه مسألة شخصية بينك وبينه!

هذا الذي يقول هذا الكلام لو أن المخالف له سرق منه قرشًا لأقام حربًا من أجل هذا، تصور أن المخالف وهو يمشي مسك سكينة حادة ومزق البدلة التي يلبسها فسيُقيم حربًا من أجل هذا، لو خرج هذا الذي يتكلم بهذا الكلام من

باب القاعة ووجد سيارته الفاخرة قد خُدشت؛ فسيُقيم الدنيا ولا يُقعدها في سبيل خدش السيارة، أما إذا أُخذ منه مالٌ فستقوم الحروب الكونية، وإذا سبه أحدهم يغضب غضبة مُضريّة يريق من أجلها الدماء! فإذا قيل له: "هذا يسب رسول الله ﷺ، هذا يلعن النبي ﷺ، هذا لا يعبد الله، هذا لا يحترم الصحابة، هذا لا يرى قيمة لدين الله –عز وجل–"؛ يقول: "مسألة شخصية".

ولهذا أيها الإخوة، لما هان ديننا في أنفسنا هُنَّا على الناس، وهُنَّا على الأمم، النبي ﷺ وهو إمامنا الذي يجب علينا أن نفتخر به، فكيف تترك يا عبد الله هذا المثال وتترك الاقتداء به من أجل أن تقتدي بالسفلة والساقطين والعاهرات والعاهرين؟!

كيف تترك الاقتداء بالنبي ﷺ؛ هذا الرجل العظيم الجليل، تترك الاقتداء به وامتثاله من أجل أن تمتثل لصورة هؤلاء الذين ليس عندهم ذرة عقل، بل هم من أسفل خلق الله.

كان الشيوعيون مثلًا في بلادنا يرون (ماو تسي تونغ) هو الإمام المقتدر، يفتخرون به ويعلقون صوره على صدورهم، ويحتفلون بيوم مولده، ويوم وفاته، ويوم مرضه، ويوم زواجه، ويوم دخوله الحمام. ويحفظون أخباره باللحظة، ولما مات وكُشِف السِتر فإذا هو رجل من أخبث الناس، ليس عنده قيمة بموازين الرجولة، ولا بموازين الشجاعة.

فأين هؤلاء من رسول الله ﷺ؟ نحن أقلّ عالم في أمتنا هو نبيل من النبلاء؛ فكيف بالنبي ﷺ الذي جمع خصال الخير كلها؟

ولذلك يجب علينا أن نبغض أعداء النبي ﷺ وأن نقاتل من أجل هذا النبي ﷺ وأن نقاتل من أجل شريعته، وأن نوالي من يحبه، هذا هو الواجب علينا.

وكذلك من الواجب علينا أن نُديم الصلاة عليه، وهي إن كانت من قبيل الاعتراف بجميل النبي ﷺ علينا وبفضله علينا، ولكنها كذلك باب عظيم من أبواب الولوج إلى رضى الله –سبحانه وتعالى–، قال –عليه الصلاة والسلام–: (من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا)[16]، تصور أن الله يصلي عليك بصلاتك على النبي ﷺ، والسلام يصله

[16] **صحيح مسلم**: (**384**).

ﷺ أينما كنت، قال –عليه الصلاة والسلام-: (و صلُّوا عليَّ وسَلِّمُوا، فإنَّ صَلاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حيثُمَّا كنتُمْ)[17]، وقد وكّل الله تعالى ملائكة تحمل الصلاة إليه ﷺ، وهو يفرح بذلك؛ فتُرد إليه روحه ويسمع الصلاة عليه ﷺ، ولذلك يجب علينا أن نُديم الصلاة عليه، وإن من أبخل الناس من سمع باسمه ﷺ ولم يصلِّ عليه؛ هو بخيل لأنه لم يؤدِّ شكر هذا الرجل العظيم بأن يصلي عليه، وهو بخيل على نفسه لأنه لا يعرف درجة هذا العمل العظيم.

وهناك كتب في هذا الباب تقرؤونها لصيغ الصلاة على النبي ﷺ وأجورها، منها: (جلاء الأفهام في الصلاة على خير الأنام) لابن القيم، ومنها (القول البديع في الصلاة على النبي الشفيع) للإمام السخاوي، وغيرها من الكتب المشتهرة.

أطلت عليكم، ولكن أسأل الله –عز وجل– أن يحيينا على سنة المصطفى ﷺ وأن يميتنا على سنته، وأن يجعلنا من أتباعه، وأن يحشرنا تحت لوائه، وأن يشفّعه فينا، فهو شفيع الخلق وشفيع أحبابه يوم القيامة.
نسأله –سبحانه وتعالى– أن يجعلنا من إخوانه الذين أحبوه ولم يروه، وجدوا هذا العلم كتبًا معلقة فأخذوها واقتدوا بها، نسأله –سبحانه وتعالى– أن يجعل محبته في قلوبنا، وأن يجعل محبة أصحابه في قلوبنا، وأن يجعل محبة المسلمين في قلوبنا.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

[17] صححهُ الألباني في صحيح الجامع: (3785).

2

إن الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلله فلا هادي له، وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنّ محمدًا عبده ورسوله، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى صحبه الغر الميامين وعلى من تبعهم بإحسان وهدى إلى يوم الدين، جعلنا الله –عز وجل– وإياكم منهم. آمين.

أيها الإخوة الأحبة، ستكون دروسنا منظمة بعد صلاة قيام رمضان، وربما تستوعب هذه الدروس الشهر كله في الحديث عن الفِرَق وتاريخها ومذاهبها وآثارها، وما خالفت فيه هذه الفرق كتاب الله –عز وجل– وسنة نبيه ﷺ، وسنتحدث عن أهمّ الكتب التي تحدثت عن الفرق، بالتنويه بها وبذكر مذاهب أصحابها وما فيها من خصائص وميزات وما فيها من أخطاء وملاحظات.

وهذا باب عظيم وهو باب معرفة الفرق والمذاهب؛ لأن معرفة مذاهب الناس وعقائدهم تجعلك حذرًا من الوقوع فيما وقعوا فيه، وكما قالوا قديمًا: "وبضدها تتميز الأشياء"، ومعنى هذا أنك لا يمكن أن تعرف مذهب الحق في هذا الزمان، ولا يمكن أن تعرف دين الإسلام على حقيقته، ولا يمكن أن تعرف طريقة السلف ومذهب أهل السنة والجماعة؛ إلا من خلال تمييزك بينه وبين المذاهب الأخرى والفرق الأخرى.

لماذا لم تحصل فرقة في العقائد في عهد الصحابة

وفن معرفة الفرق والمذاهب تكلم فيه العلماء وبسطوا القول في تفاصيله في كتبهم وفي مؤلفاتهم –وسنأتي عليها–، ولكنّنا ننوه أولًا على أن الفُرقة حصلت بعد الصحابة –رضي الله تعالى عنهم–، ولهذا لا بد أن نعرف أولًا لماذا امتنعت الفرقة في المذاهب والفرق وفي العقائد والتصورات بين الصحابة –رضي الله تعالى عنهم–؟ ولماذا حصلت الفرقة فيمن بعدهم في المذاهب والعقائد؟

نعم؛ حصل بين الصحابة –رضي الله تعالى– عنهم الفرقة بعد مقتل عثمان ذي النورين، وسمي بـ"ذي النورين" كما تعلمون لأنه تزوج ابنتي رسول الله ﷺ.[18]

العامل الأول:

القصد أيها الإخوة؛ أن الصحابة –رضي الله عنهم– لم يحصل بينهم أن افترقوا في العقائد والتصورات، بل كانوا في عقائدهم ومذاهبهم على طريقة واحدة، وهناك أسباب، وأنوّه إلى كتب السلف في هذا؛ فمنه كتاب (الاعتصام بالكتاب والسنة) من (صحيح البخاري)، فقراءة هذا الكتاب يكشف للشادي ولطالب العلم لماذا لم تحصل الفرقة لأصحاب النبي ﷺ في العقائد، السبب هو: **الاعتصام بالكتاب والسنة**.

ومن الكتب المعاصرة التي تعينك على فهم هذا الاجتماع وعدم حصول التفرق كتاب سيد قطب –عليه رحمة الله– (معالم في الطريق)، وخاصة الباب الأول منه: "جيل قرآني فريد"، فقد ذكر فيه كلامًا طيبًا جزِلًا عظيمًا بيَّن فيه أن السبب الذي منع الفرقة بين الأصحاب في هذا الدين وفي فهمهم له هو تمسكهم بمصدر واحد للتلقي، وبين سيد قطب عليه –رحمه الله عليه– أن العصر الذي جاء فيه رسول الله ﷺ لم يكن خَلِيًّا من وجود المذاهب والفلسفة والأديان؛ فالنبي ﷺ نشأ في جزيرة العرب، وكان في جزيرة العرب أديان ومذاهب؛ فكانت هناك النصرانية واليهودية.

---

[18] ومن غريب ما وقع لي في قراءتي الكتب أني وجدت كتابًا مذهبيًا للشيعة الروافض، وهو كتاب معاصر ينقل عن كتاب شيعي، وهو يسمي كتابه كذبًا وزورًا بـ (صحيح السيرة النبوية)، وهو رجل رافضي يقول فيه أن البنتين اللتين تزوجهما عثمان –رضي الله تعالى عنه– ليستا من صلب النبي ﷺ بل هما بنتان لخديجة قبل زواجها من رسول الله ﷺ، وهما رقية وأم كلثوم، وأهل السيرة مجمِعون على أن رقية وأم كلثوم هما ابنتان للنبي ﷺ، ولكن انظروا إلى هذا الخبث، يُتهم عرض النبي ﷺ، وتُتهم ابنتيه بمثل هذه الفرية بالطعن في الأنساب من أجل نصرة مذهبهم الباطل، ولئلا يظهر للمنصف أن ما عليه الروافض هو على غير الهدى الصحيح.

كما قالوا قديمًا أن ابنة علي –رضي الله عنه– التي تزوجها عمر، فبعضهم يقول: "هذا فرج غُصِبناه"، يعني عمر –رضي الله تعالى عنه– غصب هذا الفرج وهذه البنت من علي، وبعضهم قال: "لا، هذا ليس فرجا لعلي وليست ابنة لعلي، وإنما هي جنية تمثلت بصورة ابنة علي وتزوجها عمر."!

فالنصرانية كانت على مشارف الجزيرة، والغساسنة كانوا على النصرانية، عدي بن حاتم الطائي كان من طيء في شمال جزيرة العرب، وكان على مذهب من مذاهب النصارى وهو الركوسية، وبعض أهل قريش كان على النصرانية، ويقال أن أم أيمن –حاضنة النبي ﷺ– كانت على النصرانية، ويقال أنها ممن سيق مع أبرهة الحبشي لأجل غزو الكعبة فبقيت هناك، فكانت على النصرانية، بل إن الذي صنع للنبي ﷺ المنبر الذي يخطب عليه فتى من نصارى نجران.

واليهودية كانت موجودة في المدينة وما حولها، فكان هناك أقوام من اليمن تديّنوا باليهودية ورحلوا إلى المدينة وسكنوا فيها عندما كان اسمها يثرب؛ ومن هؤلاء اليهود بنو قريظة وبنو قينقاع وبنو النضير وأهل خيبر.

وكانت هناك مذاهب فلسفية في الأرض؛ فالفرس لهم مذاهبهم ولهم أديانهم ومنها المَزْدَكيّة؛ والمزدكية هم أتباع مَزْدَك، ومزدك كان يدعو إلى الإباحية، وهو نفس وعين مذهب الشيوعية الذي تسمعون عنه الآن، كان هذا يدعو إلى إباحة النساء وإباحة الأموال، وكانت هناك الدِّيصَانية والسَّمْنية، كما سيأتي التعريف بها عند ذكرنا للجهم بن صفوان لأنه تأثر بمناظرته بالسمنية –كما سيأتي–.

وكان هناك مذاهب اليونان التي حَرَّفَت بوثنيتها النصرانية؛ فالنصرانية حرفها مذاهب اليونان مع جواسيس اليهود، خاصة شاؤول الذي زعم أنه تنصّر فغيَّر الـمُوسَويَّة –الديانة اليهودية– فجعلها وثنية.

إذن كانت المذاهب منتشرة؛ من مذاهب اليونان ومذاهب الفرس ومذاهب الهند ومذاهب الصين، وكانت الأديان منتشرة، وبعض العرب كانوا يقرؤون، صحيح أن النبي ﷺ يقول: (إنَّا أمَّةٌ أمِّيَّةٌ لا نَكتُبُ ولا نَحسِبُ الشَّهرُ هَكذا وَهكذا وَهكذا)[19]، وأشار بثلاثين وتسع وعشرين، ولكن كان هناك من العرب من يقرأ، ومع هذا ربّى النبي ﷺ أصحابه على طريقة واحدة، ولم يأذن لهم أبدًا أن يأخذوا من غير الكتاب ومن غير ما يعلمهم من السنة، فأخذوا هذا الدين من مصدر واحد.

هذا هو العامل الأول، حتى إن النبي –عليه الصلاة والسلام– رأى يومًا صحفًا من التوراة بيد الفاروق عمر –رضي الله تعالى عنه– فغضب النبي ﷺ وقال: (أمُتهوِّكون أنتم؟)، أي: أضالون أنتم؟ فالتهوُّك هو الضلال، (أمتهوكون أنتم؟

[19] **صححهُ الألباني في صحيح أبي داود:** (**2319**).

والذي نفسُ محمدٍ بيدِه لو كان موسَى بينَ أظهرِكم ثم اتبعتموهُ وتركتموني لضللتمْ ضلالًا بعيدًا أنتم حَظِّي من الأممِ وأنا حَظُّكُمْ من النبيينَ)[20]، فقام عمر ومزقها.

إذن كان الصحابة –رضي الله عنهم– لا يأخذون شيئًا مما يحتاجون إليه في معرفة الحق إلا من كتاب الله ومن سنة النبي ﷺ، وليس هذا لعجزهم عن قراءة مذاهب القوم، وليس هذا لقلة وجود المذاهب والفرق والأديان في عصرهم، بل كما رأيتم كانت المذاهب وكانت الأديان تعيش بينهم، وكان لها دعاتها وأبناؤها ورجالها، ومع ذلك كان الصحابة –رضي الله تعالى عنهم– لا يأخذون إلا من الكتاب والسنة.

فهذا **التلقي الوحيد من المصدر الوحيد** جعل الاشتراك عند الجميع بفهم واحد. نعم، تتفاوت الأذهان وتتفاوت العقول ولكن الأصل واحد، ويكون التفاوت بمقدار الفهم على هذا الأصل، أما الأصل فيتفق عليه الناس، هذا هو العامل الأول، وقلت لكم ارجعوا إلى الباب الأول من كتاب (معالم في الطريق) تجدون هذا مفصلًا.

العامل الثاني:

أما العامل الثاني فهو **اللغة العربية** التي نزلت بها هذه الرسالة، والتي نزل بها القرآن، والتي خاطب رسول الله ﷺ أصحابه بها، فالعربية هي وعاء هذا الدين، إذا انثلم الوعاء أو تلوّن أو اتّسخ فإنه يؤثّر على ما فيه من موضوع، ويؤثر على ما فيه من مادة؛ ولذلك يقول بعض السلف –وهو أبو عمرو بن العلاء–: "إن من رحمة الله بالعجمي إذا أسلم أن يوفَّق لصاحب سنة"؛ لأن العجمي لا يفهم العربية فهو يُهدى إلى الإسلام ولكنه لا يفهم تفصيل ما في الإسلام، فإذا هُدي إلى صاحب بدعة فسيلُقّنه بدعته، وإذا هُدي إلى صاحب سنة فإنه سيعلمه السنة.

فاللغة العربية كانت في أصحاب النبي ﷺ واضحة ولم يدخل اللحن –وهو الخطأ–، ولم تدخل العُجمة على ألسنتهم، وإذا دخلت العجمة على اللسان فستدخل على العقل؛ لأن لغة المرء هي مرآة لعقله، كما قال أهل اللغة ومنهم عبد القادر الجرجاني، قال: "إذا اتسعت عقول الناس اتسعت لغتهم"، وكذلك قال ابن تيمية: "إذا ضاقت عقول الناس ضاقت عباراتهم".

---

[20] قال الألباني في السلسلة الصحيحة: (فيه أبو حبيبة الطائي وهو من عداد المجهولين).

واللغة العربية هي وعاء القرآن، والقرآن هو مادتها، واللغة العربية هي وعاء السنة، والسنة هي مادة هذه اللغة؛ فأي انحراف في فهم اللغة سيؤدي إلى الانحراف في فهم المادة نفسها، **وما حصل الانحراف إلا بسبب العُجمة**، فقد ناظر أبو عمرو بن العلاء -وهو من أئمة اللغة ومن أئمة السنة- يومًا معتزليًا وهو عمرو بن عُبيد، -وسيأتي تفصيل هذه الأسماء عند ذكرنا لمذهب الاعتزال-، فلما ناظره قال له: "من العُجمة أتيت"، يعني: فسادك يكمن في عدم إتقانك العربية، فأنت لو فهمت اللغة العربية ما أجريت القرآن على معنًى باطل.

وقد يقول قائل: لكننا نرى أن الصحابة كانوا يعجزون عن فهم بعض كلام الشعر، كما ورد أن الحُطَيئة هجا الزبرقان، والزبرقان كان واليًا للخطاب في بعض الأمصار، والحطيئة كان هجَّاءً حتى أنه يوما هجًا وجهه وهجى نفسه! فهجا الزبرقان وقال له:

دعِ المكــــــــارمَ لا تَرحــــــــلْ لبُغيَتِهــــــا واقعــدْ فإنّــكَ أنــتَ الطّــاعمُ الكاسِــي

فجاء الزبرقان -وكان شاعرًا- وشكا إلى عمر ما شتمه وما هجاه به الحطيئة، والحطيئة شاعر عربي، كان ممن ارتد ومنع الزكاة عن الصديق ثم بعد انتهاء حرب الردة عاد إلى الإسلام، ولكنه شاعر فبقي على شعره في هجْو الناس، فسجنه عمر -رضي الله عنه- لهجائه الناس ولكنه استعطف عمر وأقسم الأيمان المغلظة ألا يرجع، وقال له عمر: "إن هجوت الناس قطعت لسانك"، فاستعطف عمر بأبيات قالها في السجن، يستعطفه فيها بأن يُخرجه من السجن، يقول فيها:

أَلقيــتَ كاسِــبَهُم فــي قَعــرِ مُظلِمــةٍ فــاغْفِر عليــكَ ســلامُ اللهِ يــا عمــرُ

فالمهم أن عمر شكا إليه الزبرقان ذلك فقال له: "إن الحطيئة قد هجاني"، فقال له: "ماذا قال؟" قال: دع المكارم لا ترحل لبغيتها.... واقعد فأنك أنت الطاعم الكاسي، فقال له عمر -رضي الله عنه-: "هذا مدح"، يعني يقول لك أنت الطاعم الكاسي فقال: "بل هذا هجاء"، فجعل الفصل في ذلك لحسان بن ثابت؛ لأن الشعراء لهم أساليبهم، فجيء بحسان، وهو شاعر النبي ﷺ الذي فداه رسول الله ﷺ بأبيه وأمه وقال له في غزوة أحد: (اهجُ قريشًا ، فإنه

أشدُّ عليهم من رشقِ النَّبلِ)[21]؛ أي السهام في صدورهم، ومن أعظم شعره ومن أعدله ما قاله عندما سب أبو جهل رسول الله ﷺ فقال له:

أَتهَجـــوهُ ولَسْــــتَ لـــهُ بِكُـــفْءٍ   فشـــــرّكُما لخيرِكُمـــــا الفِــــداءُ

فانظر لهذا العدل فلم يقل له: جعلك الله فداء لرسول الله أي أن تموت من أجله، بل كنّى وعدل فقال: فشركما فداء لخيركما، وشرهما هو أبو جهل، وخيرهما النبي ﷺ، فعُدّ هذا من أعدل الشعر ومن أجمله.

فجيء بحسان إلى عمر، قال له: "هل هذا هجاء؟"، فقال: "يا أمير المؤمنين، هو لم يهجه ولكنه سَلَح عليه"؛ سلح عليه أي أخرج كل وسخه عليه.

قال بعضهم: كيف تزعمون أن العرب يفهمون الشعر وها هو عمر يعجز عن فهم كلمة الحطيئة؟ والجواب على هذا ما ذكره ابن سلام الجُمحي في كتابه (طبقات فحول الشعراء)، فقال: "عمر فهم الشعر ولكنه طلب حسان ليكون شاهدًا بالقضاء؛ لأن القاضي لا يجوز له أن يحكم بعلمه بل لا بد من شاهد، فأُتي بصاحب فن ليبين هل هذا من الهجاء أم لا".

إذن فالعرب والصحابة كانوا يفهمون العربية، نعم؛ غابت عن الصحابة بعض المعاني، مثل ما حصل مع عدي بن حاتم الطائي عندما أنزل الله –عز وجل-: {وَكُلُوا واشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لكم الخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ} [البقرة/187]، فأخطأ عدي في فهمها على الرغم أن الآية بيّنة، وقال بعضهم: لم تكن كلمة "من الفجر" موجودة في الآية ثم نزلت بعد ذلك، لكن هذا قول ضعيف.

ففهم عدي بن حاتم الآية على المعنى التالي: أحضر عِقالين –والعِقال الحبل، سُمي عقالًا لأنه يُعقل به البعير والدابة–، فأحضر عقالًا أبيضًا وعقالًا أسودًا، فجعل ينظر إلى العقالين ويأكل حتى يعرف الأبيض من الأسود. فلما أخبر النبي

---

[21] **صححهُ الألباني في صحيح الجامع: (2523).**

ﷺ بهذا قال: (إنك لعريض القفا)[22]، يعني يمكن تطلع الشمس ولم تعرف بعد الخيط الأبيض من الأسود، ولكن الآية تقول: "من الفجر".

فالقصد أن هذا وقع لبعض الصحابة كما حدث لقدامة بن مظعون في شربه الخمر، ولكن على الجملة وقع هذا في الأحكام، وأما الآيات المحكمة في العقائد والتوحيد والتصورات فلم يقع فيها الخلاف؛ لوضوحها ولأنها من المحْكَمات.

وما فسد الدين إلا بدخول كتب اليونان أولًا، حيث أخذها بعض المسلمين كمُسَلَّمَات، فيُقال: أفلاطون المعلم الأول، أرسطو إمام الدنيا، وهؤلاء لا يخطئون!! فأخذوها تعظيمًا لها، وجعلوها القواعد التي تستند إليها عقول الناس ومذاهبهم.

وبعد ذلك دخلت العجمة في العرب؛ فدخل اللحن وصار الناس يلحَنون ويخطئون، وقيل إن أول لحن وقع في الأرض هو من قبل ابنة أبي الأسود الدؤلي حيث صعدت هي وأبوها فوق منزله، فأرادت أن تذكر جمال النجوم فقالت: "يا أبتاه، ما أجملُ السماء" -استفهام-، فقال: نجومها، قالت: "يا أبتي، ليس هذا الذي أريد"، قال إذن فقولي: "ما أجملَ السماءَ!" تعجبًا.

فذهب أبو الأسود الدؤلي إلى علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- وشكا له، فأمره علي أن يضع قواعد النحو. وسمي "النحو" بهذا الاسم لأن عليًّا قال لأبي الأسود الدؤلي: "كلام العرب اسم وفعل وحرف على هذا فانْحُ"، فسمي النحو، هذا هو أشهر الأقوال.

ولما دخل العجم نشروا اللحن وفسد ميزان العرب، وانظروا إلى قوله ﷺ في حديث أقل ما يقال فيه أنه حسن، قال: (اقرأوا القرآن بلُحُون العرب ولا تقرؤوه بلُحُون العَجَم)[23]؛ فالقرآن يُتَغَنَّى به، فأمر ﷺ أن يقرأ بلحون العرب.

روى الإمام البخاري في صحيحه من طريق أبي عاصم عن ابن جريج عن الزهري مرفوعًا إلى النبي ﷺ قوله: (ليس منا من لم يتغنَّ بالقرآن)[24]، ولكن هذا اللفظ خطأ وإن كان في البخاري، وقد انتقده الإمام الدارقطني في كتابه

---

[22] **صحيح البخاري: (4510).**

[23] **ضعفهُ الألباني في ضعيف الجامع: (1067).**

(الاستدراكات) ونصر هذا الخطيب البغدادي، وهذا لفظ أخطأ فيه أبو عاصم، والصواب ما رواه عن الزُّهري يونس وعُقيل وشُعيب، كلهم رووه بلفظ: (ما أذِن اللهُ لشيءٍ، ما أذِنَ لنبيٍّ حسنِ الصوتِ، يتغنَّى بالقرآنِ، يجهرُ به)[25]، فهذا هو اللفظ الصحيح وإن كان اللفظ الأول قد ورد في أصح كتاب بعد كتاب الله لكنه من أخطاء الرواة، ولسنا نحن الذين ننقد أمثال البخاري ولكن الحفّاظ الجهابذة قد نقدوا هذا اللفظ وعدّوا هذا من أخطاء أبي عاصم عن ابن جريج عن الزهري.

القصد؛ انظروا إلى قوله ﷺ: (عليكم بلحون العرب)[26]؛ فالعرب كانت لهم ألحان وترجيع ومقامات يعرفها العرب، والنبي ﷺ كان يخرج معه الحداء ويقول: (يا أنجَشُ، رُوَيدَكَ سَوقَكَ بالقَوارِيرِ)[27]، وكان الصحابة يتغنون بالقرآن بألحان العرب، بل لم يكن العرب يلقون الشعر هذًّا بل يُلقونه بألحانهم؛ فأمر النبي ﷺ أن يقرأ الناس القرآن بما كان العرب يُلحّنون به شعرهم.

ولذلك كان يقال عن الأعشى "صنّاجة العرب"، والصنّاجة هو آلة موسيقية مثل الطبل؛ فسمي الأعشى صناجة العرب لأنه كان يقف ويُغَنِّي شعره، وكان له صوت جميل، وقيل غير ذلك ولكن هذا قول صحيح، فكان الشاعر يقف ويتغنى بشعره، فأمر النبي ﷺقارئ القرآن أن يتغنّى به على لحون العرب وقال: (وإياكم ولحون العجم)[28].

فإذا كان اللحن ممنوعًا فكيف باللغة؟! ولذلك من صفات المنافقين الكلام بغير العربية كما قال ابن تيمية، وكان الإمام ابن مالك يُخرج من مسجد النبي ﷺ من يسمعه يتكلم بغير العربية، ويقول: "لا نأذن الكلام بغير العربية إلا للحاجة"، وحتى اللباس كره العرب أن يلبسوا أحذية العجم وأن يلبسوا لباسهم وأن يتزينوا بزيهم وهذا يدل على التميز.

---

[24] صححهُ الألباني في صحيح الترغيب: (1451).
[25] صحيح مسلم: (792).
[26] ضعفهُ الألباني في ضعيف الجامع: (1967).
[27] صحيح البخاري: (6202).
[28] قال الألباني في تخريج مشكاة المصابيح: (إسناده ضعيف).

واقرؤوا في ذلك كتاب (اقتضاء الصراط المستقيم)، فلا يوجد أجمع من هذا الكتاب في بيان أن سبب الافتراق في الإسلام ما حدث من العُجمة؛ فساد الدين حدث من العجم، نعم دخل أقوام من العجم وأسلموا فصاروا أئمة الدنيا، ولكن بعد أن عَرَّبُوا ألسنتهم: الإمام البخاري، الإمام مسلم، الإمام الترمذي، أبو داوود السجستاني، أبو عبيد القاسم بن سلّام، فصاروا أئمة العربية وهم من العجم، ولكن بشرط أن عرّبوا ألسنتهم، ولما عرّبوا ألسنتهم صارت عقولهم عربية.

وليس هذا مزية للفرد العربي على بقية الأقوام، ولكن **هذه مزية للغة القرآن**، فلا ينبغي أن يفتخر الرجل بكونه عربيًّا على الأعجمي، فالعبرة في ديننا بالتقوى، كما قال ﷺ: (لا فَضلَ لعربيٍّ على عَجميٍّ، ولا لعَجميٍّ على عَربيٍّ، ولا لأحمرَ على أسوَدَ، ولا لأسوَدَ على أحمرَ، إلَّا بالتَّقوَى)[29]، فلا فضل لعربي على أعجمي، أما فضل العربية على غيرها من اللغات فهذا يجب عليك أن تعتقده؛ ولذلك كان سلفنا يسمون هذه اللغة بـ"اللغة الشريفة"، اقرؤوا ما كتب ابن جِنّي يسميها "اللغة الشريفة"، وما كتب الثعالبي في (فقه اللغة) يقول: "هذه اللغة الشريفة".

ولذلك أهل البدع هم العجم لأنهم لا يفهمون، وكذلك الأمر إلى يومنا هذا؛ فالبدع فيمن لا يعرف العربية، نحن ربما أصولنا عجم، ولكن لا بد مِنْ أن يقرأ المرء كتاب الله وأن يفهمه بالعربية، وأي تغيير لذلك يُفسد مزاج المرء وفهم المرء.

القصد أن الصحابة كانوا يسمعون من رسول الله ﷺ بهذه اللغة، وينزل القرآن بلغتهم؛ ولذلك فهموا هذا الدين فهمًا واحدًا فلم يفترقوا.

إلى الآن دمار الأمم سببه الأفكار الواردة والمذاهب الباطلة التي ترد: الديمقراطية، البُنْيَوّية، الحَدَاثة، ما بعد الحداثة، الشيوعية من قبل، اللِّيبرالية، وحتى مذاهب المجانين وشُذّاذ العقول مثل السُّيريالية التي أصحابها مجموعة من المجانين والشاذين، واقرؤوا أخبار رجالهم: إما لوطيين وإما سُحاقيات أو مجانين يكتبون في لحظة الجنون ويخرجونها للناس، وبعد ذلك تأتي الصحافة ويأتي الإعلام اليهودي ويأتي الزنادقة –زنادقة الأدب– ويهوّلونها، فيقول أحدهم: "انظر إلى هذه القصيدة ما أجملها!!" وهي قصيدة مجنون.

---

[29] صححهُ الألباني لغيره في صحيح الترغيب: (2964).

أحدهم كان يتحدث عن الكلاب -وهو إليوت-، هذا عندهم إذا ذُكر اسمه هو أشد مما كان يحدث للإمام الشافعي عند ذكر النبي ﷺ؛ الإمام للشافعي كان إذا قيل له: "قال: رسول الله ﷺ"، يقول: "سمعًا وطاعة"، ويأخذ الكلام بأحسنه وأهنَئِه وأمْرَئِه، وهم كذلك وأكثر مع (إليوت) هذا؛ فإذا ذكروه عظموه جدًا، فتجد أحدهم يقول: "انظر إلى تلك العبقرية، انظر إلى هذا الإنتاج الفكري السامي!".

في إحدى المرات كتب أحد أهل الحداثة في الجزيرة العربية قصيدة في صفحة ونصف، وأرادوا في نصف الصفحة الثانية أن يزيدوا شيئًا من عندهم، فمن أجل إن يفرّقوا بين القصيدة التي يسمونها "القصيدة النثرية"!! كتبوا كلمة "انتهى" لكي يفرق بين الكلامين.

القصيدة النثرية كيف تكون؟ مثلًا أقول: "طلع الحمار.. طار الغزال.. نام الكلب"، طيب ما علاقة الكلب بطيران الغزال؟ يقول لك: "هنا السر هذا الذي لا تفهمه أنت"، تقول سلمى الجيوسي وهي امرأة فلسطينية تزعم العبقرية وتُعتبر من أكبر النقاد لشعر الحداثة، تقول: "أنا بقيت خمس سنوات حتى أعرف ماذا يريد أن يقول هؤلاء الشعراء"، وهذه سمعتها أنا بأذني، ومع ذلك تُعتبر الآن ناقدة لشعر الحداثة، فهم ناس مجانين ومع ذلك يعدونه أدبًا!
فما زال الغزو فينا، أمتنا لا يمكن أن يكون الرجل فيها نبيلًا إلا إذا كان عاقلًا ضابطًا حافظًا، وهم لا يكون الرجل عظيمًا فيهم إلا إذا كان مجنونًا شاذًا.

نرجع إلى قصة "انتهى"، فقام الطَابع -وليس صاحب القصيدة- بكتابة كلمة "انتهى" من أجل أن يكتب بعد القصيدة كلامًا آخر، فلما جاء الغذامي وهو أحد نقاد شعر الحداثة -شعر المجانين- في الجزيرة، صار يحلّل القصيدة ووقف طويلًا عند كلمة انتهى، يقول: "أي عبقرية فيها! كيف وضعها موضعها!".

وهذا على قاعدة المرأة التي ذهبت بابنها لتخطب له فتاة، وهي قصة مذكورة في قصص طرائف العرب، فالمرأة ذهبت بابنها إلى بيت من بيوت العرب تخطب له ابنتهم، فقالت الأم: "انظري إلى جمال عينيه، انظري إلى نضارة وجنتيه، انظري إلى حسن قدِّه". فضرط، فقالت: "انظري إلى جمال ضرطته"، فقالت له: "لا عليك فوالله لو سلح على نفسه لزوجناه"، يعني لو أنه عملها على نفسه لنزوجه، فهم هكذا مجانين!

فجلس يحلل في كلمة "انتهى"، ثم اكتشفوا لاحقًا أن كلمة "انتهى" كتبها الطابع ولم يكتبها الشاعر، ولا تظنوا أننا نجلس الآن ونضحك عليهم لكن هذا هو المسيطر عليهم، وهؤلاء الذين تسمعون عنهم "الأديب"، "الشاعر" هؤلاء هم الذين يسيطرون على الحياة الآن بجنونهم وشذوذهم.

حتى إن بعضهم يضطر أن يجاريهم، إحسان عباس مثلًا هو رجل يعرف أن هذا الكلام كله كلام مجانين، ولكنه يريد أن "يأكل عيش"، لو أنه كان جادًا وناقدًا بمستوى علم الأدب لما سمع له أحد، ولكنه لا بد أن يتكلم عن الحداثيّة، ولا بد أن يرطن برطانتهم، ولا بد أن يحلل بولهم، فالبول لا يخرج من المثانة فقط بل هناك بول يخرج من الفم، ولذلك لا يجد المرء له مسلكًا معهم إلا إذا طأطأ.

القصد أيها الإخوة، أن هناك عاملين لا يمكن للأمة أن تعود إلى ما كان عليه الصحابة إلا بهما: **الأمر الأول وهو وحدة التلقي**، ولا يعنى هذا ألا نقرأ للآخرين، ولكن القضية متى نقرأ، وكيف، ولماذا، وبأي نفسية؟ هذا سنتحدث عنه فيما يلي.

والأمر الثاني: **يجب على الأمة أن تعود إلى العربية**، فهم صعّبوا لكم العربية وأصبح تعلم اللغة العربية وكأننا ندرس اللغة اللاتينية، طبعًا هنالك تاريخ عريق في إجرام الزنادقة لتدمير اللغة العربية ولهزّها، وهذا الإجرام قديم من مطلع القرن ومن زمن دخول نابليون عدو الله إلى مصر، من ذلك الوقت والعامية تغْزو في المراكز العلمية وفي الجامعات وفي مراكز التعليم، حتى صار مَجْمَع اللغة العربية عِمادته وقادته لدعاة العامية، وصار بعض مندوبيه ومراسليه من المستشرقين، وهذا مجمع اللغة العربية!

انظروا الآن إلى المحطات الفضائية، كان الناس يسمعون قديمًا الأخبار في الراديو بلغة عربية جميلة وكذلك في الجرائد تُكتب بلغة عربية جميلة لأنها لغة الأدب، ويحرص القارئ أن يكون يفهم العربية، أما الآن فبعض المحطات –يا أيها الإخوة– تشترط على بعض العاملين فيها الذين يقدّمون البرامج أن لا يتحدثوا الفصحى بل يتحدثون اللغة العربية لبلدهم، وطبعًا لو أراد الواحد منهم أن يتكلم اللغة العربية الفصحى لأتى بالطامّات، فالعامية أحسن من لغته العربية الفصحى، وهذا كله من قبيل الغزو وتأصيل الزندقة.

إخواني؛ القرآن والسنة في كفة واللغة العربية في كفة، الزندقة في سطوها على الكتاب والسنة تعادل السطو على لغتنا العربية، وهي ليست معقدة والذين يزعمون هذا كذابون دجالون، هي أسهل اللغات تعلمًا لأهلها لكنها تُسبّ وتُشْتم، ويُعلّم أبناؤنا الألفاظ الأجنبية، حتى أنّ الطفل إذا حُصر ليُعبِّر عن نفسه عبّر بالأجنبية.

ولن يعود للأمة مجدها إلا أن تعود لدينها بمصدره الكتاب والسنة وإلى لغتها، لذلك يقول ابن حزم في كتابه (الإحكام): "إن الأمة العظيمة لغتها عظيمة".

هذا يكفي، ولا أريد أن أطيل في هذا الباب لأنه سيأتي في كل مذهب؛ كيف ضلوا، كيف انحرفوا، كيف فهموا الكتاب والسنة على غير وجهها، وكيف أخطأوا في فهم دلالات لغة الكتاب والسنة اللغة العربية.

سنتحدث غدًا –إن شاء الله– عن الكتب التي تحدثت عن الفرق، ونتحدث بتفصيل عن هذه الكتب وما فيها من ميزات وأخطاء وشخصيات أصحابها.

نسأل الله –عز وجل– أن يبارك لنا في أوقاتنا وأعمارنا، وأن يتقبل منا الصيام والقيام، وأن ينصر المجاهدين في سبيله، وأن يكون للمستضعفين في الأرض، إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

3

تتمة الحديث عن أسباب عدم ظهور الفرقة بين الصحابة –رضوان الله عليهم–:

بسم الله الرحمن الرحيم، إن الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى صحبه الغر الميامين، وعلى من تبعهم بإحسان وهدى إلى يوم الدين، جعلنا الله –عز وجل– وإياكم منهم، آمين، آمين.

ما زلنا في موضوع الفرق، وقلنا إن عدم حصول الفرقة في زمن الصحابة –رضي الله تعالى عنهم– في موضوع العقائد والتصورات له أسباب، ذكرنا منها البارحة سَبَبَيْن:

- السبب الأول: **هو وحدة مصدر التلقي**، وذكرنا شيئًا يسيرًا عن هذا، وطلبنا منكم أن ترجعوا إلى الباب الأول من كتاب (معالم في الطريق) تحت عنوان "جيل قرآني فريد" للشهيد –إن شاء الله– سيد قطب –عليه رحمة الله–.

- وذكرنا أن السبب الثاني: **هو الإحاطة اللازمة باللغة العربية**.

- وبسرعة نستطيع أن نضيف سببًا ثالثًا: **وهو التسليم لله –عز وجل– ولرسوله**؛ فكانت الأحكام والآيات تنزل على قلوبهم فلا يعترضون عليها لا بفهم سابق ولا بهوى؛ لأنه ما من شُبهة تقع في القلب إلا وتكون هذه الشبهة قد اختلطت بالشهوة؛ كما قال الله –عز وجل–: {إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى} [يونس/66]، فانظروا إلى ما يُضادّ الهدى الذي ذكره الله تعالى في الآية: {إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنّ}، وهذه هي الشُّبهة، {وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ} وهذه هي الشهوة، إذن لا يمكن أن يفارق المرء الهدى إلا بشهوة وشبهة، والتصاق الشبهة بالشهوة شيء عظيم، وشيء واقع ولا يفترقان.

ولكن الصحابة -رضي الله تعالى عنهم- وقع بينهم الاختلاف في بعض المسائل؛ كالمسائل الفقهية، ووقع بينهم الاختلاف بعد مقتل عثمان، ولا أريد أن أفصِّل في هذا، وإن كان سيأتي تفصيل في قضية أحداث الفتنة -إن شاء الله-، لما ترتَّب عليها من فُرقة بخروج الخوارج والشيعة عن خطّ سبيل المؤمنين.

الكتب التي تعد مرجعا لدراسة الفرق

الآن سنذكر الكتب اللازمة لطالب العلم التي تُعدُّ مَرجعًا لدراسة فِرق الإسلام، ومزاياها وما وقعت فيها من أخطاء -ولن يكون هناك بحث في موضوع الأديان المفارقة للإسلام كاليهودية والنصرانية والبوذية والمجوسية-.

الكتاب الأول:

(مقالات الإسلاميين واختلاف المُصلِّين) لأبي الحسن الأشعري:

أفضل كتاب، وهو مرجع جميع الدَّارسين فيمن بعده، ويعد الكتاب الأول في الحديث عن الفرق الإسلامية، وهو تقريبًا أول كتاب كُتب في موضوع الفرق، وصاحبه إمام وهو أبو الحسن الأشعري، وهذا الإمام تنتسب إليه طائفة ملأت ما بين الخافقين في المشرق والمغرب، وهي الفرقة التي يقال لها **الأشعرية**.

وأبو الحسن الأشعري ينتهي نسبه إلى أبي موسى الأشعري الصحابي الجليل -رضي الله تعالى عنه-، لن أتوسَّع بذكر حياته، لكنّ الرجل تربى في بيت زوج أمه (أبي هاشم الجُبَّائي)، وأبو هاشم هو ابن أبي علي الجُبَّائِي، وكلاهما إمامان في مذهب الاعتزال، فصار مُعتزليًا، وكان خطيبًا مفوَّهًا. وأبو هاشم الجبائي كان رجلًا قويًا في الكتابة، لكنه لم يكن قويًا في حديثه، فكان يُعِدّ أبا الحسن لكي يكون إمامًا في المناظرة، لكن أبا الحسن غيَّر مذهبه وخلع ثوب الاعتزال بعد أن بلغ الأربعين من عمره، فصعد على المنبر وقال: "من كان يعرفني فهو يعرفني ومن كان لا يعرفني فأنا أبو الحسن الأشعري، إني أخلع ثوب الاعتزال كما أخلع ثوبي هذا"، وخلع ثوبه على المنبر. -وسيأتي التفصيل عن المعتزلة وأنهم انقسموا إلى قسمين؛ معتزلة البصرة ومعتزلة بغداد، وسُنبيّن رجال كل مدرسة، وما الذي افترقت فيه المدرستان-.

فغير عقيدته من الاعتزال إلى مذهب **الكُلَّابية** -مذهب أبي سعيد الكُلّابي-، وهو ظن أنه انتقل من مذهب الاعتزال إلى مذهب أهل السنة والجماعة، نعم غيَّر كثيرًا من أقواله إلى أقوال أهل السنة والجماعة ولكن في الحقيقة لم يصل لمذهب أهل السنة كما سنبيّن في مذهب الأشاعرة، فلم يصل إلى ما هو عليه أهل السنة في خلوص وصواب آرائهم، بل بقي عند أبي الحسن الأشعري بعض الدَّخن.

وتحدثت سابقًا عن الأسباب؛ منهم من قال أنه رأى رؤيا؛ رأى رسول الله ﷺ فقال له: "لماذا لا تَنصُر مذهبي؟ لماذا لا تنصر سنتي؟"، فرجع، وقيل أنه ناظر أبا هاشم الجُبائي في موضوع وجوب الأصلح على الله في ثلاثة أبناء؛ اثنان منهما كبُرا، كان أحدهما كافرًا والآخر مسلمًا والثالث مات صغيرًا، -وقد شرحته في (أشرطة الإيمان)-.

المهم أن أبا الحسن الأشعري رجع عن الاعتزال وصار قريبًا من أهل السنة، ثم حدثت معه فتن، فلما دخل بغداد أعلن أنه على مذهب أحمد وأنه على طريقته، كما ألف كتابًا في هذا وسمَّاه (الإبانة)، لكنّ الحنابلة في بغداد لم يقبلوا منه قوله، وخرج إمام حنبلي شهير هو البَرْبَهاري، وهو إمام فيه جَلَد على السُّنة، وطرده من بغداد وقال له: "أنت لم تتغير".

وبعضهم قال أنه ألف كتابه (الإبانة) تَقَرُّبًا للحنابلة، وهذه الخصومة اضطرت هبة الله ابن عساكر أن يؤلف كتابًا سماه (تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى أبي الحسن الأشعري)، -لأنه من مدينة العسكر، ومدينة العسكر هي مدينة سامراء "سُرّ من رأى"، وسُمّيت مدينة العسكر لأن المعتصم عندما بناها جعلها خاصة العسكر؛ لأن العسكر كانوا من الترك فصاروا يَفْجُرون ويقابلون الإماء في بغداد، فبنى لهم مدينة سمّيت بمدينة العسكر سامراء "سر من رأى"-، ثم ردّ جماعة من الحنابلة على هبة الله ابن عساكر بألفاظ شديدة وقالوا له: "كذبت على الناس وسميت أقوامًا أنهم من الأشاعرة وهم ليسوا كذلك"، وبالفعل ابن عساكر هذا الإمام العظيم الدمشقي توسَّع كثيرًا في نسبة بعض العلماء إلى مذهب الأشاعرة وليسوا كذلك.

المهم أن أبا الحسن الأشعري إمام جليل عظيم، وله صولات وجولات في نصرة مذهب أهل الحديث، ولكنه لم يصل إلى الدرجة العالية في فهم مذهب أهل السنة، وسنبيّن أخطاءه فيما يأتي في ذكر الفرق، وقد ألف مجموعة من الكتب؛ ألف كتاب (رسالة إلى الثَّغر) و(الإبانة)، وألف (**مقالات الإسلاميين**)، ولا يوجد كتاب على ظهر الأرض يذكر الفرق

كما هي عند أصحابها كما هو هذا الكتاب، فهو كتاب أمين. وحتى كتاب (الفِصَل) لابن حزم عليه مؤاخذات كما سنذكر، والفِصَلْ جمع فِصْلَة وهي أصل النخلة.

ميزات هذا الكتاب:

فمزية كتاب (مقالات الإسلاميين) هي أن أبا الحسن الأشعري فصَّل في المذاهب والفرق وذكر أقوالها بالأمانة والدِّقة، وهذا يدل على شدة تحرّيه وعلى شدة أمانته.

وكان لا يُلْزِم المذاهب بأقوالهم، على خلاف ابن حزم الذي وقع في هذا الخطأ العظيم في كتابه (الفِصَل)؛ وهو أنه صار ينسب إلى المذاهب ما هو من لازم مذهبها، يعني الأشاعرة لا يُجَوِّزُون الظلم على الله ولكن هذا لازم مذهبهم بقولهم أنه يجوز للرب أن يُعذِّب الطائع، فلازم هذا المذهب أنه جائز على الرب أن يُعذب غير العاصي، فيذهب ابن حزم ويقول: "ومذهب الأشاعرة يقول بجواز فعل الظلم على الرب"، وهذا غير صحيح؛ فهو كان ينسب للمذاهب ما هو لازم للمذهب وليس من أقوال المذهب الأصلية، وسبق أن ذكرنا قول أهل العلم أن: "لازم المذهب ليس بلازم إلا إذا التزمه صاحبه، وإلا إذا كان اللازم حقًّا"، فلازم الحق حق، وهذا سيأتي تفصيله فيما يأتي.

فمزايا كتاب أبي الحسن الأشعري:

- **أولًا**: **السّعة**؛ فيأتي إلى مذاهب الشيعة يُفصّل فيها ويذكرها ذِكرًا مفصَّلًا، ثم يأتي إلى مذاهب المرجئة فيذكرها بالتفصيل، ثم يأتي إلى مذهب المعتزلة ويذكر أقوالهم بالتفصيل، حتى يذكر قول الرجل الواحد فيهم وما تميّز به عن المذهب، فهذه مزية لهذا الكتاب لا توجد في كتاب آخر.

- **المزية الثانية**: **العنوان** الرائع الذي سمّى به كتابه ولم يلتزم به أتباعه مِن بعده؛ فالأشاعرة والمتكلمون من بعده للأسف كفَّروا المُخالِف، ولكن أبا الحسن الأشعري سمّى كتابه (مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين)؛ فسمى المختلفين من بين هذه المذاهب "مسلمين" ولم يكفّره، ومما يؤيّد هذا ما ذكره البيهقي –والذهبي نقلًا عن البيهقي لكن بالإسناد الصحيح– أن أبا الحسن عندما حضرته الوفاة قال: "أنا لا أُكفِّر أحدًا من هذه الطوائف، فكلهم يُشيرون إلى معبود واحد"؛ فهم أرادوا الحق ويشيرون إلى معبود واحد مع اختلافهم في الفهم

عن الله، فلم يكفّرهم. قال الذهبي تعليقًا على هذه الكلمة: "وهكذا كان أحمد بن تيمية لا يُكَفِّر الطوائف المختلفة"، وهذا ردّ على أهل البدع الغلاة في تكفير المخالفين، فنحن لا نكفر جميع أهل البدع إلا من أجمعت الملة على تكفيرهم، فهذه مزية رائعة لهذا الكتاب.

- **المزية الثالثة**: **أنه من أقدم الكتب**؛ ولذلك ذكر المذاهب مِن أصحابها، فهو عاني مسألة المناظرة للمذاهب وعايش أصحابهم، فكما ترون هو عايش أبا هاشم الجبّائي وعايش المعتزلة، وعايش أصحاب الكلام، فهو يذكر مذاهبهم كما عايشها.

وشيخ الإسلام ابن تيمية –وهو من أعلم الناس بمذاهب الناس وبالفرق- كان يمدح كتاب (مقالات الإسلاميين) كثيرًا ويأخذ منه صفحات ويثق بنقله. وقد قيل عنه –شيخ الإسلام-: "كان أهل المذاهب يحتاجون له لمعرفة مذاهبهم"، وفي مناظرة الواسطية التي وقعت في مصر؛ أحضَروا له الواسطية فناظروه بحضور صفي الدين الهندي وبحضور ابن مخلوف المالكي، فناقشه رجل في موضوع لماذا سمُّوا بـ"أهل الكلام" –كما سيأتي في شرحنا لأول المذاهب حدوثًا-، فرد عليهم وقال في معرض كلامه: "وأنا أعلم كل مذهب متى حَدَث ومَنْ أَحدَثه"، فردَّ على مخالفه بأن ذكر عن نفسه ما هو مُتيقَّن منه؛ أنه يعلم كل مذهب متى حدث في تاريخ الإسلام.

ما يُعاب على هذا الكتاب:

هو ما يُعاب على صاحبه؛ بأنه لم يكن بصيرًا ولا حاذقًا ولا خبيرًا بمذهب أهل الحديث، فوقع في بعض الأخطاء بنسبة بعض الأقوال لأهل السنة ظانًا أنها لأهل السنة وهي ليست لهم، هذا خطأٌ وقع فيه هذا الكتاب فاجتنبوه.

وطبعا هذا الكتاب لم يُذكر فيه إلا مذاهب الإسلاميين وما اختلف أهل القبلة فيه، فلم يذكر فيه مقالات النصارى ولا اليهود ولا المجوس.

الكتاب الثاني:

(الفِصَل في المِلل والأهواء والنِّحَل) لابن حزم:

الكتاب الثاني الذي يُعد مرجعًا في الفرق هو **كتاب ابن حزم (الفِصَل في الملل والنحل)**، وابن حزم إمام باقِعَة متَّسِع العلوم وله دراسات، وهو لم يكن يعرف اللاتينية –وهذه سنذكرها في قضية ترجمته لبعض نصوص التوراة–، فهو إمام متسع، كما يقال اليوم: "موسوعيّ"، أو كما يقول سلفنا بدل موسوعة: "الجَمْهَرة"، فاللفظ العربي القديم لكلمة موسوعة هو الجمهرة.

فكان ابن حزم جمهرة، وأبو محمد علي بن حزم إمام عظيم، ومن سوء حظه أنه لم يخرج من عَدْوَة الأندلس فوقع في بعض الأخطاء؛ فلعدم حجّه كثُرت أخطاؤه في الحج، والمرء إن لم يحُجّ تكثر أخطاؤه، وكذلك من أخطائه أنه لم يأتِ للمشرق ولم يعرف المذاهب عند أهلها بل كان يعرفها مما يصل إليه.

ما هي ميزات كتاب الفصل؟

- **أولًا**: هو كتاب قديم يتحدَّث عن المذاهب قريبًا منها.

- **ثانيًا**: نَفَس صاحبه نَفَس مُحَدِّث؛ أي يُعظِّم السنة.

- **المزية الثالثة**: ما ذكره باتساع في كتابه للمذاهب غير الإسلامية؛ فذكر مناقشته للملحدين، وذكر مذاهب اليهود والنصارى والمجوس والسُّفسطائيين والفلاسفة، وإلى ما هنالك من المذاهب، فهذه ميزة لهذا الكتاب.

- **رابعًا**: شدة لفظه على المبتدعة، وخاصّة على المرجئة، وقد مدح ابن تيمية هذا الموقف من أبي محمد علي بن حزم –عليه رحمة الله–، مدح هذا المواقف منه من شدة سطوته وبلائه على المرجئة.

- **خامسًا**: أنه كثيرًا ما يذكر الدليل في المسألة ويحتجّ بالأدلة، وهذا يفتقده كتاب (مقالات الإسلاميين)؛ لأن أبا الحسن الأشعري ليس من أهل الحديث، فلا تجد فيه مناقشات، فـ(مقالات الإسلاميين) لأبي الحسن لا يوجد فيه إلا الأقوال ولا يناقشها ولا يرد عليها ولا يبحث فيها، لكن ابن حزم يذكر القول ويناقشه، فهذه مزية لهذا الكتاب؛ لأن الكثير من الذين يقرؤون لأبي الحسن الأشعري ربما تروج عليهم هذه المذاهب، لكنه إذا قرأ لابن حزم عرف وعلم من كلامه بطلان هذه المذاهب، فهذه مزية لهذا الكتاب أنه يأتي بالمذهب ويرد عليه.

بل في الحقيقة أن كتاب ابن حزم ليس لذكر الفرق؛ فهو لم يؤلّفه لذكر الفرق بل ألفه للرد على الفرق وإثبات عقائد الإسلام، وابن حزم تكلم كثيرًا في العقائد، فـ(المُحلّى) مثلًا المسائل العشرة الأولى تقريبًا فيه كلها في موضوع العقائد، وله كتاب (النُّبذة الكافية في أصول الدين) وهو في العقائد، وله كتاب اسمه (الدُّرة فيما يجب اعتقاده)، وهذه الكتب كلها مطبوعة، بالرغم أن ابن حزم قد حُرقت كتبه وفقدت الأمة كتابه العظيم الجليل الذي لا يوجد له مثيل وهو كتاب (الإيصال)، الذي قال عنه: "ما تركت قولًا في المشرق والمغرب منذ بعثة النبي ﷺ إلا وذكرته فيه"، و(المحلى) الذي بين أيدي الناس هو اختصار لكتاب (الإيصال)، تصوَّر، (المحلى) هو اختصار! طبعًا لم يختصره كله إنما اختصر بعضه وجاء ابنه أبو رافع فأتمه.

فكتاب (الفِصَل) في الحقيقة لا نستطيع أن نعدّه كتابًا لذكر الفرق؛ بل هو كتاب معارضة ومناظرة للفرق، فهذه مزايا هذا الكتاب.

ماذا يؤخذ على ابن حزم؟

- **أولًا**: بعض أخطائه في موضوع العقائد؛ فهو في موضوع الأسماء والصفات على خلاف ظاهريته، ولذلك قال ابن كثير في (البداية والنهاية): "وابن حزم جهميٌّ جَلد"؛ لأن ابن حزم يُثبت الأسماء ولكن يُجرِّدها من معانيها، وهذا مذهب باطل فاسد، والذي اضطر ابن حزم إليه هو قراءته لكتب الفلسفة.

- **الشيء الثاني**: الذي وقع فيه في بعض المسائل الاعتقادية على خلاف أقوال جمهور أهل الحديث؛ كقوله أن أفضل الصحابة بعد النبي ﷺ هن نساؤه، وهذا خطأ، وبعض الأخطاء في موضوع اللغات، فالمهم أنه ليس كل ما ذكره ابن حزم في (الفصل) مؤيّدًا إياه على طريقة أهل الحديث؛ بل يُعاب عليه بعض الأخطاء.

- **الخطأ الثالث**: الذي يُجتنب في (الفصل) أن ابن حزم كثيرًا ما ينسب إلى المذاهب –وخاصة للأشاعرة– ما ليس من مذهبهم ولكنه من لازم مذهبهم، لذلك خطّأه كثير من الأشاعرة، ولو قارنت بين ما نسبه إليهم وبين ما في كتبهم لوجدتهم لا يقولون بما نسبه إليهم؛ لأنه نسب إلى الأشاعرة ما هو من لازم المذهب وليس من أقوال الأشاعرة في المذهب.

وهذا الكتاب مطبوع ولكن إلى الآن للأسف لم يُحقَّق التحقيق اللازم، طُبع عدّة طبعات ولكنها مأخوذة من بعضها البعض، وأقدمها ما كان على هامشه الكتاب الثالث الذي سأذكره وهو كتاب (الملل والنحل) للشهرستاني.

الكتاب الثالث:

(المِلَل والنِّحَل) للشَّهْرَسْتَانيّ:

الشهرستاني من المتكلمين، وعلى مذهب الأشاعرة، وتستطيعون أن تعرفوا ما عنده من أخطاء خاصة عند قوله: "وقال أهل السنة".

ميزة الكتاب:

في كتاب الشهرستاني **ميزة لا توجد في كتاب آخر** قط أبدًا؛ هو أن الشَّهرستاني اطَّلع على رسائل الباطنية التي كُتبت باللغة الفارسية فترجمها ونقلها وسجَّل في كتابه كثيرًا من هذه المذاهب التي أخذها من كتبهم، ولذلك ميزة كتابه أنه من أفضل الكتب في تعرفة القارئ والباحث والمتعلم بمذهب الباطنية؛ لأنه اطلع على رسائلهم وترجمها بنفسه.

أما أخطاؤه:

فهو يقول: "قال أهل السنة"، "هذا مذهب أهل السنة"؛ وليس هذا مذهب أهل السنة وإنما هو مذهب الأشاعرة والمتكلمين، ولذلك يُجتَنَب.

وللأسف في موضوع الأسماء والصفات؛ عندما يأتي إلى أهل الحديث يسميهم **بالحَشَويَّة** –على عادة المعتزلة والمتكلمين بتسمية أهل السنة بالحشوية–، والحشوية لها معنيان؛ المعنى الأول: حَشْو الناس، أي أطرافهم وسَفَلتهم وسَقَطُهم، فالمتكلمون يسمون أهل الحديث بالحشوية أي حشو الناس، والمعنى الثاني للحشوية: هو السُّوقة، أي الذين يسمعون ولا يفهمون، فالمعتزلة يسمون أهل الحديث بالحشوية، وهو للأسف جرى على هذا المجرى في كتابه.

الكتاب الرابع:

(الفَرْقُ بين الفِرَق) لأبي منصور البغدادي:

الكتاب الرابع الذي سأختم به هو كتاب (الفَرق بين الفِرق) لأبي منصور البغدادي؛ وهو كتاب على طريقة المتكلمين.

ميزة الكتاب:

لم أرَ في الحقيقة في هذا الكتاب مزية إلا ما يُذكر من المذاهب والفرق، وفيه بعض المناقشات للمخالفين، حتى أن أهل الحديث من المخالفين له فيناقشهم، فالكتاب يفيد في موضوع معرفة الجدل الكلامي، وهذا فن ينبغي لطالب العلم المتبحِّر ألا يُضيَّعه ويتعرَّف عليه ويعرف كيف تتم المناظرات، ففي الكتاب مناقشات وفيه ذكر مذاهب الآخرين وطريقة الرد عليهم، ولكنه لم يأتِ بجديد في ذكر المذاهب.

إنما يؤخذ عليه أن:

شره –أي شر أبي منصور البغدادي– أكثر من شر الشهرستاني، بالرغم من أن الشهرستاني متَّهم بالتشيُّع، ذكر شيخ الإسلام عن الشهرستاني أنّ فيه تشيّعا وفي كلامه ميل إلى مذهب الشيعة، بخلاف أبي منصور البغدادي فإنه يُكفِّر المخالفين، فيقول في كتابه (الفرق بين الفرق): "كل الذين يخالفوننا كفار"، ويجعل ديارهم ديار كفر وردّة ويبيح أموالهم، ويُقرّر قاعدة وهي أنّ "كل من كفَّرَنا كفّرناه"، ولكن الكتاب كذلك مرجع لمعرفة المذاهب وخاصة على طريقة المتكلمين.

كتب أخرى:

هذه تقريبًا أهم الكتب، وطبعًا هنالك كتب متأخرة وبعضها معاصر –لا تهتموا بها كثيرًا لأنها لا تفيد–.

ومن الكتب التي ينبغي عليكم أن تتعرفوا عليها لمعرفة المذاهب والفرق طبعًا **كتب ابن تيمية** فهي كتب مهمة وخاصة كتبه التالية:

- (**الرد على المنطقيين**)، وهذا كتاب جليل مهم جدًا على طالب العلم ألا يفوته، طُبع عدة طبعات قديمة هندية، وطُبع في مجلدين في طبعة لبنانية، وطبع عدة طبعات أخرى.

- والكتاب الثاني الذي هو أصغر منه هو كتاب (**نقض المنطق**) الذي اختصره السيوطي، فهذه تُعرِّفكم بمذاهب الفرق الكلامية.

- ولمعرفة مذهب الشيعة كتاب (**منهاج السنة النبوية**).

- ولمعرفة مذاهب المتكلمين والفلاسفة كتاب (**درء تعارض العقل والنقل**) فهو يناقش كتاب (الخمسون في أصول الدين) وكتاب (أساس التقديس) وكلاهما للرازي، وسنتحدث عنه لأن الرازي يُعد مَعلمًا من معالم مذهب المتكلمين الأشاعرة.

بالنسبة **لكتب الرافضة**؛ فكتاب واحد يكفيكم لمعرفة هذا المذهب من كتب أصحابه، وهو كتاب (**فِرَق الشِّيعة**) للنُّوبَختي، كتاب صغير ولكنه جامع، وهو من أقدم كتب الشيعة في تعرفة مذاهب الشيعة، وسأتحدث عنه عندما أتكلم عن الرافضة لأهميته، فهو كتاب مهم، ومطبوع في عدة طبعات، وأُضيفت عليه بعض الإضافات من تلميذ له، وهذا الكتاب (فرق الشيعة) للنوبختي هو كتاب مطبوع ومعترف به حتى عند الشيعة أنفسهم، وفيه مزايا مهمة.

من **مزايا هذا الكتاب** أنه يُعرِّفك بالحالة العجيبة التي عليها الشيعة؛ وهي أنه ما من إمام من أئمتهم يموت إلا وينقسم المذهب إلى قسمين، هكذا بعد كل إمام يموت ينقسم، وهكذا تبقى شجرة الانقسام تتَّسع وتفيض، فهذا الكتاب يشرح هذا الأمر شرحًا مهمًا.

ولا أريد أن أشجّعكم على قراءة كتب المتكلمين لأنها كتب دقيقة في عباراتها وشديدة وكلاميّة إلا للمتمرس فيها، مثلًا كتاب (**شرح الأصول الخمسة**) للمعتزلة، وهو كتاب مطبوع وموجود للقاضي عبد الجبار، وسأتكلم عن أصول المعتزلة الخمسة التي لا يصح للرجل أن يكن معتزليًا إلا بالإيمان بهذه الأصول، ولكن إذا أردت الفرق وأسماءها ورجالها فاقرأ كتاب (**طبقات المعتزلة**)، وهو كتاب صغير كذلك يعادل كتاب (فرق الشيعة) للنوبختي.

كذلك من الكتب المهمة التي تُسلّيك في هذا وتُعرِّفك بالمذاهب والفرق والأقوال كتاب (**الفهرست**) لابن النديم، وهو من أقدم الكتب، وفيه اعتزال، وسنمر عليه ونذكر بعض أقواله، خاصَّة أنه يُعرِّفنا بكتب الزنادقة.

كتب الزنادقة ضاعت فلا وجود لها اليوم؛ إلا ما حُقِّق متأخرًا وهو كتاب (التَّاج) لابن الراوندي، حقّقه شخص سعودي اسمه الأعسم، وكذلك جُمعت بعض النصوص للزنادقة من قِبل عبد الرحمن بدوي، لأن كتب الزنادقة ذهبت.

ومرجع كتب الزنادقة في تاريخنا ترجع للشخوص التالية:

أولًا: ابن الراوندي، وله كتاب اسمه (الزمردة) ضاع ولكن بقيت منه بعض النصوص موجودة في كتب المعتزلة، وهذه ميزة لكتب المعتزلة، نذكر لهم هذا الفضل، وأئمتنا قد مدحوا المعتزلة فقالوا أن المعتزلة كانوا من أشد الناس سطوة على الزنادقة، وفي الحقيقة لم يقف للزنادقة أحد كما وقف المعتزلة، وسنذكر هذا الفضل لهم، وهذا ذكره شيخ الإسلام في عدة مواطن؛ أن الذين وقفوا للزنادقة إنما هم المعتزلة، بالرغم أنهم أفسدوا بهذه المناظرة واضطروا لأقوال باطلة، ولكنهم في الحقيقة استطاعوا أن يكبتوهم.

فكتاب (الزمردة) هذا توجد منه نصوص موجودة في كتاب (تاريخ الإلحاد) ترجمه عبد الرحمن بدوي، وكذلك الأعسم السعودي في كتاب ابن الراوندي جمع نصوصًا من كتب المعتزلة ومن كتب أهل السنة وماذا قال الزنادقة في تاريخنا، أو كيف حاولوا أن يناقضوا القرآن وأن يردُّوا عليه، فهذا كذلك من الكتب المهمة.

الرجل الثاني: هو أبو عيسى الورّاق، أبو عيسى الوراق ليس له كتب، لكن وُجدت له بعض النصوص في كتب المعتزلة، وسنتكلم بالتفصيل عن الحروب التي حدثت بين المعتزلة وبين ابن الراوندي؛ لأنه سبَّهم وألف كتابًا في شتم المعتزلة فردُّوا عليه.

وبعض أهل العلم يجعل من تراث الزنادقة **كتب أبي حيان التَّوحيدي** وهذا خطأ وغير صحيح، الكتب الموجودة الآن لأبي حيان التوحيدي لا نجد فيها الزندقة إلا كتابًا مطبوعًا أنا لم أقرأه إلى الآن، وهو كتاب (الإشارات الإلهية)، أرجو أن أُوفَّق لاقتنائه وقراءته، فأنا لم أطّلع عليه ولكن بعض الإخوة يقول أن فيه زندقة، أما الكتب الموجودة بين يديّ لأبي حيان التوحيدي فليس فيها زندقة.

يجب أن تفرِّقوا بين رجلين؛ فهناك أبو حيان الأندلسي المفسِّر العظيم الإمام صاحب تفسير (البحر المحيط)، أبو حيان الأندلسي إمام مالكي مفسِّر، وله تفسير آخر اسمه (النهر المادّ).[30]

القصد أن كتب أبي حيان التوحيدي -التي أنا قرأتها- جيدة في الحقيقة، وكتابه (الإمتاع والمؤانسة) هو كتاب مهم لأنه الكتاب الوحيد على ظهر الأرض الذي يُعرِّفنا خبر (إخوان الصَّفا وخِلّان الوفا)، فإخوان الصفا لا نعرفهم إلا من رسائلهم، وسأذكر هذه الرسائل وما فيها من أمور مما قرأتها وعرفت ما فيها، فنحن لا نعرف إخوان الصفا إلا من كتبهم، والناس اضطربوا في أخبارهم، ولكن كتاب (الإمتاع والمؤانسة) لأبي حيان التوحيدي يذكر لنا أخبارهم، وهو كذلك كتاب جليل في ذكر المناظرة الرائعة التي قامت بين يونس بن متّى وبين أبي علي السِّيرافي، في المناظرة ما بين المنطق اليوناني واللغة العربية، وهذه مناظرة جليلة في الحقيقة أحب أن أصورها لكم وأن تقرؤوها، مناظرة من أمتع ما يكون ومن أفضل ما يكون ولو لم يكن في كتاب (الإمتاع والمؤانسة) إلا هذه المناظرة لكان كتابًا جليلًا.

الكتاب الثاني له هو (المُقَابَسات)، وهناك كتاب آخر ذهب عني.

وبعضهم يذكر أن **كتب أبي العلاء المعري** من كتب الزنادقة، والحق أن المسألة ليست بهذا الوضوح، وأنا من المترددين في الحكم على أبي العلاء المعري، كتابه (اللزوميات) ليس فيه إلا إشارات في سبّ بعض المتدينين كالشيعة، فيسب الشيعة كثيرًا، ويسب اليهود، ويسب بعض غلاة الصوفية، فربما فُهمت منه على غير مراده.

لكن في الحقيقة كتابه السيئ (رسالة الغفران) يُقرأ للأدب، ويُقرأ للمناظرة، وتفتيح الذهن، ومعرفة الغوص للشعراء، ولكنه كتاب سيء لأنه يُدخل شعراء الجاهلية في الجنة، يُدخل امرؤ القيس وطرَفَة في الجنة! فهو كتاب سيء في هذا

---

[30] **وهناك لفتة بينه وبين ابن تيمية؛ أبو حيان الأندلسي كان إمامًا باللغة وقابل ابن تيمية وتعلم منه وبُهر بعلمه ومدح ابن تيمية أولًا، ومرة تناقش أبو حيان الأندلسي مع ابن تيمية في مسألة لغوية، فأراد أبو حيان أن يُحاجّ ابن تيمية فقال له: "ولكن هذا القول يقول به سيبويه في كتابه (الكتاب)"، فأراد أن يُسكته لأنهم يعدُّون سيبويه الإمام، وابن تيمية كان في الحقيقة حادًا؛ كما قال الذهبي: "ولو ترفَّق بالمخالف لأجمع عليه الناس"، فكان فيه حِدّة، وكان عندما يناقش قال: "يصُكُّ مخالفه صكَّ الجندل"، فقال له ابن تيمية: "اسكت أنت لا تفهم، سيبويه أخطأ في ثمانين موطنًا في كتابه (الكتاب) لا تعرفها أنت ولا غيرك من أهل الأرض"، فلم يتحمَّل أبو حيان هذا، فخرج وألف قصيدة في ابن تيمية مسح فيه السكين! رحم الله أئمتنا.**

الباب، وطبعًا (رسالة الغفران) تُرجم حتى يذكر بعضهم أن الشاعر الإسباني الشهير دانتي قد سرق هذا الكتاب، فهو كتاب جيد في الأدب ولكنه كتاب باطل في المذهب.

ولكن هل يعد أبو العلاء المعري زنديقًا أو لا؟

أنا كنت أنفي زندقته حتى رأيت خبرًا عن أبي عمرو بن الصلاح، وهو ابن الصلاح الإمام الشافعي الشهير الكردي صاحب (مقدمة ابن الصلاح)، وهو الذي رد عليه الآتي؛ والذي يدل على أن أبا العلاء المعري كان ينفي حكمة الرب في التشريع، قال:

يــدٌ بخمــسِ مئــينٍ عَسْــجَدٍ وُدِيَــتْ ... مــا بالُهــا قُطعــت فــي رُبــع دينــارِ؟!

يعني تقطعون اليد في نص دينار وديتها 500 دينار ذهبي؟! فأبو عمرو بن الصلاح قال له: "لـمّا كانت أمينة كانت ثمينة فلما خانت هانت"، فهذا جعلني أتوقَّف من تبرئته، على كل حال أفضى إلى ما قدَّم ولم يبقَ لنا إلا كتبه وأدبياته وهي ممتعة يستفيد المرء منها في تنشيط أذهانه، ولعلكم قرأتم في (المنهاج) من الذي يتهمه ومن الذي يبرئه، فالمعركة طويلة وإلى الآن مستمرة، فلست مستعدًا أن أضيع الوقت من أجل أن نحكم هل أبو العلاء في جهنم أو في الجنة، فالرجل أفضى إلى ما قدَّم، وهو عند ملك عادل رحيم أعلم به من غيره.

والقصد أن الإشارة لهذه الكتب هي حتى ترجعوا إليها من أجل الإحاطة بالمذاهب والفرق، وهناك كتب أخرى في مذاهب الفرق الحاصلة في تاريخنا؛ **كمذاهب الإلحاد؛ الدِّيصانية والسَّمْنِية والمَزْدَكيَّة**، والتي وإن كانت موجودة قبل الإسلام، ولكنها بقيت حتى قاتل أهل الإسلام بقاياها في زمن الدولة العباسية، فالقصد أن ترجعوا لهذه الكتب وتنتبهوا إلى مذهب أصحابها وإلى أقوالهم.

وبارك الله فيكم، نسأل الله -عز وجل- أن يوفِّقني وإياكم لما يحبه ويرضاه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

4

بسم الله الرحمن الرحيم، إن الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلله فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى صحبه الغر الميامين، وعلى من تبعهم بإحسان وهدى إلى يوم الدين، جعلنا الله -عز وجل- وإياكم منهم، آمين.

مراجعة لما سبق:

هذا هو الدرس الثالث في موضوع الفرق الإسلامية، وتكلمنا في الدرس الأول عن الأسباب التي منعت حدوث التفرُّق في مسائل الاعتقاد في أصحاب النبي ﷺ، ولم نتكلم في الحقيقة عن أسباب حدوث الخلاف بين الصحابة -رضي الله تعالى عنهم- في موضوع الفقه والفروع، وهذا باب من أبواب العلم؛ أي معرفة أسباب اختلاف الصحابة -رضي الله تعالى عنهم- في الفروع الفقهية الاجتهادية، ثم تكلمنا في الدرس الثاني عن أهم الكتب التي تُعد مراجعًا في الفرق الإسلامية، وقلنا أن أفضل الكتب في هذا الباب هو كتاب (مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين) لأبي الحسن الأشعري، وذكرنا بعض مزاياه، وهو أفضل الكتب التي ذكرناها، وطبعًا أبو الحسن الأشعري له كتاب في اختلاف غير المصلين أي في اختلاف الملحدين، هذا الكتاب لم يصل إلينا ولا يعرفه الناس في هذه الأيام، ولكن أبا الحسن الأشعري ذكر كتابه هذا وذُكر في تراجمه؛ سواء في (طبقات الشافعية) للسُّبكي الابن، أو في (تبيين كذب المفتري) الذي توسَّع فيه هبة الله ابن عساكر في ترجمة أبي الحسن الأشعري.

وقلنا أن الكتاب الثاني الذي يعد في الفضل -وهو كذلك في التاريخ تقريبًا- هو كتاب ابن حزم (الفصل في الملل والنحل)، وذكرنا خصائصه، ونبَّهنا على بعض أخطاء صاحبه، وقلنا أن الخطأ الأكبر الذي وقع فيه هذا الكتاب بالنسبة لتعريف قارئه بمذاهب الناس هو أنه نسب لبعض المذاهب ما ليس في مذاهبهم وإنما هو من لوازم مذاهبهم.

وذكرنا الكتاب الثالث وهو كتاب أبي منصور البغدادي؛ عبد القاهر البغدادي التميمي، وهو كتاب (الفرق بين الفرق)، وهذا الرجل من المتكلمين وكان مناظرًا متكلمًا له التآليف في المعقولات -كما يسميها أهل الفنون-، وله

كتابان مطبوعان؛ الكتاب الأول هو (أصول الدين)، والكتاب الثاني هو (الفَرْق بين الفِرَق)، وقلنا أن هذا الكتاب بالرغم من أنه تكلم عن الاختلاف بين الأمة الإسلامية، وتكلم عن المذاهب وعن الفرق وفصّل فيها تفصيلًا جيدًا في الحقيقة، وذكر مذهب أهل الحديث، وذكر مذهب أهل السنة، ولكنه أخطأ حين جعل ما قاله الأشاعرة هو عين ما عليه أهل السنة، وبينهما اختلاف.

وذكرنا كتاب (الملل والنحل) للشهرستاني؛ أبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني؛ نسبة لشهرستان وهي من خراسان، وقلنا أن مَزِيّة هذا الكتاب أنه ترجم لنا بعض رسائل الباطنيّة، وللذكر فالشهرستاني نفسه كان على مذهب الباطنية، قلت أنه كان شيعيًا، وهو متَّهم بكونه إسماعيليًا، حتى ذُكِر في ترجمته أنه كان يُدرّس فقيل له: "لقدت تعودنا من الفقهاء أن يذكروا في دروسهم قول الشافعي وقول أبي حنيفة وكذا، فلماذا لا تذكر هذا"، فقال: "أنا آتيكم بالدرر وأنتم تأتوني بالبصل والثوم"؛ يسب أقوال الأئمة!

فالرجل متهم في الحقيقة، وفي ترجمته في السِّير ذكر لهذا، وإن حاول السبكي –كعادته– أن يرد على شيخه الذهبي في ترجمته وحاول أن يبرّئه، ولكن الرجل في ترجمته عليه كلام في تاريخه وفي كتابه هذا، ولكن كتابه جيد في معرفة مذاهب الباطنية.

ذكرنا كتاب النوبختي (فرق الشيعة)، وقلنا أنه كتاب مهم جدًا، وشيخ الإسلام كثيرًا ما أخذ منه معرفة مذاهب الشيعة في كتابه (منهاج السنة)، نقل منه الصفحات.

وهذه الكتب التي ذكرتها كلها مطبوعة.

كتب تعرف بالباطنية:

الباطنية تستطيعون أن تراجعوا أقوالهم في كتاب الشهرستاني، وفي كتاب أبي حامد الغزالي (**فضائح الباطنية**)، وهو كتاب جيد لأن أبا حامد صار باطنيًا يومًا؛ ذكر في كتابه (المُنقِذ من الضلال) أنه دخل مذهبهم وصار منهم، فما يقوله عنهم يقوله بمعرفة وبمعايشة وباطلاع، وبعض كتبه الأخرى عليها ملاحظات، ولكن كتابه (فضائح الباطنية) كتاب جيد ليس فيه ما يُنتقد عليه إلا ما ذكره في موضوع الإيمان؛ فهو يخطئ في تفسير الإيمان عما عليه أهل السنة والجماعة كون الرجل كان أشعريًا ومرجئًا في باب الإيمان.

كتب تعرف بالزنادقة:

ذكرنا بعض كتب الزنادقة وقلنا أنها كتب بادت وذهبت ولم يبقَ منها كتاب، لكن بعض ألفاظهم وأقوالهم مبثوثة في كتب المعتزلة، مثل كتاب (**المغني في أبواب التوحيد والعدل**) للقاضي عبد الجبار؛ إمام المعتزلة الذي حفظ مذهبهم، وهو كتاب كبير لا يوجد منه تقريبًا إلا خمس مجلدات فقط وهي مطبوعة، وله كتاب آخر وهو (شرح الأصول الخمسة)، وهي عُمَد وأصول وأركان مذهب الاعتزال.

كتب تعرف بالدُّرُوز:

الدُّرزيّة كتبها موجودة، ونشر مذاهبهم بعض رجالاتهم، فكتاب (**عن الدروز**) كتبه سفير سوريا في ذلك الوقت في البرازيل وكان درزيًا، ثم قُتل بسبب كتابته. والكتاب موجود، وبعض (**رسائل الحكمة**) كذلك موجودة عندي مخطوطة لها.

أما كتاب (**المصحف المنفرد بذاته**) فهذا كتاب عن الدروز، وهو في الحقيقة مفقود لا وجود له، تَرَّبَه كمال جنبلاط، وكشف هذه الحقيقة محمد علي الزعبي صاحب كتاب (الماسونية في العراء)، كتب كتابًا عن الدروز، ولجبنه لأنه كان سوريا هاربًا من سوريا إلى لبنان وكان بينه وبين كمال جنبلاط صداقة؛ لم يستطع لخوفه من كمال جنبلاط أن يذكر اسمه، فكتب عن الدروز، وهو كتاب موجود، أنا اطلعت عليه وهو من مقتنيات بعضهم، لا أريد أن أذكر اسمه، وكان يفاوض على بيعه ولكن ذكر سعرًا كبيرًا فيه، أي صورة عنه.

وأفضل الكتب في بيان الدروز هو كتاب (**الحركات الباطنية في العالم الإسلامي**)، وهو كذلك لصاحب كتاب (**عقيدة الدروز دراسة وتقويم**) محمد أحمد الخطيب، وهو دكتور إن شاء الله على خير، يدرّس في الجامعة الأردنية، وهو ابن صاحب مكتبة الأقصى أحمد الخطيب، وقد تعرض للاغتيال من قبل الدروز في الأردن.

فهذه كتبهم، كذلك من مراجع عقيدة الدروز كتب شيخ الإسلام، وإن كان شيخ الإسلام لا يذكر أنهم دروز لأن هذا الاسم متأخر، وليس صحيحًا نسبة هذا الاسم لمحمد بن إسماعيل الدَرَزي، إنما هو نسبة لجنرال صليبي زمن صلاح الدين، قاتله جند صلاح الدين وهرب إلى جبل الدروز، إلى وادي تيّم، والذين كانوا يقولون عن أنفسهم:

"مذهب الموحدين"؛ لأنهم يقولون بالنفي المطلق، وهذا الجنرال اسمه (دُورُو) فالنسبة (دُورُوْز)، فصار الناس يقولون عنهم (دوروز)، ثم للتسهيل وقعت (دروز)، فالمهم أنه لا يوجد في كتب الفرق القديمة ذكرٌ قط لكلمة (دُرُوز)، فهذه كلمة متأخرة.

كتب النُّصيرية

وأمّا النُّصيرية فموجود ذكرها خاصّة في كتب الشيعة؛ لأن زعيمهم وهو محمد بن نُصير النُّميري -وهو نميري ولاءً وليس نسبًا-، قد خرج من مذهب الشيعة الروافض، ولهذا هم يكفّرونه، ثم لمّا قامت الثورة الإيرانية زعموا أن الروافض اليوم يكفّرون النصيريين، قديمًا نعم، أمّا الآن فمذاهب الرافضة -في إيران وفي غير إيران في لبنان وباكستان- هي عينها مذهب النصيريين.

فمن مراجعهم كتب الشيعة ككتاب (**فِرَق الشيعة**)، ومن مراجعهم كذلك كُتْب شيخ الإسلام؛ تكلم عنهم في عدة مواطن وفصّل فيهم؛ لأن الدروز والشيعة كانوا على الدوام في بلاد الشام شوكة في جنب العالم الإسلامي، وعندما جاء التتار بقيادة قازان -وقبل قازان بقيادة هولاكو-؛ دخلوا مساجد المسلمين وشربوا فيها الخمر وسرقوا نساء المسلمين، المهم أن شيخ الإسلام ذكرهم في عدة مواطن، ولما صارت الثورة الجهادية في سوريا؛ بعضهم -خاصّة جماعة الطليعة- أخذوا كلام شيخ الإسلام وأفردوه في مصنف خاص.

كتب تعرف بالإسماعيلية:

أما الإسماعيلية فمن مراجعها كتبهم وهي موجودة ومطبوعة، اعتنى بها عارف تامر، هذا من رجالاتهم اليوم، اعتنى بكتبهم وخاصّة كتاب الإسماعيلية المسمى بـ(**راحة العقل**) للكِرماني وهو من أشهر كتبهم، وهو كتاب موجود عندي.

وقد ألّفه لتعريف الأمة بمذهب الإسماعيلية ضد مذهب الدروز في تأليه الحاكم بأمر الله الفاطمي؛ لأن الخصومة بين الإسماعيلية والدروز قديمة.

كذلك من أهم الكتب التي تكلمت عنهم كلام شيخ الإسلام؛ وأسماؤهم متعددة قد يقال لهم **الإسماعيلية**، قد يقال لهم **القرامطة**، قد يقال لهم **الباطنية**، وقد يقال لهم **السَّبعية** -تفريقًا لهم عن الاثني عشرية-.

وكتاب (**الحركات الباطنية في العالم الإسلامي**) كتاب مهم -ذكرناه-، كذلك فيه ذِكر للإسماعيلية والباطنية، وقلنا أنه رسالة دكتوراة للدكتور لمحمد أحمد الخطيب.

فهذه تقريبًا الكتب، وإن كانت الكتب كثيرة، ولا يستغني طالب علم عن كتاب، وبعض الإخوة يأتي يسأل عن كتاب جامع لشيء ما، وهذا غير موجود، لا بد لطالب العلم الذي يريد العلم أن يقضي عمره بالقراءة، ففي كل يوم تخرج كتب وتخرج مخطوطات تعرّفك بما فيها.

طبعًا هنالك مذاهب لا وجود لكتبٍ لأهلها وسأذكرها، وهي مذهب **الكَرَّامية** الذين يقال عنهم المجسمِّة، ولذلك نحن نشكِّك في أقوال خصومهم أنهم من المُجسمّة، هذه فرقة لا وجود لكتب لأهلها ولرجالها.

اختلاف الصحابة بعد وفاة النبي -صلى الله عليه وسلم-:

بعد وفاة النبي ﷺ اختلف الصحابة خلافات معيّنة **ولكنها ليست عقدية**؛ فعمر -رضي الله تعالى- عنه كان يعتقد أنه لن يموت النبي ﷺ حتى لا يبقى على وجه الأرض مشرك لقول الله تعالى: {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ} [الجمعة/2]، ولتفسيره لكثير من الآيات أن الرسول لن يموت حتى ينقمع الشرك من الأرض، فلما مات النبي ﷺ قال عمر: "إنه لم يمت ومن قال أنه مات سأضرب عنقه، ولكنه قُبض وسيعود"، فهذا قول بالرَّجعة في الحقيقة، ولكنه عندما قرأ عليه الصديق -رضي الله عنه- قوله سبحانه وتعالى: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ} [آل عمران/144]؛ قال عمر: "كأني أسمعها لأول مرة"، بالرغم أن عمر -رضي الله عنه- من حفظة كتاب الله -عز وجل-.

وحدث خلاف والنبي ﷺ على فراش الموت؛ فالناس صاروا يتحدثون من يكون بعده؟ فالخلاف في الإمامة -كما ترون- هو أول سؤال تبادر إلى أذهان الصحابة والنبي ﷺ على فراش الموت، العباس دفع عليًا وقال له: "يا علي ادخل

إليه وسَلْهُ هل لنا في هذا الأمر شيء؟"؛ أي في الخلافة والإمارة، فعلي -رضي الله عنه- كان ذكيًا فقال: "لا، إن لم يكن لنا فيها شيء فلن نُعطَها أبدًا"، لأنه عندما يدخل فيقول لهم النبي ﷺ: "لا، ليس لكم فيها شيء، إنما هي شورى"؛ فلن يعطيها لأحد منهم، وهذا دليل على أنه لم يكن عند علي ولا عند العباس-رضي الله عنهم- عهد من النبي ﷺ بالإمارة لهم.

المهم صار الناس يتحدثون فكثر اللغط، حتى تضايق النبي ﷺ وقال: (ائتوني)، طبعًا هنالك أدلة على أن النبي ﷺ كان يريد أن يكتب ويجعل الأمر لأبي بكر، والدليل على هذا أنه ﷺ طلب من بلال أن يأمر أبا بكر أن يؤم الناس، وعائشة -رضي الله عنها- تحب والدها وخافت أن يقع في قلوب الناس كراهة له، فعندما يحب الناس رجلًا ثم يأتي رجل ويقف أمامهم وهو ليس بنفس درجة المحبة؛ تقع لأول وهلة الكراهة له، وهم يريدون رسول الله ﷺ ويريدون أن يؤم بهم، ثم فجأة يخرج أبو بكر، فخافت أن يقع في قلوب الصحابة الكراهة لأبي بكر كونه قد أمَّ الناس والرسول ﷺ لا يزال حيًا، فقالت عائشة: "يا رسول الله، إنه رجل أسيف، فإذا قرأ في الناس لا يعرف الناس ماذا يقرأ"، فقال: (مُرُوا أبا بكر فليُصلِّ بالناس)، فقالت: "يا رسول الله أبو بكر رجل.." ، قال: (إنّكنَّ صواحب يوسف، مروا أبا بكر)[31]، فعُلم أن الأمر لا بد منه، فخرج الصحابي ولم يجد أبا بكر ليأمره ليصلي في الناس، ووجد في تلك الصلاة عمر، وعمر رجل جهوري، فصار يؤم وصوته عالٍ، فوصل الصوت النبي ﷺ وهو يُلَدّ -أي يُمرّض-، فقال: (يأبى اللهُ ورسوله والمؤمنون إلا أبا بكر)[32]، ولذلك طُلب أبو بكر وجعل يؤم الناس حتى كان اليوم الأخير، فخرج وأراد رسول الله ﷺ أن يصلي بصلاة أبي بكر، وأبو بكر كان لا يلتفت، كان إذا وقف في صلاته كالخِرقة ولا يدري ماذا يفعل الناس، والناس كانوا يصلُّون ويراقبون الحجرة، فلما خرج رسول الله ﷺ وهو عاصب رأسه بعصابة حمراء ففرحوا بخروجه وجعلوا يسبّحون "سبحان الله"، وأبو بكر لا يلتفت حتى اضطرب في صلاته فرأى رسول الله ﷺ فتقدم، فدفع رسول الله أبا بكر ليصلي، فأبى أبو بكر وجعل يرجع، فجلس رسول الله ﷺ فصلى جالسًا، وصلى أبو بكر بصلاة رسول الله ﷺ وصلى الناس بصلاة أبي بكر، ولما رآهم يصلون قيامًا نهاهم أن يصلوا قيامًا والإمام جالس: (فإذا صلى الإمام جالسا فصلوا جلوسًا أجمعين)[33].

---

[31] صحيح البخاري: (712).

[32] صحيح البخاري: (7217)، صحيح مسلم: (2387).

[33] صحيح البخاري: (689).

القصد أن هذا الخبر الصحيح الذي ورد في الصحيحين يدل على أنه عندما كثر اللغط على من الذي سيكون الخليفة، والنبي ﷺ يقول: (يأبى الله ورسوله والمؤمنون ألا أبا بكر) -أي لا أحد يُقدّم إلا أبا بكر-، وإذا نازع بعضهم فهو إنما ينازع من أجل محبة المنصب، أما لو تُركوا لاختيارهم فلن يختاروا إلا أبا بكر، فقال رسول الله ﷺ، والحديث في البخاري من حديث ابن عباس -رضي الله عنه-، قال: (ائتوني بكتاب لأكتب لكم فيه كتابًا لا تضلوا بعدي أبدًا)، أي في موضوع الإمامة، وعمر-رضي الله عنه- كان ذكيًا فعلم أن رسول الله ﷺ سيكتبه من باب الغضب، يعني النبي ﷺ قرر أنه يأبى الله ورسوله والمؤمنون إلا أبا بكر، فلمّا كثر اللغط قال رسول الله ﷺ: (ائتوني بكتاب)؛ يعني إن أبيتم إلا الاختلاف ائتوني بكتاب، فقال عمر لما رأى غضبه وكأنّ النبي ﷺ أُجبر على كتابته قال: "لا يا رسول الله، يكفينا كتاب ربنا"، فقال: (اخرجوا عني)[34]، فقال ابن عباس: "الرزية كل الرزية على ما حال بين رسول الله وبين الكتابة".

الشيعة الروافض يعتبرونها مسبة لعمر، وهي بلفظ (ما) وليست بلفظ (من)، لأنهم بقر كما قال الشعبي، والشعبي كان خَشَبيًا يعني على إحدى مذاهب الشيعة غير الغلاة، ولكنهم قالوا نحن سيوفنا من خشب لا نقاتل مع أحد، فسمّوا **بالخشبية**، فكان الشعبي على مذهبهم، فرأى أن الروافض بقر فتركهم وقال: "هؤلاء القوم لو كانوا دوابًا لكانوا حميرًا، ولو كانوا طيرًا لكانوا رَخمًا، والله لو طلبت منهم أن يملؤوا لي بيتي ذهبًا على أن أكذب لهم حديثًا، لملؤوا بيتي ذهبًا لأكذب لهم حديثًا". وأستغفر الله البقر أفضل ولا شك {بَلْ هُمْ أَضَلُّ}.

القصد أن الحديث قال: "الرزية كل الرزية على **ما** حال بين رسول الله والكتاب"، قال (ما) ولم يقل (من)، وهناك فرق بين (ما) و(من)؛ (ما) تطلق على الجماد و(من) على العاقل، فالرزية على ما حصل من خصومة، وابن عباس -رضي الله عنه- لا يجرؤ أن يقول هذه الكلمة على حبيبه، وابن عباس لم يشهد هذا أصلًا وكان صغيرًا، ولكن لمّا أُخبر الخبر قال: "الرزية كل الرزية على ما حال..".

وابن عباس من أكثر أصحاب رسول الله ﷺ محبة لعمر، ولهذا كان حافظًا لفتاوى عمر، وكان ملازمًا له، وكان يحبه، فهل هذه تقال لعمر من ابن عباس؟

---

[34] صحيح البخاري: (**114**).

واختلفوا بعد ذلك في أين يُدفن، واختلفوا في الإمامة، لكن بعدها قيل "الأئمة من قريش" وانتهت القصة، تعرفون قصة سقيفة بني ساعدة، وحديثها طويل، القصد أن الصحابة -رضي الله عنهم- تجاوزوا فورًا الخلاف بعلم أبي بكر.

الحقيقة هنا يكون العلم؛ يعني إذا الناس كلهم يعلمون الصلاة فليس من إظهار العلم أن تُعلِّم الناس الصلاة، لأنهم يعلمونها، ولكن عند العلم المكنون الذي جهله كل الصحابة فوقفوا لا يدرون ماذا يفعلون كان يخرج لهم أبو بكر ويعلّمهم، مما يدلّ على اختصاص هذا الصديق الأكبر بعلوم لم تجتمع إلا فيه، وهذا يدل على مقدار علمه. فمثلًا لما مات رسول الله ﷺ؛ من الذي قضى على الفتنة فخرج وقرأ لهم كلام الله؟

عندما مات النبي ﷺ كان أبو بكر في العوالي، النبي ﷺ خرج نشيطًا في صحوة الموت، فاطمأن أبو بكر أن الرسول ﷺ نشيط وأنه قام من مرضه فاستأذنه أن يقضي يومه عند زوجته أسماء بنت عميس في العوالي فأذن له، فمات رسول الله ﷺ وأبو بكر في العوالي، يعني خارج المدينة في ضاحية من ضواحيها.

فلما جاء الخبر بوفاة رسول الله ﷺ؛ الناس كلهم احتاروا ماذا يفعلون، فعمر ينكر موته، وغيره سقط وتعب، فدخل أبو بكر بكل رباطة جأش وثبات إيمان وحضور عقل وقوة قلب على النبي ﷺ ونظر إليه وهو مسجًّى فقال: "طِبت حيًا وميتًا يا رسول الله"، ثم قبّله ثم خرج وصعد المنبر وأجلس الناس وقال لهم: "من كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، ومن كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات"، ثم قرأ الآية: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ } [آل عمران/144] فسَكَن الناس وأعادهم إلى رشدهم.

ثم احتار الناس أين يدفنون الرسول ﷺ، فقال أبو بكر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ما مات نبيٌّ إلا دُفِنَ حيثُ يُقبَضُ)[35].

ثم بعد ذلك اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة وقالوا: "الخلافة فينا"، فركض إليهم عمر وأبو عبيدة وأبو بكر حتى يقضوا على الفتنة، قال عمر: "زورت في نفسي كلامًا"، يعني حضّرت كلامًا جيدًا في نفسي، قال: "فلما اجتمع

---

[35] صححهُ الألباني في صحيح الجامع: (5670).

الناس في السقيفة قمت لأتكلم"، فسبقه أبو بكر فتكلم أبو بكر، قال عمر -بعد أن زيّن وحضّر-: "فوالله ما من شيء زينته في نفسي إلا قاله أبو بكر، وقال أكثر منه".

وقال: "إن هذا الحي من العرب لا يَدين إلا لهذا الحي منهم"؛ أي لقريش، والنبي ﷺ قال: (الأئمة من قريش)[36]، فقال سعد بن عبادة: "أنا جُذَيْلُهَا الْمُحَكَّكُ وَعُذَيْقُهَا المرجب، منا أمير ومنكم أمير"، فقال له أبو بكر: "سيفان في غمد واحد لا يجتمعان"، فلما سكن الناس وعرفت الأنصار أن هذا الأمر في قريش قال أبو بكر لعمر: "دعني أبايعك"، فقال عمر: "والله لأن أُقدَّم فتُضرب عنقي في غير معصية أحب إلي من أن أتقدّم قومًا وأنت فيهم"، ثم قال: "يا أبا بكر، ابسط يدك نبايعك" فبايعه، فقام أبو عبيدة فبايعه، ثم أنزل الله السكينة على قلوب الأنصار فقاموا فبايعوه، وكان سعد بن عبادة يتكلم فداسه الناس بأقدامهم، فقال ابنه: "قتلتم أبي، قتلتم أبي"، قال عمر: "ما قتلناه، قتله الله"، لكنه لم يمت -رضي الله عنه- في تلك الواقعة، بل مات بعدها في خلافة معاوية -رضي الله تعالى عنه-.

فهكذا اجتمع الناس على الإمامة، وهي فَلْتَة؛ ولكنها فلتة من خير فلتات التاريخ، كما قال عمر عندما سمع الناس في مكة في الحج يقولون: "إذا مات عمر بايعنا فلانًا أو فلانًا"؛ يريدون أن يفعلوا كما تم في السقيفة، فقال عمر لعبد الرحمن بن عوف: "اجمع لي الناس بعد الصلاة سأتكلم فيهم"؛ أي في الحج، فقال له عبد الرحمن بن عوف: "هذا الحج يجمع الصغير والكبير والعاقل والمجنون، فإذا رجعت إلى المدينة اجمع الخيار وتكلم فيهم".

ثم عندما رجع عمر للمدينة قال: "سمعت أقوامًا يقولون: إذا مات عمر بايعنا فلانًا وفلانًا، إنّ ما وقع كان فلتة وقى اللهُ شرها"؛ وقى الله شرها لأنها فلتة وقعت مع رجال وأصحاب إيمان، ولكن مثل هذه لو وقعت في هذا الزمن لطارت فيها رقاب -كما يقال-. قال: "إذا بويع رجل من دون الناس قُتل تَغِرّة أن يُقتلا"؛ أي لأجل ألا يقتتل المسلمون، فكانت خلافة أبي بكر -رضي الله عنه- واجتمع الناس على هذا الخليفة الذي حل المعضلات، كما رأيتم هاتين المعضلتين.

وكذلك معضلة جيش أسامة؛ اختلف الناس يرسلونه أو لا، فماذا فعل الصديق؟ قال: "والله لا أحبس بعثًا بعثه رسول الله ﷺ، امضِ"، فأمضاه فكان إمضاؤه خيرًا.

---

[36] صححهُ الألباني في صحيح الجامع: (2757).

ووقعت فتنة الردة، فقال له الناس: "يا خليفة رسول الله، كيف نقاتل الناس وقد ارتدت العرب؟"، قال: "والله لو جرَّت الكلاب أرجل نساء النبي ﷺ في المدينة لأرسلت بعث أسامة"، وقال: "والله لو منعوني –أي المرتدون– عِقالًا كانوا يؤدونه لرسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه، والله لأحاربنهم حتى تَنفرِد سالِفَتي"؛ تنفرد سالفته أي يرتخي حنكه، فالإنسان عندما يموت يرتخي حنكه فيضطر الناس لرفعه؛ أي حتى تظهر عليه علامة الموت.

وإن شاء الله في الدرس القادم نتابع معكم أول فتنة حدثت في الأمة وما وقع فيها.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

5

بسم الله الرحمن الرحيم، إن الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلله فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى صحبه الغر الميامين، وعلى من تبعهم بإحسان وهدى إلى يوم الدين، جعلنا الله –عز وجل– وإياكم منهم، آمين.

تكلمنا البارحة عن بعض الخلافات التي وقعت بعد وفاة النبي ﷺ وهو على فراش الموت –عليه الصلاة والسلام–، وكيف قام لها الصديق الأكبر وعالجها بحكمة، وكيف كان اجتماع الصحابة –رضي الله تعالى عنهم– على الخير بسرعة، وكيف أن الخلاف لا بد منه؛ فإن الناس تتفاوت علومهم، فمنهم من سمع، ومنهم من لم يسمع، فمن سمع حُجّة على من غاب، وحتى الذين يسمعون تختلف مراتبهم في الفهم لما يسمعون، فهناك من يسمع ويكون ناقلًا دون أن يكون داريًا أو عالماً بما ينقل، وهناك من يسمع ويدري ويفهم ويعلم، وهناك من يسمع وينسى، وهناك من يسمع ويحفظ.

فهكذا كان شأن الصحابة –رضي الله عنهم– في اختلاف مسموعاتهم، وفي درجات حفظهم لما يسمعون، وفي درجة فهمهم لما يسمعون، فهم على طبقات في هذا الباب، وهم على طبقات في أخذهم عن رسول الله ﷺ.

فضل أبي بكر وعمر في عدم اختلاف الصحابة

المهم أن الصحابة لم يختلفوا في زمن أبي بكر وعمر، ويُرجع شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– إلى أن الخلاف كان معدومًا في زمن أبي بكر وعمر لوجود هذين الرجلين معًا، وهما وزيرا النبي ﷺ

فأبو بكر رجل ليّن الجانب من غير ضعف، وعمر –رضي الله عنه– رجل شديد من غير ظلم، فأمر الدين كان قائمًا بهذا اللين الذي كان في صدر أبي بكر، ولكن كما قلنا لين من غير ضعف، وأثبتت المواقف أنّ أبا بكر الصديق –رضي الله عنه– كان إذا اسُتفز دينه، أو إذا شعر أن الدين يُهان، أو أن الدين يُؤخذ منه، كان لا تقوم له الجبال، كما رأينا في حادثة بعث أسامة، وكما رأينا في قتاله المرتدين، والصحابة كلهم قالوا بتأجيل قتال المرتدين، وهو ضرب على

صدر عمر، حتى عمر قال: "يا خليفة رسول الله، يا أبا بكر دعهم نقبل منهم الصلاة، وأما شأن الزكاة فنحن اليوم أصحاب قِلّة فحتى نَقْوى، ونعيد المرتدين والذين تنبؤوا واتبعوهم، وبعد ذلك نفرغ لمن منعك الزكاة"؛ لأن أقوامًا من العرب منعوا الخليفة الزكاة ولم يمنعوها أصلًا، فهؤلاء بُغاةٌ لا يكفرون، هؤلاء بغاةٌ على الإمام، ولكن أبا بكر رفض هذا، فضرب على صدر عمر فقال له: "جبّار في الجاهلية، خوّار في الإسلام؟"، وغضب غضبة شديدة.

وكان في أبي بكر غَضْبة لكنها تظهر في حينها، له غضبة على ابنه عبد الرحمن عندما أرسل معه جماعة من أهل الصُّفة ليأكلوا الغداء –العشاء يعني كما هو اليوم يقال العشاء–، فلم يطعمهم ابنه انتظارًا لمَقدَم أبيه، فلما رجع إلى البيت فسأله: "هل قدمت لهم الغداء؟" قال: "لا، أنتظرك"، فغضب أبوبكر وضربه، قال: وفي أبي بكر غضبة، كان يغضب ولكن تلك الغضبة التي تكون في موقفها.

القصد أن عمر–رضي الله عنه– كان شديدًا وأبو بكر فيه لين، لما أَقْطَع أبو بكر قومًا من العرب جبال الملح فخرجوا، أقطعها للأقرع بن الحابس ولبعض المؤلَّفة قلوبهم، فلما خرجوا سألهم عمر: "ماذا معكم؟" قالوا: أقطعنا أبو بكر جبال كذا وكذا من الملح، فعمر أخذ منهم الوثيقة ومزّقها وقال: "ليست ملكه، هذه للمسلمين"، وكان عمر –رضي الله عنه– يرى أنه قد ذهب تحقُّق سهم المؤلفة قلوبهم، قال: "المؤلفة قلوبهم هذا في زمن ضعف الإسلام، أما والإسلام عزيز –بمعنى كلامه– فلا نحتاج إلى أن نؤلِّف الناس"، من جاءنا أهلًا وسهلًا ومن ذهب فإثمه على توليه، فرجعوا إلى أبي بكر يقولون: لا ندري أنت الخليفة أم هو؟ ما ندري من الخليفة أنت تعطيها وهو ينقضها، قال: "لو أرادها لأخذها"، فكان الأمر سليمًا.

ثم لما مات الصديق أتعب من بعده، كما قال عمر لما جاء وسأل عن ميراثه وإذا فقط عنده ثلاثة دراهم، قال: "لقد أتعبتَ مَنْ بعدك". وأبو بكر –رضي الله عنه– كان تاجرًا ونزل بعد توليه الخلافة للسوق ليتاجر، قال له: وأين أنت؟ قال: "هذا طعام الأهل نطعمهم ونتاجر"، فردَّه عمر وقال: لا، وجعل له قصعة في الصباح وقصعة في المساء، وكسوة في الصيف وكسوة في الشتاء، وكسوة لاستقبال الوفود، تصور الخليفة العظيم!

وهذا يدلكم على مرتبة أبي بكر، عمر كان يجاهد نفسه لهذا، لذلك قال: "لقد أتعبت من بعدك يا أبا بكر"، فعمر زاهد لكنه يجاهد نفسه لبلوغ المراتب التي بلغها أبو بكر من غير مجاهدة، فهذا يدلكم على فضل أبي بكر، ولو لم

تأتِ النصوص الصحيحة بفضله على بقية الصحابة لكان واقعه يدل على أفضليته، وأنه لا يعدله أحد من أصحاب النبي ﷺ.

فمات ولم تطل مدة أبو بكر الصديق، ثم استلمها عمر، طبعًا لما مات أبو بكر أوصى لعمر، جاء الناس دخلوا عليه بعثوا له واسطات لأبي بكر قالوا له: من تولي علينا عمر؟ هذا رجل غليظ، قال: اتقِ الله، تولي علينا رجلًا غليظًا؟ قال: "تخوفوني بالله! والله إذا سألني ربي لمَ ولّيته، لأقولَنَّ له: تركت عليهم خيرهم"، فكان كذلك يعرف مرتبة عمر. فتولاها عمر وكان كما وصفه النبي ﷺ: "العبقريّ الذي لا يَفْري فَريَهُ أحد"، في الحديث: (أُرِيتُ في المنامِ أني أنزِعُ بدَلْوِ بَكَرَةٍ على قَليبٍ، فجاءَ أبو بكرٍ فنزَعَ ذَنُوبًا أوْ ذَنُوبَيْنِ نَزْعًا ضَعيفًا، واللهُ يغفرُ له، ثم جاء عمرُ بنُ الخطابِ فاستحالَتْ غَرْبًا، فَلَمْ أَرَ عَبْقَرِيًّا يَفْرِي فَرِيَّهُ)[37]، وعمر ساق الناس بالشدة، أخذهم بالعصا، كبيرهم وصغيرهم، وكبار الصحاب كانوا يهابونه، وكان يُعظّم أبا عبيدة، ولو مات عمر وأبو عبيدة حيٌ لولّاه.

فعمر أخذها أخذًا شديدًا فاستقام الناس؛ من سطوته وخوفه ومن عِلمه، وكان يراقب الولاة، ويعرف عن النفسية، فهو من أبصر الناس بنفسيات البشر، وإن كان أبو بكر أبصر منه[38]. واستقامت الناس مدة طويلة في عهد عمر، حتى جاء عثمان، ولا نريد أن نرد على الخبثاء الشيعة في ما يقولونه في أبي بكر وعمر، فالذي يقولونه لا يستطيع المرء أن يقرأه، ولا يستطيع المرء أن يصدِّق أن قومًا يكذبون بهذا المقدار؛ تصوروا من كذبهم قالوا أن النبي ﷺ اختار أبا بكر لرفقته في الهجرة لأنه ﷺ كان يعلم أن أبا بكر منافق حتى لا يُخبر قريشًا وراءه!! والنبي ﷺ جاء إلى أبي بكر في وقت الظهيرة، وقريش كلها في القيلولة، وأراد أن ياخذه معه لأمانته ولمحبته له ولاستئناسه به.

فالحقيقة أنه لا يوجد دين أبطل من دين الشيعة، وتعجبون كيف يسري في الأمة! تعجبون كيف التَّشيع الآن يمشي في أفريقيا مشي النار في الهشيم؟ كيف يمشي في جنوب شرق أسيا؟ كيف يمشي هنا في أوروبا؟! يُسلم الكثير على دين الشيعة! وستأتي قصتنا معهم.

---

[37] صحيح البخاري: (3682)، صحيح مسلم: (2393).

[38] لما عزل عمرُ خالدًا، وتندَّم عمر قال: "رحم الله أبا بكر، لقد كان أعلم مني بالرجال".

عثمان –رضي الله عنه–

ثم جاء عثمان ذو النورين، هذا رجل عجيب؛ فأول سنتين من خلافته أَنسَى فضلَ عمر، عبد الله ابن عمر يقول: "صاروا يقدمونه ويفضلونه على عمر"، وذلك لأن عمر كان يقيدهم، وعثمان أتى ببيت المال وفتحه؛ فأولًا: في عصره كثُر دخول الموالي والعجم في الإسلام، وثانيًا: كان لينًا مع الناس لينًا من غير ضعف ومن غير هزيمة، ولكنه لينُ رجلٍ محب للناس.

ففتح للناس الأموال وأرخى العصا التي كان يقيدهم بها عمر، وجيش الإسلام يضرب في المشرق والمغرب؛ فجلس –كما وصف النبي ﷺ – جلسة الرجل المتكئ على أريكته، وما بدأت الفتن إلا بعد عامين من توليه، فبطر الناس، ودخل المنافقون –على طريقة شاول اليهودي– [39].

---

[39] تسمعون بشاول كيف غيَّر النصرانية؟ باختصار؛ كان شاول من مجلس يسمى مجلس السنهدرين أنشأه اليهود في إيلياء –بيت المقدس–، فبدأت تنتشر دعوة عيسى –عليه السلام– إلى التوحيد، وبدأ الناس يخرجون من اليهودية إلى الإسلام الذي جاء به عيسى –عليه السلام–، فكيف يغيرون؟ فشاول حمل فرمانًا من بيت المقدس إلى دمشق فيه أسماء مجموعة من الموحِّدين من أجل أن يقتلهم والي دمشق الرومي، فقبل أن يدخل دمشق ونزل في بلدة هناك تسمى "داريا" أو "دار الرؤيا"، نزل هناك ونام واستيقظ في الصباح وزعم أن عيسى –عليه السلام– جاءه وقال له: لماذا تقتل أبنائي وأتباعي؟ فأسلم شاول وغير اسمه من شاول إلى بولس، فدخل دمشق مسلمًا تاركًا اليهودية، وبدأ يمشي مع الحواريين يدعو إلى المسيحية. الحواريون شكّوا فيه، فقام ومعه من وثق به –برنابا وسمعان–واسمه سمعان الصفا أو شمعون كما يسمونه أو يسميه النصارى اليوم بطرس، لماذا بطرس؟ لأن هناك نصًا في الإنجيل يقول لعيسى –عليه السلام–: "كن أنت بطرس ياء التي تقوم عليها كنيستي"، بطرس ياء يعني الصخرة. شك فيه مجموعة من الحواريين ولكنه بدأ يمشي معهم، فمشى شاول مع سمعان ومع برنابا للدعوة، وصلوا لأنطاكيا وانفصلوا، واحد ذهب لجهة البحر في قبرص، وواحد بقي هناك، وشاول بقي ماشيًا يدعو إلى التوحيد حتى دخل روما، وهناك بدأ يدعو إلى ما دعا إليه النصارى وما دعا إليه ابن السوداء عبد الله بن سبأ اليهودي، وهو أن عيسى ما مات ولكنه سيرجع وأنه فيه شِقّ الهي، وأن عيسى ابن الله، وبدأ يدعو لهذا، ولإسقاط التكاليف، وبدأ يدعو في روما إلى الدين الجديد على أنه من أتباع عيسى –عليه السلام–، وأهل روما كانوا على الوثنية كانوا على فلسفة الإغريق القديمة، فبدأ يدعو إلى الوثنية تحت شعار المسيحية؛ أي أتباع عيسى –عليه السلام–. فسمع سمعان بطرس –رضي الله عنه– بالخبر، وبرنابا سمع بالخبر وأرسل رسائل لأهل روما يكذِّب دعوة شاول بولس، أما سمعان فمشى أكثر من أربعين يومًا وبعضها مشاها حافيًا حتى دخل روما؛ من أجل أن يبين كذب شاول؛ من أجل أن يبين الدين الصحيح، فدخل والأخبار تقول بعد أسبوع قُتل، كيف قتل؟ قام حاكم روما فأعدمه، وبدأت الدعوة إلى التثليث، إلى الكفر النصراني من روما، وبقي الأمر في صراع حتى جاء قسطنطين الذي يسمونه (القديس قسطنطين)، وفي الحقيقة النصارى يقولون أنه عُمِّد وهو على فراش الموت والصواب أنه مات وثنيًا، وأمه هي التي اسمها القديسة هيلانا، وبقي حتى جاء وتبنى النصرانية الوثنية، وبدأ بقتل الموحدين الذين في المشرق وإبادتهم، مما اضطرهم إلى الصعود إلى الجبال، ثم في سنة 125م وما تلاها، أقيمت عدة مجامع في فينيقيا من أجل تقرير ما هو الدين الصحيح؛ لأنه بقيت معابد في الإسكندرية تقريبًا آخر معابد الموحدين ومساجدهم تدعو إلى الوحدانية، وكان آخرهم من يسمى أريوس، الذي قامت المجامع من أجل تقرير هل عيسى بشر أم إله؟ فخرج لهم قسطنطين وقال لهم: حلوها المشكلة نصف بشر ونصف إله! فبدل

فتغير الدين عن طريق دخول العملاء فيه، مثل ما فعل اليهود؛ فعبد الله بن سبأ اليهودي -عدو الله- هو رجل أسلم كما يزعم في زمن ابن الخطاب في اليمن، ويقال له ابن السوداء[40]، ودخل في الإسلام وبدأ يتجول، وبدأ يثوِّر الناس ويتكلم على عثمان -رضي الله عنه- بأنه يولّي قرابته، ويوزع الأموال على بني عمومته وعلى أقربائه، وبدأ يتجول؛ يذهب إلى الشام، يذهب إلى مصر، يذهب إلى العراق، وتغيرت القلوب من كثرة الكلام عليه -رضي الله تعالى عنه- وهو الرجل الصابر المحتسب، والبلاد الإسلامية وقتها مترامية الأطراف والدعاية تصنع صنيعها.

حتى حدثت الفتنة الكبيرة؛ فاجتمع أوباش مصر والعراق عنده يطالبونه بالإصلاح، فجلسوا معه هذا المجلس الذي فاوضوه فيه على ما اتُّهم به من استئثار بالمال وتولية أقاربه، بالرغم من أن عثمان -رضي الله تعالى عنه- لم يولِّ رجلًا ما وُلّي من قبل، -كل الولاة الذين عابوهم أنهم من أبناء عمومته ولّاهم عمر قبل ذلك-، وهذه قصة تستطيعون مراجعتها[41].

القصد؛ رجع هؤلاء المفاوضون إلى بلادهم، فجاء رجل على فرسه يأتي إليهم ويذهب، فقبضوا عليه وقرروه فأخرج لهم رسالة موقعة من عثمان -رضي الله عنه- إلى والي مصر والعراق بقتلهم، فرجعوا وسألوا عثمان، فكذَّب الخبرا، لكنهم حاصروه ووقعت الفتنة في مدينة النبي ﷺ.

أن يجتمعوا وكانوا قد دخلوا بمذهبين فخرجوا بثلاثة، قصة طويلة. طبعًا في أول مجمع 125 للميلاد ما أعجب الوثنيين أن يخرجوا منهزمين، فأقاموا مجمعًا آخر، وأُعلن ضلال أريوس، وحُمل إلى سيبيريا، ورُمي في الثلج هناك حتى مات.

[40] طبعًا هناك رجل خبيث معاصر هو المرتضى العسكري، له كتاب اسمه (سبعون صحابيًا مختلق) نفى فيه وجود ابن السوداء وأنه أكذوبة، وهنالك أيضا الخنزير علي الوردي الذي تظهره الشيعة الآن على أنه مفكر، وهو في الحقيقة حكواتي ولكن هكذا ينمّقون رجالاتهم. وأنا حتى ذهبت لمكتبة قبل مدة لواحد "نصف سني"، فقال لي: يا أخي هم يمدحون علي الوردي، قلت له: هات كتبه حتى نرى، أخذت كتبه فظنيت أنه رجل حتى لو علماني ولكن يتكلم كلام علم، فإذا هو كلام حكواتي، المهم علي الوردي له كتاب اسمه (وُعّاظ السلاطين) يذكر فيه مذاهب الناس في ابن السوداء عبد الله بن سبأ اليهودي، كل المؤرخين يُجمعون على وجوده، حتى الشيعة يجمعون على وجوده فليس بالرجل الأسطورة، حتى خرج هذا المرتضى العسكري وأخرج بحثًا أنه مختَلق لا وجود له، فجاء علي الوردي وقال: لا، هو مختلق فعلا، ولكنه هو عمار بن ياسر، ولذلك قال من أدلته أن كل القصص المذكور فيها ابن السوداء لا نجد فيها ذكرًا لعمار بن ياسر، ما هذا الفن؟! وهذه الفذلكة العلمية! يعني لازم يكون عمار بن ياسر مجتمعًا مع ابن السوداء؟!

القصد؛ حتى الآن الشيعة يطنطنون على أن ابن السوداء ليس موجودًا، وهذا كذب، وكتبهم أكبر شاهد على هذا.

[41] لا أريد التطويل في ذكر الأسماء ارجعوا إلى كتاب (العواصم من القواصم) لأبي بكر بن العربي، وهو كتاب جيد كبير ولكن طُبع قديمًا في الأربعينات في الجزائر، ولكن الشيخ محب الدين الخطيب أخذ منه الجزء المتعلق بما شجر بين الصحابة فقط وطبعه فضاع الأصل.

عثمان –رضي الله عنه– صابر محتسب، دخل عليه الزبير، دخل عليه طلحة، دخل عليه العبادلة (عبد الله بن عمرو، عبد الله بن عمر، عبد الله بن عباس، عبد الله بن الزبير)، دخل عليه الحسن والحسين، دخل عليه أبو هريرة، دخل عليه علي، أرسل له قومٌ أبناءهم كلهم، يرجونه أن يثور على هؤلاء الثوار فيستأصلونهم، وطلب منه البعض أن يترك المدينة ويذهب إلى مكة أو يذهب إلى الشام وهو يرفض كل هذه العروض، يأتون إليه حاملين سيوفهم، يقول لهم: "إذا كانت ما زالت لي البيعة في أعناقكم فارجعوا إلى بيوتكم"، والثوار لا يزدادون إلا جهلًا وقبحًا حتى دخلوا عليه فقتلوه وذبحوه، وهو صائم محتسب، مادٌّ المصحف أمامه يقرأ فيه، وقال كلمته الشهيرة التي هي عنوان لما سيحدث بعد ذلك في كل تاريخ الإسلام: **"والله لئن قتلتموني لا تجتمعون على قتال عدو بعدي أبدًا"**.

فكان ذبحه هو باب الفتنة، والتي فُتحت قبل ذلك بموت عمر، قال حذيفة –رضي الله تعالى عنه–: "إن بينكم وبين الفتن بابًا"، قال له عمر: "يُكسر أم يُفتح؟"، قال: "بل يُكسر"، يعني لا يعاود الإغلاق، فقال بعضهم لعبد الله بن عمر: "هل كان يعرف عمر أنه هو الباب"؟ فقال: "كان يعرف كما يعلم أن اليوم دون غد"، وقُتل عمر –رضي الله تعالى عنه– على يد أبي لؤلؤة المجوسي، وهو مشرك، ففي موطأ الإمام مالك بسند صحيح أن عمر –رضي الله عنه– قال: "الحمد لله الذي جعل قتلي على يد رجل لم يسجد لله سجدة"، وكذلك عثمان دخل عليه الثوار فقتلوه صابرًا محتسبًا في بيته.

التفضيل بين علي وعثمان

في الحقيقة سأقف وقفة يسيرة على أوهام الناس بتفضيل علي على عثمان، وهذا خطأ؛ وعليّ لا يعدل عثمان في الفضل ولا في الدين ولا في الورع ولا في العلم حقيقةً. وأنا أعجب أن الناس لا يعرفون فضل هذا الشيخ الجليل الذي قُتل وهو في الثانية والثمانين من عمره! دخل محمد بن أبي بكر الصديق وقبضه من لحيته، فقال له: "لو رآك أبوك لغضب منك"، كيف تمسكني من لحيتي؟! لكن هكذا القلوب لما تقسو، ولما تلعب بها الفتن.

كيف نفضل عثمان على علي؟ أبو بكر واضح أمره، عمر واضح أمره، لكن إذا وقع الخلاف بين عثمان وبين علي؛ كيف تقع المفاضلة؟

أصلًا علي لم يكن له ذكر عظيم عند قريش في خصومتها مع رسول الله ﷺ؛ أبو سفيان في معركة أحد ظن أن النبي ﷺ قد قُتل، فرد عليه عمر: "بل فينا رسول الله"، فأسكته رسول الله حتى لا يشتد هجوم الكفار عليهم، قال أبو سفيان :"أفيكم أبو بكر؟" [42]، فهو ما سأل عن علي، حتى كفار قريش يعرفون أن أبا بكر وعمر هما وزيرا النبي ﷺ.

ونحن في هذا نقدم النصوص الكثيرة التي لدينا بتفضيل عثمان –رضي الله عنه– على علي، ومنها:

الحديث الذي ذكر فيه الرسول أبا بكر عمر وذكر من بعده عثمان؛ فجاء إنسان يحرك الباب فقلت: من هذا؟ فقال: عثمان بن عفان، فقلت: على رسلك، فجئت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته فقال: (ائذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه)[43]، وكذلك ذُكر النبيﷺ في أكثر من موطن مع أبي بكر وعمر، مثل صعود الجبل، قال: (إنما عليك نبي وصديق وشهيدان)[44].

وكذلك إجماع الصحابة:

قال الإمام أحمد: "من قدَّم عليًا على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار":
لما عمر –رضي الله عنه– توفي؛ عين ستة من بقايا الموعودين والمبشرين بالجنة، فطلحة أعطى عثمان، والزبير أعطى عليا، طبعًا عبد الله بن عمر ليس له في الخلافة ، ولم يُدخل عمر –رضي الله عنه– عبد الله بن زيد فيهم، لقرابته له، قال: "يكفي آل الخطاب ما أصابنا من الخلافة"، فبقي الأمر بين علي يطلبها وعثمان، لما اجتمعوا ثلاثة أيام، وعبد الرحمن بن عوف سأل الرجال، ما أبقى رجلًا في المدينة، حتى الأطفال يأتي إليهم في الطرقات ويسأل: "من تريدون؛ عثمان أم علي؟"، فقال: "ما رأيت أحدًا يُقدِّم عليًا أبدًا"، **وهذا نص بالإجماع**.

والواقع أن عثمان –رضي الله عنه– خليفة لا ينازعه الآخرون في الملك، إنما نازعوه في روحه، انظروا لهذا الموقف فقط –وإن كانت المواقف كثيرة–: موقف ثوار يحيطون ببيته، ويدخل عليه الصحابة الأشداء الشجعان، ويرجونه أن يقوموا بنصرته ويقاتلوا الثوار حتى يخرجوهم خارج المدينة، وهو يقول: "إذا كان لي عليك الطاعة لا زلت مبايعًا فارجع

[42] أصل القصة موجود في صحيح البخاري: (3039).
[43] صحيح مسلم: (2403)، صحيح البخاري: (3674).
[44] حسنهُ الألباني في صحيح الترمذي: (3703).

لبيتك"، لماذا؟ قال: "إني لا أريد أن أكون أول من يخلف أمة محمد ﷺ بالسيف"، تصور! وهم يهددونه ويريدون قتله! فهو يرضى أن يموت من أجل أن لا يراق دم مسلم واحد بسببه.

قارن هذا الموقف بموقف علي –رضي الله عنه– في حروبه مع أهل الجمل، في حروبه مع صفين، مع أهل الشام، على ماذا كان يقاتل علي؟ على أن يدخلوا في طاعته، على أن يبايعوه، ولم يأتِ حديث واحد قط في مدح قتال علي –رضي الله عنه– لمخالفيه، إنما أتت الأحاديث بفضل قتاله للخوارج، ولهذا كان الصحابة الذين اعتزلوا القتال –وهم كبار الصحابة يومذاك– موقفهم أفضل ممن شارك بالقتال[45].

هل مطلب أهل الشام، مطلب عائشة، مطلب طلحة والزبير كان فيه نوع حق أم لا؟

اسمعوا الخبر: كان فيه حق وإن اخطؤوا في نسبة الصواب، الصواب مع علي، لكن هم معهم نوع حق، أما الحق الأكبر مع علي، ولذلك قال الرسول ﷺ عن الخوارج: (تُقاتلهم أولى الطائفتين بالحق)[46]، فالطائفتان على حق، لكن من أولى بالحق وأكثر؟

إذًا قارنوا بين موقف رجل يقبل الموت وهو خليفة، يرجونه أن يحضروا جند الشام ليأتوا وينصرونه، وهو يقول: "اتركوا الناس في الجهاد، اتركوا الناس ومواقعهم". **وليس معنى هذا أن موقف علي باطل**، لكن انظروا من الأفضل؟ كلاهما خير، لكن من أكثر ورعًا ودِينًا وتقوى؟ برغم من كوننا لا نقلل من تقوى علي، لكن عثمان أفضل وأورع.

ولذلك صدق شيخ الإسلام ابن تيمية حين قال: **"ما من منقبة لعلي إلا وهي في عثمان، وعند عثمان من المناقب ما لا توجد في علي"**.

---

[45] سعد بن أبي وقاص –وهو خير البشر يومذاك بعد علي– اعتزل، خرج للبادية وأحضر بعض الجمال وجلس فيهم، جاء إليه ابنه عمر بن سعد بن أبي وقاص، قال: "يا أبتي، الناس يتنازعون على الملك وأنت تجلس مع الإبل؟"، ضربه على صدره وقال: "ارجع، إني بايعت رسول الله ﷺ ألا أضرب بسيفي إلا كافرًا" –كانت عنده أحاديث ذم القيام في الفتن–، محمد بن مسلمة قال: "أعطاني رسول الله السيف وأمرني ألا أضرب به إلا مشركًا"، سعد بن أبي وقاص قال: "أعطوني سيفًا يُفرِّق بين المسلم والكافر، وأقاتل معكم". فمحمد بن مسلمة، سعد بن أبي وقاص، عبد الله بن عمر، أسامة بن زيد، كبار الصحابة لم يشتركوا ، جلسوا قالوا: هذه فتنة بين الناس ونحن لا نقاتل فيها.

[46] صحيح مسلم: (1064).

للأسف منتشر عند الناس أن عثمان رجل ضعيف مسكين، أي ضعف؟! رجل يملك أن يقول للناس: هبوا فاقتلوا، ويقول لهم: "أموت ولا يموت أحد في سبيلي"، أهذا ضعف؟!!

لكنها الدعاية الكاذبة على عثمان، حتى سقط فيها بعض الأخيار لدعايات الشيعة وأكاذيبهم في التاريخ.

وأخبركم **بمسألة مهمة**؛ وهو أن أهل السنة تورّعوا: قليلًا ما تجد كلمات من أهل السنة –صحيحة في نسبتها إليهم– في موضوع الفتنة، فلما تورَّع أهل السنة تحت باب "فتنة وقى الله سيوفنا منها فلنبرِّئ ألسنتنا من الخوض فيها"، وانسحبوا من ميدان كتابة هذا التاريخ؛ تَقدَّم الروافض والدجالون –ولذلك قلّما تجد مؤرخًا إلا وفيه تشيع–[47] وملؤوا بطون الكتب، حتى صارت الآن عند ذكر علي هالة عظيمة من التعظيم –وهذا طيب وهو يستحق ذلك نحن لا نقلل من مرتبته–، أما عند ذكر عثمان؛ الصورة فورا تتصاغر أمام الهالة العظيمة لعلي!

وهذا هو الذي أراد أن يبينه ابن تيمية؛ فسبه البعض واتهموه كذبا بسب علي، لكنه في مناظرة للشيعة قال: "أي أمر تقولونه في أبي بكر أو في عمر أو في عثمان؛ علي وقع فيه"، والقاعدة هي: قال رسول الله ﷺ : (إذا ذكر أصحابي فأمسكوا)[48]، أما هم؛ فتحْتَ باب العلمية يقولون: "هذا موضوع ليس دينيا، نحن نريد أن نحقق في التاريخ**!**".

أما مقتل عثمان –رضي الله عنه–؛ فالصحابة كلهم بُرَآء من دمه، لم يشارك صحابي واحد في مقتل عثمان، وقد كان الاتهام كله موجهًا إلى علي أنه حرّض على قتله، وهذا كذب، فقد أقسم الأيمان المغلّظة أنه ما حرض ولا رضي ولا أحب.

بعد ذلك جاء الثوار وطلبوا من علي أن يبايع على الخلافة، علي –رضي الله عنه– رجل ذكي، قال: "لستم أنتم أصحاب هذا الشأن فلا بد من أصحابه، طلحة والزبير ومن حضر من كبار الصحابة"، فحضر طلحة والزبير ومن حضر في المدينة من كبار الصحابة، وبايعوا عليًا –رضي الله تعالى عنه– على الخلافة، وقبِل الناس ذلك.

---

[47] (الأخبار الطوال) من أقدم الكتب لأبي حنيفة الدينوري متشيّع، المسعودي من أقدم ما تقدم متشيّع وهكذا، بل إن بعض الرواة كلوط بن مُخنِف شيعي محترق، كذاب دجال، بخلاف سيف بن عمر التميمي، فسيف بن عمر التميمي وإن كان عند أهل الحديث غير مقبول ولكن أخباره التاريخية نظيفة، وعند أهل الحديث غير مرضي؛ لأن الحديث شأنه أشد من الأخبار.

[48] صححهُ الألباني في صحيح الجامع: (**545**).

ما هو بعض الحق الذي في خصومه؟ قالوا له: أنت خليفة الآن ونريد القصاص لدم عثمان، خليفة يموت ولا نقتص له من قتلته؟! لكنّ عليًا –رضي الله عنه– رجل حكيم ذكي، يعرف أن المسألة فيها الأبعاد التالية:

- **أولًا**: غلبة الثوار وكثرتهم، حتى قال يومًا لطلحة: "الآن تطلب مني أن أقتصّ منهم، وسكتُّم عن مواليكم وعبيدكم وصغاركم حتى دخلوا فيهم وصاروا هم الأكثر؟"، فقال –معنى كلامه–: "اصبروا علينا حتى نُرجع بعض الجنود وبعض الجيوش فنقتص منهم"، فطلب منهم تأجيل الأمر، لكنهم اهتزوا كثيرًا لمقتله، وشعروا بالندم، وقالوا لا بد من القصاص الآن، وهو كان يرى أنهم الكثرة في المدينة، ومع هذا فالبيعة لم تقع منهم، إنما البيعة ما رضيها علي حتى وقعت من كبار الصحابة –رضي الله تعالى عنهم–.

- **المسألة الثانية**: أن هذه فتنة: من قتل؟ من شارك؟ من رضي؟ من الذي ناصر؟ من الذي تكلم؟ كل هذا يحتاج إلى تحقيق طويل، وهذا أمر كان يطلب علي –رضي الله عنه– من الناس أن يؤجّلوا البحث فيه حتى يقوى الأمر، ويتضح البيان، وترجع بعض الجيوش، وتقوى في سيطرتها على المدينة.

ولكن الفتنة بدأت حتى وقعت الحروب:

الحرب الأولى التي وقعت هي حرب الجمل، وهذه لا يَدَ للصحابة فيها، نعم عائشة –رضي الله عنها– قُتل عثمان وهي في العمرة، فخرج إليها طلحة والزبير، وشجعوها أن تخرج إلى الشام، ويجتمع عليها الناس كونها زوجة النبي ﷺ، وهذا خطأ منهم بلا شك، أن يجتمع الناس عليها ليضغطوا على علي لتسليم قتلة عثمان إلى أولياء الدم، فخرجوا إليها وشجعوها على الخروج، فخرجت وخرج معها ناس.

علي –رضي الله عنه– سمع بالخبر، خرج مع جماعة معه وقابلها في الطريق، وأراد الصلح ولم يُرد القتال، فلا جماعة عائشة كانوا يريدون القتال ولا جماعة علي، لكن المنافقين في الليل بدؤوا يضربون السهام على جيش علي ومن معهم من المنافقين يضربون على هودج عائشة حتى هبَّ القتال، فوقعت موقعة الجمل، وكان الذين مع عائشة –رضي الله عنها– قلة ، ثم أُخذت وأُرجعت إلى المدينة، وعلي –رضي الله عنه– خرج إليهم وذكّرهم بما معه من الحق، وذكر الزبير بحديث كان قد نسيه قال: "يا زبير هل تذكر ما حدث يوم كذا وكذا، حين جلست مع رسول الله فقال لك:

(يا زبير هل تحب عليا؟) قال: بالطبع أحبه، قال: (لَتُقاتلَنَّهُ وأنت ظالم له)[49]، فتذكّر الزبير فخرج إلى وادي الأسود، فلحقه رجل فقتله، واحتزّ رأسه، وأتى به إلى علي ظنًا منه أنه سيفرح —طبعًا رماه بالسهم من بعيد ثم جاءه فاحتز رأسه—، فقال علي —رضي الله عنه— : "بشر قاتل ابن صفية بالنار"؛ لأن الزبير ابن صفية ابن عمة النبي ﷺ.

بعد ذلك رجعت عائشة وجلست في المدينة، وطلب علي البيعة من جنود المسلمين، فاستعصى أهل الشام عليه، وما وقعت بعد ذلك من فتن نأتي إليها -إن شاء الله عز وجل-.

سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.

[49] **قال الألباني في السلسلة الصحيحة:** (إسناده حسن من الوجه الأول...).

6

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلله فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى صحابته الغر الميامين، وعلى من تبعه بإحسان إلى يوم الدين، جعلنا الله -عز وجل- وإياكم منهم، آمين.

قلنا في الدرس الفائت أن الفتنة كانت بعد مقتل الفاروق -رضي الله تعالى عنه-، وذكرنا أن صدر خلافة عثمان كان صدرًا عظيمًا، فيه الاجتماع والمحبة والخير، وفيه التآلف والرضى عن إمامهم، ولكن حدثت بعض الأمور في زمنه، أُجملها بسرعة وأنبه عليها:

- نقموا على عثمان أمورًا -وكلها باطلة-، منها أنه حمى الحمى -يعني أقطع أراضي-، والحمى التي حماها هي لإبل الصدقة، وقد فعل الفاروق قبله هذا الفعل.

-ونقموا عليه أنه أعطى المال، وهذا لا يختص بأحد، إنما بذل المال للجميع.

-ونقموا عليه أنه جلد بعض الصحابة، وهذا حقُّه؛ فجلد عمار لما اختصم هو والعباس بن عبد الله بن عتبه بن أبي لهب، وكذلك جلد محمد بن أبي بكر الصديق لما تخاصم هو ومحمد بن أبي حذيفة، وهذا حقه كإمام، ولهذا ابن عمر -رضي الله عنهما- يقول: "إن عثمان فعل أفعالًا لو فعلها عمر ما نقم الناس عليه".

المهم أن الأسباب الحقيقة ليست تلك، وقد ذكرتها البارحة وأجملها في الأمور التالية:

- أولا: دخول المسلمين الجدد، وقد أرادوا أن يتصدّروا الأمر ويتكلموا مع وجود الكبار، وخاصة من دخل وفي قلبه دخن.

- ثانيًا: فتنة ابن السوداء، وابن السوداء لا نُعظِّمه ولا نُصغّره، فهناك من عظمه وكبَّر شأنه، مثل الشيخ الأستاذ سعيد الأفغاني -عليه رحمة الله- وهو رجل إمام باقعة في النحو، وهو من بقايا من يفقه النحو على أصوله، ولكنه هرب ممن هرب من بلاده بلاد الشام واستقر شأنه مدرِّسًا في ليبيا، ثم جاء الخبر -قبل شهور- أنه توفي إلى رحمة

الله، فله كتاب اسمه (عائشة والسياسة) عظّم شأن ابن السوداء تعظيمًا كبيرًا حتى جعله أسطورة أو ما يشابه الأسطورة، وهناك من نفى وجوده، وقلنا أن أولهم هو الشيعي الرافضي المرتضى العسكري، وهناك من أوَّلَ شخصيته كعلي الوردي في كتابه (وعّاظ السلاطين)، المهم أن لابن السوداء ابن سبأ اليهودي دورًا مهمًا في إحداث الفتنة وخاصة في مصر، نعم هو بث شيئًا من فتنته في العراق وفي الشام، ولكن الفتنة استجاب لها المصريون، ولذلك عامة الثوار على عثمان -رضي الله عنه- كانوا من المصريين.

- العامل الثالث: وهو سماح ذي النورين للمرتدين بالجهاد وتولي الإمارة، أنتم تعرفون أن سياسة الصديق الأكبر أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- منع المرتدين من الجهاد ومنعهم من حمل السلاح، بل منعهم من ركوب الخيل حتى بعد رجوعهم للإسلام، فلما جاء عمر رآهم على خير فسمح لهم بالجهاد وسمح لهم بأن يجاهدوا على ألا يُولَّوا الإمارة، بل كان يطلب من أمرائه أن يشاوروهم لحكمتهم وحنكتهم في الحرب.

ثم جاء عثمان فسمح لهم وكثر أمرهم وفيهم بقايا دخن، أنتم تعرفون قصة مسجد بني حنيفة[50]: بنو حنيفة خرجوا وجاهدوا، ففي عهد عمر كان الوالي على العراق هو عبد الله بن مسعود وحرق لهم مسجدًا وقتل منهم جماعة لما رآهم يذكرون مسيلمة بالخير، فبقيت فيهم بقايا، فهؤلاء في عهد عثمان سمح لهم بتولي الإمارة والقيادة وفيهم دخن، فتلقوا هذا الأمر على غير بصيرة.

- العامل الرابع: أنه قام بشأن الخليفة، والناس قالت قديمًا: "لو كان الحاكم عادلًا لغضبت عليه نصف الرعية"، فهو مثلًا غضب عليه محمد بن أبي بكر الصديق -وهو رجل جاهل لم يكن فيه خلق أبيه، بل للأسف شارك في مقتل الشيخ ذي النورين -رضي الله عنه- الذي جلده عثمان حين اختصم هو ومحمد بن أبي حذيفة، فجلده وأدَّبه فنقِم عليه.

فهذه من الأمور التي أُخذت عليه، وهذه هي الأوضاع.

وعثمان رجل ليس ضعيفًا، هذه نقطة مهمة، عثمان كان بيده أن يمحق الثوار عن بكرة أبيهم ولا يُبقي منهم أحدًا.

---

[50] للذكر فقط آل سعود اليوم ينتهي نسبهم لبني حنيفة، ليس هذا مما يُذم أو يُمدح لكن فقط نذكرها خبرًا، بنو سعود هؤلاء ينتهي نسبهم إلى بني حنيفة وهم عماد المرتدين من أتباع مسيلمة.

وقد طلب منه معاوية أن يرحل إليه إلى الشام ليكون عنده وفي قوّته، فرفض أن يتخلى عن المدينة وقال: "سمعت رسول الله ﷺ يقول: (المدينة تنفي خَبَثها كما تنفي النار خَبَث الحديد)[51]، ولا أكون من الخبث"، وبقي في المدينة، أما علي؛ فذهب إلى من أرادوا نصرته من أهل العراق، ولم يكن مصيبًا بل تندَّم –رضي الله عنه–، ودعا على أهل العراق الذين طلبوه لينصروه.

ولو أن رجلًا سأل لماذا فعل عثمان هذا الفعل؟

– **الأمر الأول**: أنه كان يعلم أنه مقتول؛ وهذا العلم حدث له بذكر النبي ﷺ أنه شهيد. تعرفون قصة جبل أحد، عندما صعد عليه هو ورسول الله وأبو بكر وعمر، فاهتز جبل أحد، وأحد يقول عنه النبي – ﷺ: (أُحد جبل يحبنا ونحبه)[52]، فصعد النبي ﷺ على أحد فاهتز الجبل، والمدينة ممنوعة من الزلازل، قد حرَّم الله –عز وجل– وقوع الزلازل فيها –وإن كانت جزيرة العرب في آخر الزمان جاء في الحديث أن الزلازل ستكثر فيها–، فاهتز جبل أُحد، فضربه رسول الله ﷺ بقدمه، وقال: (اسكُن .. فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان)، إذًا كان عثمان يعلم أنه شهيد وسيُقتل.

وكذلك أن رسول الله ﷺ دخل حائطًا (بستانًا) مورقًا مثمرًا للأنصار، فجلس النبي ﷺ على قُفِّ البئر –وقف على فوهته–، فجلس ووقف أنس –رضي الله عنه– حارسًا، وأنس جاءت به أمه –أم سليم– وعمره عشر سنين وجعلته خادمًا للنبي ﷺ، فوقف والنبي ﷺ جالس وكشف عن فخذيه ودلَّى رجليه في البئر، فاستأذن أبو بكر، فاستأذن أنس رسول الله ﷺ أن أبا بكر في الباب؛ أأذن له؟ قال: (ائذن له وبشره بالجنة)، فدخل أبو بكر وجلس على يمين النبي ﷺ، وثم بعد ذلك استأذن عمر، فاستأذن أنس رسول الله ﷺ فأذن له: (ائذن له وبشره بالجنة)، فدخل عمر وجلس بجانب أبي بكر، ثم جاء عثمان فاستأذن الدخول إلى النبي ﷺ فجاء أنس واستأذن رسول الله أن عثمان بالباب: فقال: (ائذن له وبشره بالجنة مع بلوى تصيبه).

وكذلك حديث الذَّنوب الذي ذكرناه في الدروس السابقة، إذًا كان يعلم أن له بلوى.

---

[51] صحيح مسلم: (1384).

[52] انظروا لهذه العلاقة التي يصنعها الإسلام يصنعها الدين حتى مع الجمادات، الجمادات لها مشاعر، الجِذع لما فارقه رسول الله ﷺ من الخطابة وصعد على المنبر، حنَّ الجذع ونزل رسول الله ﷺ واحتضنه، وقال: (لو لم أحتضنه لحنَّ إلى يوم القيامة). يقول ﷺ: (كنت أمر على حجر في مكة وكان يسلم عليّ)، والله يقول بعد أن ذكر مصرع فرعون وجنوده: {فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ}، فالجمادات لها مشاعر تسبِّح بحمد الله. والحديث قد روي في صحيح البخاري: (1481)، وقد روي معلقًا وقد وصله في موضع آخر.

وأيضًا لأنه رأى رسول الله ﷺ في المنام وبشَّره، وقال له: (يا عثمان، إنك تفطر عندنا الليلة)[53]؛ فأصبح صائما وقتل من يومه.

وأنا حقيقة لما أتذكر مقتل هذا الشيخ أتعب، لا أتصور أن رجلًا هكذا يقتله أقوام! عثمان كان خير من يدُبُّ على الأرض في عصره، ومع ذلك يدخل هؤلاء الغوغاء، من أجل ذلك تغير الحكم بعد عثمان وما سَلِم الأمر لعلي، ولما بدأ الحكم ما كان له ضرورة إلا السيف، الناس غوغاء ما ينفعهم أمر، لما جاء رجل إلى علي قال له: "لماذا عصرك عصر فتنة وقتال، وما رأينا هذا في عهد أبي بكر وعمر؟"، قال: "لأن أبا بكر حكم أمثالي وأنا حكمت مثلك"، فلذلك كما قال ابن تيمية: "افترق السلطان والقرآن، افترق العلم والقوة، افترق القرآن والحديد".

فإذا علم المرء أنه مقتول فلماذا يُريق الدماء من أجله؟

- **السبب الثاني**: أنه رفض أن يكون أول من يريق دماء المسلمين من أجله، يموت هو ولا يريق دمًا، وهذه مرتبة عظيمة جدًا، هذه مرتبة -ولا شك أيها الإخوة- لا يقوى لها كل واحد، بل أنني أظن لو أنها عُرضت على عمر لم يقبلها، ليس معنى هذا أن عثمان أفضل من عمر، لا، عمر أفضل؛ ولكن هذه المزية في عثمان عجيبة في تسامحه، تسامح عثمان كان شيئًا عجيبًا وعفوه ورحمته على الناس، يدخل عليه الصحابة يستأذنون لقتلهم، يُقسم عليهم الأيمان: "الزموا بيوتكم أقسم عليكم بالله أن ترجعوا وتضعوا سيوفكم"، هذا رجل عجيب!.

هذه هي الأسباب في الحقيقة، وليس كما يزعم بعض المؤرخين مثل -للأسف- طه حسين لما كتب كتاب (الفتنة الكبرى)، كذب، ما كانت فتنة كبرى، ولكن هكذا يأتون للحدث الصغير في الأمة ويعظمونه، كما يأتون لحادثة زنا ويضعونها تحت المجهر وكأن المجتمع الإسلامي كله زناة -من قبيل زندقتهم-، وكذلك كما فعل أحمد أمين، وكما أخطأ سيد -رحمه الله- قبل هدايته -كما تكلمنا في دروس فائتة في كتابه (العدالة الاجتماعية في الإسلام)-، هذه أخطاء، أما الشيعة فأولئك كذبة لا يُلتفت إليهم.

المهم أنهم قتلوه، تكلمنا بسرعة، وعلي -رضي الله عنه- أخذ البيعة، وهنا نقطة خاصة هؤلاء جهلة الخلافة في هذا العصر، خلافة آخر زمن، يعني اسم جليل يوضع على أقوام جهلة، شيء عجيب!

---

[53] **رواه البخاري في التاريخ الكبير وقال: (لا أعرف لعبد الرحمن المدني سماعا من أبي هريرة).**

علي –رضي الله عنه–

القصد أن عليًا –وبالسند الصحيح– لم يقبل بيعة أحد من الثوار حتى بايعه طلحة والزبير وكبار الصحابة كسعد بن وقاص محمد بن مسلمة، كبار الصحابة بايعوه، ولم يقبل بيعة الثوار، جاؤوا إليه في السوق قالوا له: نبايعك، قال: "الأمر ليس لكم"، حتى جاءه كبار الصحابة وبايعوه فقبل البيعة، وتعرفون أن أهل الشام ومعاوية كان يطلب حقه، أننا نريد قتلة عثمان وكان يُصبِّرهم للأسباب التي ذكرناها البارحة ولا أريد أن أكرر الموضوع.

خرج علي –رضي الله عنه– وأخطأ ولم يكن يدري أنه يذهب إلى أقوام بمثل هذه الصفات، ولذلك هو في آخر خطبة له، وقف على المنبر وقال لقومه لأهل العراق: "قبّحكم الله لقد ملأتم صدري غيظًا، أدعوكم إلى قتال هؤلاء القوم في الصيف فتقولون دعها للشتاء فهو أقوى لنا، أدعوكم إلى قتالهم في الشتاء فتقولون دعها في الصيف، اللهم لا تريني وجوههم بعد عامي هذا"، وما أتم السنة، بعد أربعة شهور من هذه الخطبة المشهودة قُتل –رضي الله عنه–.

القصد؛ خرج علي –رضي الله عنه– إلى العراق بعد موقعة الجمل التي اشترك فيها المنافقون والثوار ورجموا الفريقين –العسكرين– فقامت المعركة، لم يُقتل فيها الكثير لكن أُخذت فيها عائشة وأُرجعت إلى المدينة، قُتل بعد المعركة طلحة والزبير، وبعد ذلك علي –رضي الله عنه– رأى أنه من الحكمة أن يخرج إلى العراق ليفرغ لأهل الشام من أجل أن يدخلهم في طاعته.

معاوية كان يُقنع من جاء إليه أن يدخلوا في بيعة عليّ، حتى أن أحدهم قال له: أتظن نفسك تعادل عليًا؟ قال: "علمت أني لا أعادل عليًا ولا أنافسه"، وهذا يدل على أن معاوية لم يكن يطلب الملك، هذا كذب من الشيعة، إنما كان يطلب ومن معه الثأر والقصاص من قتلة عثمان، لكن عليا –رضي الله عنه– لسببين أجل إقامة القصاص من قتلة عثمان: أول شيء لغلبتهم، ثانيًا لعدم تحقق الحادثة؛ لأنها وقعت من أُناس كثر، فلا بد من التحقيق الطويل، وهذا يحتاج إلى قوة، وجيوش الإسلام في المشرق والمغرب وقد امتدت أطراف الدولة.

المهم علي –رضي الله عنه– قاتل أهل الشام في معركة شهيرة (صفين)، طبعًا ممكن واحد يسمع الكلام يقول أنتم أهل الشام نَوَاصَب، ونعوذ بالله من النَّصْب، ونعوذ بالله من الرَّفض، إنما هو الحق (الكتاب والسنة)، وعلي –رضي الله عنه– أحب إلينا من عشرات من معاوية –رضي الله عنه–.

فمعركة صفين تمت فيها مقتلة عظيمة من الفريقين وكادت الريح أن تميل على أهل الشام؛ فخرج عمرو بن العاص بحيلة في الحقيقة هي من أجل إيقاف الهزيمة، بأن رفع أهل الشام المصاحف على أسِنَّة الرماح، فعلي -رضي الله عنه- لم يقبل الحيلة، وطلب من قومه أن يواصلوا القتال؛ لأن الموضوع ليس وجود مصحف في يدك يمنع إقامة الحق، وهذا قول صحيح وصائب، ولكن جماعة من قومه أبَوا عليه إلا قبول التحكيم، يعني دعوهم إلى أن يُحكِّموا كتاب الله، فأجبره أقوام -انظروا إلى الجهل-، وعلي -رضي الله عنه- لو لم يوافقهم لخرجوا وتركوه، والرجل بقومه.

ولذلك الفرق أن عليًا -رضي الله عنه- كان خير الفريقين، ولكن فِرقته لم تكن خير الفرقتين، **هذه نقطه مهمة،** جماعته لم تكن خير الجماعتين، لكن عليا -رضي الله عنه- هو الإمام، وهذا بأدلة؛ لقوله ﷺ لعمار: (تقتلك الفئة الباغية)[54]؛ فأهل الشام بغاة، وقوله ﷺ عن الخوارج: (تقتلهم أولى الطائفتين بالحق)، وقوله ﷺ للزبير كما روي في (تاريخ دمشق) لابن عساكر، قال رسول الله ﷺ للزبير: (تقاتله وأنت ظا لم له)، فالحق مع علي بلا شك، وهو الإمام الذي يجب أن يطاع، ويُنظر إلى حكمته في الأمر، ويدخلوا في طاعته، وهم في طاعته يباحثون الأمر، لا أن يخرجوا عليه ويقاتلوه.

فوقعت صفين، طبعًا هنا سُميت "شيعة علي"؛ أي جماعة علي، وشيعة معاوية، فالشيعة هي الجماعة، وهذا هو أول ظهور لهذا اللفظ، وشيعة الرجل أي جماعته، فرضي علي بالتحكيم وأن يوقف القتال من أجل رفع المصاحف، فقام التحكيم وجاء أبو موسى الأشعري من قِبل علي، وجاء عمرو بن العاص من قِبل معاوية، فكل واحد منهما قام وخطب، أبو موسى الأشعري للأسف قام وقال: "ندع عليًا ومعاوية، ونسقط هذا وهذا، ونترك المسلمين يجتمعون ويختارون واحدًا من أجل أن يقيم الحق ويتم الفصل"، عمرو بن العاص حينئذ بعد أن قام وكيل علي بإسقاط إمامته؛ دعا إلى إمامة معاوية، فهذا أول ذكر موضوع أن معاوية له حق الملك.

---

[54] صحيح مسلم: (**2916**).

أول ظهور الفرق:

أول فرقة اعتقادية: الحرورية

لما قبل التحكيم وخرج؛ الذين أجبروا عليًا على قبول التحكيم خرجوا عنه وكفروه، لماذا؟ قالوا: هذا حكّم الرجال، والحكم لا ينبغي أن يكون إلا لله! كيف يعني لله؟ الله –عز وجل– يقول: {فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا}، كما قال ابن عباس: "إذا كان إرجاع امرأة لزوجها نرسل حكمًا من أهله وحكمًا من أهلها، فكيف إرجاع طائفة من المسلمين إلى الإمامة والخلافة؟".

المهم أن هؤلاء خرجوا وانفصلوا عن المسلمين، ومكثوا في منطقة اسمها حَرُورَاء في العراق، وسموا بالحَرُورية، وكان هؤلاء أول من خرج على علي، وكفّروا عليًا وكفّروا معاوية، كفّروا عمرو بن العاص، كفّروا أبا موسى، ودعوا إلى قتل الاثنين، قالوا: هؤلاء كفار فلا بد من ولاية جديدة وإمارة جديدة.

وعلي –رضي الله عنه– وقع في مشاكل كثيرة وهو الإمام العظيم، لكنه صدق حين قال للرجل: "المشكلة أن أبا بكر وعمر قد حكما أمثالي"، يعني انظروا إلى فضل علي وإلى عقله، هو يحب فاطمة، ويحب الحكم نعم، هذا الملك كما قال عبد الملك بن مروان: "الملك عقيم"، لا يوجد أحد يقول لي: أنا لا أحب أن أكون ملكًا، أنا لا أحب أن أكون خليفة، أنا لا أحب أن أكون أميرًا، هذه ميزة تكون للأوائل، أما أن عليًا يحب الحكم فنعم، لكنه بايع أبا بكر الصديق وهو كان يحبها لنفسه، والعباس –كما ذكرت لكم في الدروس السابقة– دفع عليًا أن يدخل إلى النبي ﷺ كما في البخاري من أجل أن يسأله هل لهم في الملك نصيب؛ فعلي –رضي الله عنه– رجل حكيم، قال: "إن سألناه فلم يعطنا خرجت منا إلى يوم القيامة، فدعها شورى"، ولكنّ عليًا حكيم، كيف؟ لما بويع أبو بكر بالخلافة؛ وجد عليّ في نفسه، ثم طالبت فاطمة –وهي ابنة رسول الله ﷺ بالميراث، وأبو بكر لم يعطها، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لا نورَثُ، ما تركْناهُ صدقةٌ)[55]، فغضبت ووجدت في نفسها، وجلست في بيتها، علي –رضي الله عنه– كان يحبها ولا يريد إغضابها، فلم يبايع لأمرين:

---

[55] صححهُ الألباني في صحيح الترمذي: (**1610**).

- إرضاءً لها.

- ومحبة، أنه كيف أُخذت الخلافة، يعني هو كان يرى لنفسه شيئًا أن يكون هو الخليفة.

فلم يبايع لمدة ستة شهور؛ ولكن لم تتم القطيعة بينه وبين أبي بكر، فقد روى الإمام أحمد في مسنده بسند على شرط الشيخين: أنه في اليوم الذي تلا بيعة أبي بكر الصديق؛ صلى علي -رضي الله عنه- وراءه، فلما خرجوا من المسجد نظر إلى الحسين -وكان يشبه رسول الله-؛ فأخذ أبو بكر الحسين -كما في مسند أحمد وهو سند على شرط البخاري ومسلم-، فأخذه وجعل يلاعبه يرفعه ويرميه ويقول: "بأبي شبيهًا بالنبي، لست شبيهًا بعلي"، وهما يضحكان أبو بكر وعلي، ومع ذلك لم يبايع.

مكثت فاطمة ستة أشهر بعد وفاة الرسول ﷺ وقُبضت -رضي الله عنها-، فأرسل عليّ رسولًا إلى أبي بكر: "تعال لأبايعك ولا تحضر معك أحدًا"، يقصد عمر، فأبو بكر ذهب عنده إلى بيته وبايعه.

والناس كانوا يحترمون عليًا لفضل فاطمة، يعني يرون أنه يريد أن يسايرها فيحترمونه، لما ماتت فاطمة تنكّرت له الوجوه -يعني لا بد أن تبايع-، فقال له أبو بكر وكان حكيمًا: "الناس في قلوبهم شيء عليك، فلا بد أن تبايع في المسجد حتى يراك الناس ويذهب ما في قلوبهم"، فقبل علي -رضي الله عنه- وجاء المسجد وبايعه أمام الناس، فقاموا يعانقونه ويبتسمون في وجهه، فهذا موقف عظيم من عليّ كما ترون. وكان الأولى بأهل الشام أن يكونوا كذلك، يعني أن يدخلوا معه، أو أن يسكتوا ولا يقاتلوا، أو أن يتنازلوا عن الملك ويطالبوا كأولياء للدم، يتنازلون عن إمارة الشام ويطالبون بالولاية ليس بقوة الاستئثار والانفصال عن المسلمين، هذا ما كان ينبغي منهم، ولهذا بعضهم قال لعلي: "أنت لا تُحسن القتال"، قال: "أنا أحسن القتال لكن المشكلة فيكم".

علي -رضي الله عنه- عانى الكثير ولم يطمئن له بال، ووقع بعد خروج الخوارج بين أمرين: أهل الشام يريد أن يدخلهم في طاعته، وبين الخوارج خرجوا عن طاعته؛ يقاتل من؟؟ وبدأ يتمنى الموت -رضي الله عنه- ونهاية هذا الأمر، وأهل العراق الذين زعموا نصرته تخلوا عنه وما قاتلوا المقاتلة اللائقة به، ولذلك ابنه الحسن الذي أدرك هذا عِلم أن الناس قد تغيرت قلوبهم وليست الرياح تأتي بما يشتهي صاحب السفينة، فأرسل علي -رضي الله عنه- رسالة للخوارج: "لم نمنعكم المساجد لم نمنعكم الفيء إذا قاتلتم معنا ولكن لا تقاتلونا"، ولكن الخوارج قست قلوبهم وحمُقت عقولهم

وغابت عنهم هداية الكتاب والسنة، فكفّروا الناس جميعًا وبدؤوا يقتلون المسافرين، حتى خرجوا على عبد الله بن خباب بن الأرت فقتلوه وبقروا بطن زوجته وهي حامل، فلما بدؤوا يقطعون الطريق لم يقاتلهم علي، وكان الأولى أن يقاتلهم قبل هذا؛ للحديث الذي قال عنه النبي ﷺ: (لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد)[56]، لكن علي لم يقاتلهم حتى قتلوا من الناس، قال: "إذا خرجنا إلى أهل الشام خلفنا هؤلاء في ذرارينا ونسائنا وفي أهلنا، فلا بد أن نصدر إليهم لنقاتلهم".

قبل ذلك أرسل عبد الله بن عباس -وكان واليًا على بيت المال لعلي- لهم وناظرهم مناظرة رائعة، من أروع ما حصل في التاريخ الإنساني من مناظرات علمية، ارجعوا إليها موجودة في (تاريخ الطبري)، موجودة في كتاب (غُرَر المناظرات)، موجودة في أكثر من موطن، ارجعوا إليها وانظروا إلى قساوة قلوب القوم، لما دخل عليهم الرجل يلبس جيدًا؛ قالوا انظروا إليه ماذا يلبس، عاتبوه على لبسه! فأخبرهم ماذا كان يلبس رسول الله ﷺ، حتى لما ناظرهم وغلبهم، قالوا: إنك من قريش، وقد سب الله قريش بقوله: {بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ}. إذن ناظرهم ورجع منهم أكثرهم، ولم يبق منهم إلا القليل، فصدر إليهم علي وقاتلهم في النهروان، وقتل منهم الكثير، وحصلت البشارة بفضل علي بأنه يقاتل هؤلاء القوم الذين وصفهم رسول الله ﷺ.

وأخبر علي -رضي الله عنه- أصحابه بفضل قتال هؤلاء القوم لما رأى ذا الثدية[57] فأمرهم أن يبحثوا عنه، فبحثوا فلم يجدوه حتى جاؤوا إلى كوم من الرجال فوق بعضهم البعض فقلبوهم فوجدوه، فسجد علي -رضي الله عنه- شكرًا أنه هذا الذي بشر به الرسول ﷺ. وبعضهم أراد أن يتوثق؛ فجاء إلى علي وأحلفه الأيمان: أسمعت رسول الله يذكر أمر هؤلاء القوم (يَمْرُقونَ مِنَ الدِّينِ مُروقَ السَّهمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ ، لَا يَرْجِعونَ حتى يَرْتَدَّ علَى فُوقِهِ ، هم شِرَارُ الخَلْقِ والخَلِيقَةِ ، طُوبَى لِمَنْ قتَلَهم وقتَلوهُ)[58] فأقسم لهم علي -رضي الله عنه- الأيمان، وهناك أكثر من ثلاثة عشر حديثًا في شأن ذكر الخوارج.

---

[56] صحيح البخاري: (7432)، صحيح مسلم: (1064).

[57] يقال رجل ذو ثدية وامرأة ذات ثدي.

[58] صححهُ الألباني في صحيح الجامع: (3668).

طبعًا علي -رضي الله عنه- قاتلهم وبقيت منهم قلة بسيطة، بعضهم غادر إلى المغرب؛ فانتشرت هناك الدعوة الخارجية حتى بقاياهم الإباضية، وانتشر بعضهم في البلاد وبدؤوا يدعون إلى نحلتهم، وبدأ يقوى أمرهم، وسنتحدث عنهم وعن عقائدهم وأماكنهم وعن الطريقة المثلى التي فعلها عمر بن عبد العزيز للقضاء عليهم، وعن بقاياهم إلى يومنا هذا، وعن أركان فقههم وعقيدتهم.

إذن تشكل في تلك الفترة أول افتراق في الاعتقاد؛ وهو ظهور الخوارج.

أول ظهور الشيعة السبئية

أما الشيعة فلم يظهروا في ذلك الوقت حتى جاء ابن السوداء -باختصار سريع- فدخل مع جماعة علي وبدأ يُشيع أن عليًا هو الوصي، وأن الرسول ﷺ أوصى له، وأن عليا فيه صِبغة إلهية، حتى كان علي -رضي الله عنه- على المنبر فقام إليه رجل فقال: "أنت أنت" -أي أنت الله-، فعلي أدبهم ولم يرجعوا، فأمر بالأخاديد فأضرمت فيها النار فأحرقهم، وقال بيت الشعر المشهور:

لمـــا رأيـــتُ الأمـــرَ أمـــرًا منكـــرًا أجّجـــتُ نـــاري ودعـــوت قنبـــرًا

فهذا هو أول أمر ظهور الشيعة السبئية الذين ألّهوا عليًا باعتقادهم، وهذا أول أمر ظهور الخوارج، إذن أول أمر افتراق الأمة إلى فرق اعتقادية، وما جرّها بعد ذلك من معتقدات، حتى ظهرت القدرية على يد مَعْبد الجُهني الذي قُتل في سنة 80هـ على يد عبد الملك بن مروان، ثم من تبِعه غيلان الدمشقي الذي قُتل على يد هشام بن عبد الملك سنة 83هـ. هذا هو أول ظهور الفرق في تاريخ الإسلام، وإلى الدروس القادمة مع هذه العقائد، وهذه الفرق.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.

7

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلله فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلوات ربي وسلامه عليه، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى صحبه الغر الميامين، وعلى من تبعهم بإحسان وهدى إلى يوم الدين، جعلنا الله –عز وجل– وإياكم منهم، آمين.

الإجابة عن أسئلة بخصوص الدرس السابق

وصلنا في الدرس الفائت إلى أول ظهور الفِرق، وكيف ظهر الخوارج، وظهرت السبئية، وظهرت كذلك ألفاظ تحتاج إلى تحقيق؛ منها المرجئة –في ذلك الوقت– والقُرّاء، وقبل أن أتابع معكم ذكر هذين الأمرين فإني أعود لسؤال بعض الإخوة عن بعض الأمور:

- القضية الأولى: عن عبد الله بن سبأ اليهودي.
- القضية الثانية: عن حادثة التحكيم.
- القضية الثالثة: رفع المصاحف.

الحقيقة لم يكن في نيتي أن أتكلم عن التواريخ والأحداث وتحقُّق الأخبار، إنما أردت ما تكلمت به مقدمة لظهور الفرق، وكانت هذه المقدمة ضرورية، لكن لا بأس أن أجيب عن هذه الأمور الثلاثة.

الأمر الأول: وهو موضوع رفع المصاحف:

الحقيقة هذا أمر مُشتهِر ومذكور في كتب التاريخ والأخبار لكنه على صفتين:

الصفة الأولى: ما ذكره الطبري في تاريخه من طريق أبي مُخنِف لوط بن يحيى، وهذا رجل شيعي مُحترِق، ذكر قضية رفع المصاحف في معركة صِفِّين –وصفين موطن، وموقعة الجمل وقعت قريبًا من البصرة–، فهذا الذي يذكره الطبري من هذه الطريق.

ولوط بن يحيي أبو مخنف شيعي محترق، فالكلام على روايته كالكلام عليه، لكن وردت حادثة الدعوة إلى المصحف كما رواها الإمام أحمد في مسنده، وقال الشيخ عبد الرحمن الساعاتي وهو والد حسن البنا، وهو رتّب مسند أحمد على الأبواب الفقهية على طريقة صحيح البخاري، وجرَّد المسند من الأسانيد وعلّق على بعض الأحاديث، وسمى المسند المرتب على الأبواب الفقهية المجرد من الأحاديث على سبيل الرواية (الفتح الرباني في ترتيب مسند أحمد بن حنبل الشيباني)، وقال عن هذا الحديث الذي سأذكره: أن رجاله ثقات، وقد صدق وأصاب، –وصدق ليست هي التي تُضاد الكذب بل هي التي تُضاد الخطأ–.

تقول الرواية وهذه الرواية من سؤال بعضهم لعمرو بن العاص بنفسه، أنه اجتمع معه في خيمة وسأله عن أمر التحكيم فذكر له الخبر، قال أنه لما وقعت المعركة واستحرَّ القتل بين الفريقين؛ شاور عمرو بن العاص معاوية أن يرسل إلى علي –رضي الله تعالى عنه– المصحف يدعوه إلى تحكيمه. ولو قارنّا بين الروايتين لوجدنا أن هذه الرواية أصوب وأَسَدّ، وهذه الرواية تُضعف رواية قبول أو دعوة علي وإجباره لقبول التحكيم، فهناك من ضعّفها برغم أنها جاءت من غير طريق لوط بن يحي أبي مخنف. فهذا موضوع المصاحف، وهذا أقرب وأسد بالرغم من اشتهار رواية رفع المصاحف في صفين.

الموضوع الثاني: **التحكيم.**

حادثة التحكيم وقعت، وهذا الحديث الذي ذكرته لكم في مسند أحمد، ذكر عمرو بن العاص –رضي الله تعالى عنه– موضوع التحكيم، لكن الخلاف في ماذا جرى في التحكيم؟

بلا شك أن معاوية لم يكن داعيًا إلى الإمرة ولا إلى الخلافة، فلم يكن الخلاف في التحكيم هو: من يكون الخليفة؛ بل كان الخلاف في موضوع المطالبة بدم عثمان –ذي النورين رضي الله تعالى عنه–، فليس هناك خصومة على موضوع الإمارة، وكان معاوية في غير ما نص يعترف بفضل وسبق علي وأحقيَّته بالخلافة، لكنه كان يطالب بدم

عثمان، وكان في هذا ظالمًا باغيًا على علي -رضى الله تعالى عنه-، وإن كان مجتهدًا ظانًا الصواب، ومعه بعض الصحابة كطلحة والزبير في بداية الأمر.

وطلحة قُتل في الجمل في حادثة مريعة جدًا، نزلت السهام عليه تتناوشه فرفع يديه وهو يقول: "خُذ منّي لعثمان حتى ترضى"، ظنًا منه أنه قصّر في نصرة عثمان.

وأما الزبير فتعرفون أنه ترك المعركة ولحقه رجل فقتله بعيدًا عن أرض المعركة، موقعة الجمل التي كانت بجانب البصرة.

إذا أردتم التحقيق فهذا هو شأن المصاحف وشأن التحكيم، وما جرى هو من أجل الاتفاق على كيفية أداء دم عثمان، لكن الخوارج خرجوا.

الموضوع الثالث -الذي سأل الإخوة بسطه-: **وهو موضوع عبد الله بن سبأ اليهودي.**

خاصة أني ذكرت أن هناك من نفى، طبعًا لا يوجد من المتقدمين أحد نفى وجود هذه الشخصية.

فإذا أردتم البسط أحدثكم قليلًا عنه:

فهو عبد الله بن وَهب، اسم والده وهب، واختُلف هل هو من حِمْيَر أم من همذان أم روميّ، فجمهور المؤرخين: الطبري، ابن خلدون، ومن معهما من جمهور المؤرخين وكذلك خليفة بن خياط وابن سعد وغيرهم يرونه من حِمير، وسبأ هي قبيلته، يرونه سبئيًّا من حمير اليمن.

ويرى البلاذري ومعه بعض الشيعة -الأشعري الشيعي وليس الأشعري أبو الحسن- أنه من همذان، والخطب يسير. إلا الإمام ابن كثير في (البداية والنهاية) يذكر إنه من الروم، والصواب هو الأول.

أما لماذا يُلقَّب بابن السوداء؟ نسبة لأمه لأن أمه كانت حبشية، فكان يُكنى بها بقولهم: "ابن السوداء".

أول ظهوره: يقول جواد علي في كتاب (تاريخ العرب) -وهو كتاب جيد، فيه هنَّات لكنه جيد-، وهو فيما أذكر اثنا عشر مجلدًا-، يقول: أول ظهوره في أقدم الكتب التي ذكرته هو كتاب (البيان والتبيين)، -كما هو معلق على طُرّة

الكتاب (البيان والتبيين) ولكن محقق الكتاب وهو الأستاذ عبد السلام هارون أعطى محاضرة قبل وفاته بسنة وحقق أن اسم كتاب الجاحظ هو (البيان والتَّبيُّن) وليس (البيان والتبيين)، والجاحظ توفي سنة 255 للهجرة-. وهذا الذي قاله جواد علي خطأ.

لو رأينا لوجدنا ابن حبيب البغدادي وهو متوفى سنة 245 من الهجرة ذكره في كتابه، بل وجدتُ أقدم من ذلك بكثير، ولا أقصد الروايات، ولكن وجدته في رسالة الحسن بن محمد بن الحنفية، وهي أول وثيقة ذُكر فيها الإرجاء، والحسن بن محمد بن الحنفية ابن علي، أمه الحنفيَّة من سبي بني حنيفة، سباها الصحابة وأخذها علي سبية فاستولدها وولدت له محمدًا، ونُسب إلى أمه محمد بن الحنفية، وله ولد اسمه الحسن كتب رسالة ذكر فيها السبئية قال: "ونبرأ من السبئية" هكذا باللفظ.

وهذه الرسالة وصلت إلينا في موطنين: الموطن الأول: مسند، والموطن الثاني: غير مسند.

أما المسند في رسالة في كتاب (الإيمان) لأبي عمر العَدَني، وهذا كتاب طُبع مؤخرًا وكُشفت لنا بعض الأخطاء في نسبة الإرجاء إلى الحسن بن محمد بن الحنفية، فالإمام ابن حجر في (فتح الباري) يقول: "أن أول من أظهر الإرجاء هو الحسن بن محمد بن الحنفية"، وهذا غير صحيح؛ الإرجاء الذي ذكره الحسن هو غير الإرجاء في الإيمان.

توفي الحسن بن محمد بن الحنفية سنة 95 وقيل 100، فهذه وثيقة مكتوبة ومروية بالسند الصحيح وموجودة كذلك في ترجمة الحسن بن محمد بن الحنفية في كتاب (تهذيب الكمال) لأبي الحجاج المزي، لكنها غير مسندة هناك، وهي مسندة بسند صحيح في كتاب (الإيمان) لأبي عمر العدني وهو كتاب جيد في باب الإيمان.

القصد أن عبد الله بن سبأ تقدَّم ذِكره في كتب متقدِّمة كما رأيتم سنة 90 و95 يُذكر في الكتب.

أما أول ظهوره فهناك أخبار تجدها سنة 32 للهجرة، وتجد له خبرًا عند ابن كثير في (البداية والنهاية) لكني أشك في الخبر لأن مستنده على رجال ضعفاء في (تاريخ الطبري)؛ لأن ابن كثير في (البداية والنهاية) يذكر أخذًا من الطبري في (تاريخ الرسل والملوك) أو (تاريخ الأمم والملوك)، -وكتاب (تاريخ الطبري) مُختلف في اسمه-، أنه صادف وقابل أبا

موسى الأشعري وحرّضه على الخليفة عثمان، وهذا غير صحيح؛ الصحابي الجليل يأتي إليه واحد ساقط مثل هذا الرجل ويحرضه ويُنسب بعد ذلك ما وقع من أبي موسي من أعمال إلى تحريض هذا اليهودي، هذا يُشك فيه.

طبعًا أسلم –كما زعم– في زمن عثمان، وأول خبر له صحيح –في ظني– أنه ظهر في سنة 34 للهجرة، وهو خرج من اليمن، أسلم وذهب إلى العراق "ما وجد له خبزًا" –كما يقولون–، لم يجد له موطنًا، فذهب إلى الشام وما سمع الناس له، ثم ذهب إلى مصر فوجد هناك أرضًا خصبة للاستماع له، لذلك قلنا عامة الثوار كانوا مصريين.

فهذا عبد الله بن سبأ اليهودي كما ذكرته، وفي كتب الشيعة خاصة كتاب (الفرق والمقالات) للقُمِّي يخلط بينه وبين رجل ممن خرج على عثمان اسمه عبد الله بن وهب الراسبي، ويخلط الشيعة بينهما، والشيعة لا يُحقِّقون في المسائل.

المهم أن هذا كان مع علي وكان يظهر بين الفينة والأخرى، وهو أول من قال الأمور التالية:

أولًا: الوصية؛ أن النبي ﷺ أوصى أن الإمامة في علي.

ثانيًا: قال بالرَّجعة؛ حتى إن أحدهم جاء إليه فقال: إن عليًا قد مات، فقال له: "لو أحضرت لنا دماغه ما صدقنا أنه مات، إنما هو سيرجع".

ثالثًا: الإمامة.

رابعًا: إلهية علي.

خامسًا: البَدَاء.

هو أول من أظهر هذه الأمور الخمسة في اعتقادات التشيُّع، وظهرت فرقة السبئية.

ابن أبي الحديد شيعي معتزلي، الشيعة لا يقبلونه شيعيًا يسمونه من العوام لكنه بالإجماع معتزلي يذكر ويعترف بابن سبأ، ومن المعتزلة كذلك الجاحظ ذكره في (البيان والتبين).

الشيعة في (رجال الكشي) وفي (المقالات) كتاب القمي، وفي (الفرق والمقامات)، والنوبختي في كتاب (فرق الشيعة)، كل كتبهم ذكرت وجود رجل اسمه عبد الله بن سبأ اليهودي وتنسب إليه فرقة السبئية.

المعتزلة والشيعة وأهل السنة بالإجماع يذكرونه، فكلهم يُجمعون على وجوده.

متى ظهر الشك في وجوده؟

أول من أظهره هو "إسرائيل فان يلدر" وهو مستشرق ألماني، هو أول من أظهر الشك فيه وأخذه بعض من تتلمذ على يديه.

طبعًا أول من أظهره في بلادنا هو طه حسين، وطه حسين رجل لا تدري ماذا يكتب؛ نشك به؟ لا نشك؟ حصل ما حصل، فكأنك تريد أن تُخرج من الماء الزبدة والسمن! هكذا على إعمال قاعدة الشك لكن بطريقة "حِمارية"، طه حسين يستخدم مبدأ الشك الديكارتي بالطريقة "البقريّة"، كل هذا يصح؛ ففي كتاب مثلًا (الفتنة الكبرى) لا تدري أهو يثبته أم ينفيه؟ لا تدري!

قلنا علي الوردي زعم أنه هو عمار بن ياسر، بجامع الأمور التالية:

قال: عمار بن ياسر من شيعة علي وعبد الله بن سبأ من شيعة علي.

عمار بن ياسر يقال له: ابن السوداء وعبد الله بن سبأ يقال له ابن السوداء.

هو يقول لا يجتمع ابن السوداء –عبد الله بن سبأ اليهودي- في قصة واحدة مع عمار بن ياسر! وجدت في الحقيقة في (تاريخ الطبري) قصة أو قصتين، قصة أكيدة وأشك بالثانية، في مصر باجتماع عمار بن ياسر مع ابن السوداء؛ فإن عثمان –رضي الله عنه- أرسل عمار بن ياسر إلى مصر ليبيّن لهم ما اتُّهم به عثمان للرد عليه، وكان حاضرًا في الجلسة ابن السوداء، وهذا رد عليهم.

أما قضية هذا ابن السوداء وهذا بن السوداء فهي ألقاب تنتشر؛ فعمار بن ياسر تعرفون أمه سمية وكانت أَمَة من الممكن أن يُقال له ابن السوداء.

أما الاختلاف بينهما فكبير؛ فهذا ابن السوداء يقف ويقول لعلي: "أنت أنت"، أو يقول له بعض أتباعه. ابن كثير يقول قتله علي وهذا غير صحيح، علي لم يستطع القبض عليه بل قال: من يعذرني؟

المرتضى العسكري على ماذا يعتمد في كتابه (عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى) أن ابن السوداء أسطورة؟ قال: لأن جميع الروايات التي جاء فيها ذِكر عبد الله بن سبأ جاءت من طريق سيف بن عمر التميمي الضَّبي، -ولأول مرة الشيعة يصيرون محترمين، لكن محترمين في غير مكان الاحترام مثل الذي "يلبس قرافة على المزبلة"!-.

فالشيعة ليس عندهم تضعيف وتصحيح، واعترف مشايخهم أن أول من صار يُقسِّم الحديث عندهم إلى صحيح وضعيف هو صفي الدين الحِلِّي صاحب كتاب (منهاج الكرامة) لتأثُّره بابن تيمية، فهم ليس عندهم صحيح وضعيف، إذا جاء الآن واحد شيعي وقال لهم: "قال علي"، يجب أن يصدقوه، "قال جعفر الصادق"، يجب أن تصدق! لا يطلبون السند ولا يعرفون شيئًا اسمه السند، لذلك لو رجعت إلى كتبهم لا يوجد سند، يقول لك حدثنا فلان عن شيوخه وأجداده أن كذا وكذا، من شيوخه وأجداده؟ لا تدري.

فالمرتضى العسكري ذهب فطبق منهج أهل السنة على الحديث على روايات الطبري التي فيها ذِكر عبد الله بن سبأ اليهودي، ويقول أن كلها وجدها عن طريق سيف بن عمر التميمي الضبي، وقال: إن أهل الحديث ضعفوه، ضعفوه في ماذا؟ ضعفوه في الحديث، لكن هل في التاريخ هو ثقة إمام جامع سيف بن عمرو التميمي لم يُكذِّبه أحد ولم يرد عليه أحد، ولكن ضعفوه في الحديث.

هذه مسألة: **لماذا يُضعَّف الرجل في الحديث ويوثَّق في التاريخ؟**

مثلًا الواقدي في التاريخ حجة، أما في الحديث لا يُقبل منه، متروك -أشد من الضعيف-، لماذا؟

لأنه في الحديث يجب أن يفصل بين الأسانيد والمتون ولا يخلط بينها، لكن في التاريخ الرجل حافظ، فربما يستغني عن الإسناد فيذكر القصة بإسناد واحد، لأنه لا يهم الإسناد؛ المهم الخبر، بخلاف الحديث ربما يُضعَّف الرجل ليس لخطئه في المتون قد يكون حافظًا للمتون ضابطًا لها كما هو شأن الفقهاء، قال ابن حبان في كتابه (المجروحين): "لا تأخذ السند من فقيه ولا تأخذ المتن من مُحدِّث"؛ لأن المحدِّث يهتم بالأسانيد وربما يقتصر فقط على طرف الحديث والفقيه

لا يهمه الإسناد يهمه متن الحديث لأنه يريد أن يحتج به، فقال لا تأخذ من هذا وهذا وخذ ممن جمع بين إتقانه للإسناد وإتقانه للمتن.

وهناك أقوام ضُعِّفوا في الأحاديث لأنهم يصلون المراسيل ويرفعون الموقوفات، بالرغم أن الحديث منسوب إلى النبي ﷺ لكنهم يخطئون في إسناده ويضبطون متنه.

فتضعيف الرجل في الحديث لا يستدعي أن يكون الرجل متروكًا ولا مطرودًا ولا مطروحًا في الأخبار؛ فسيف بن عمر التميمي الضبي رجل موثَّق في الأخبار والتاريخ، لكنه لا يؤخذ حديثه في الأحاديث.

فهذا الرجل ردّ كل أحاديث عبد الله بن سبأ عن طريق سيف بن عمر التميمي عن عبد الله بن مسعود.

ولكني وجدت أن الدارقطني انتقى في بعض الأجزاء الحديثية أحاديث عن شيوخه من غير طريق سيف بن عمر التميمي وفيها ذكر عبد الله بن سبأ اليهودي، وهذا السند الذي انتقاه الدارقطني –وذكرتُ الدارقطني لعلوّه وإلا فوُجد هذا الإسناد بعينه في (تاريخ دمشق) لهبة الله بن عساكر وأذكره الآن لأنه طُبع وموجود بين أيدي الناس–، إذًا فعبد الله بن سبأ اليهودي لم يختص بذكره سيف بن عمر التميمي الضبي، بل ذكره غيره.

ثانيًا: هذه الرواية التي ذكرتها وهي من وثيقة موثَّقة وصحيحة من ذِكر عقيدة الحسن بن محمد بن الحنفية سنة 90 للهجرة يذكره، ظهر في 34 للهجرة ثم غاب وقال ابن كثير: قتله علي، وهذا مشكوك فيه وإنما قتله أتباعه. فهذه حجتهم.

يأتي المرتضى العسكري ويقول: معقول رجل يصنع كل هذا الحدث في تاريخ أمتنا؟ طبعًا عندما يأتي رجل ويتحدث مع أغبياء وجَهَلة هل تُثمر دعوته أو لا تثمر؟ نعم؛ حمدان قُرمُط رجل مجنون لكن ظهر وأظهر مذهبًا لا زال أتباعه إلى اليوم، الباطنية كان يأتي إليهم العُصَابيون –مرضى ولكن يزعمون الولاية والإمامة– فيتبعهم الآلاف ويموتون من أجل كلمة يقولونها. هذا بولس شاوول –الذي ذكرته– غيَّر ديانة بأكملها.

فالتشكيك في أن ابن سبأ صنع شيئًا وصنع كل هذا المذهب، نعم أنتم لا عقول لكم ماذا نصنع؟! تأتي الروايات والأخبار الصحيحة الموثَّقة وتأبون إلا متابعة الباطل.

يكفي إلى هنا في بيان الرد على المخالف في قضية عبد الله بن سبأ اليهودي.

ظهور الخوارج والشيعة

قلنا بعد حادث التحكيم ظهرت فرقة الخوارج؛ والخوارج على قسمين :**مرجئة الخوارج**، **والخوارج**.

الآن انسوا ما في أذهانكم عن كلمة الإرجاء في الإيمان، الإرجاء في الإيمان ظهر متأخرًا. ظهر فريق خرجوا على علي وسُمّوا بـ"**مرجئة الخوارج**"؛ قالوا: نحن نخرج ولا ندري علي في الجنة ولا في النار ومعاوية في الجنة ولا في النار، لا دخل لنا في الموضوع، فانسحبوا وخرجوا عليه.

أما الخوارج الذين يقال لهم: "**المُحَكِّمة**" والذين يقال لهم "**الخوارج**" والذين يقال لهم "**الحَروريَّة**"، هؤلاء قسم، وهؤلاء كفّروا الفريقين.

فكان الخوارج فرقتين:

- فرقة كفَّرت الفريقين واستحلت دماءهما.
- وفرقة ثانية أرجأت أمرهما. ما معنى الإرجاء؟ التأجيل، أرجأت أمرهما أي قالوا: لا ندري أمرهم؛ أهم مسلمون أم كفار ولا يعنينا، أمرهم إلى الله –عز وجل–، فأرجؤوا أمرهم، وسمُّوا كذلك بالخوارج.

الآن أحاديث الخوارج تذكُر لنا: (يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم)[59]؛ فانتشر لفظ "**القُرَّاء**"، بالرغم من أن لفظ القراء في زمن النبي ﷺ كان لفظًا عظيمًا، فالنبي ﷺ عندما أرسل سبعين رجلًا إلى رعل وذكوان وعُصيَّة ليدعوهم إلى الإسلام سُمّي هؤلاء بالقُرّاء، فهو لفظ عظيم، ولما استحرَّ القتل في أصحاب النبي ﷺ في حادثة الردة قيل: "فاستحرَّ القتل في القُرَّاء"، وفي أكثر من موطن كان لفظ القراء يطلق على حُفّاظ القرآن، كما قال ابن حزم، وكذلك ابن

---

[59] صحيح البخاري: (7432).

خلدون قال: "كان لفظ القراء يُطلق قديمًا على من عُرف عنه حفظه لكتاب الله ومتابعته السنة"؛ أي التزامه بالدين التزامٌ متميّز، وحفظه لكتاب الله -عز وجل-.

لكن لما خرج الخوارج على علي واعتزلوا؛ ذهبوا إلى حروراء في جنوب العراق وهناك وقع عليهم وصف النبي ﷺ قال: (تحقرون صلاتكم مع صلاتهم وقراءتكم للقرآن مع قراءتهم، يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم)[60]، فحينئذٍ أُطلق لفظ القراء على هؤلاء، وكانت فيهم شدة العناية بقراءة القرآن حتى إنَّ بعضهم كان يعلِّق المصحف في عنقه.

ربما تقرؤون لفظ "الإرجاء" وتجدون كلامًا لبعض الأئمة القدماء قالوا: "والمرجئة يرون السيف"، والمرجئة لا يرون السيف! فالمقصود بالإرجاء هنا إرجاء الخوارج، أما مرجئة الإيمان فهم لا يرون السيف. ذكرت هذا من أجل بيان الأمر التاريخي لكثرة وجوده في كلام السلف، ومن أجل ألا يقع البعض في فهمه لكلمة الإرجاء في هذا الموطن.

إذًا فالخوارج انقسموا إلى قسمين.

ونشأت **الشيعة السبئية** وظهرت العقائد الخمس التي ذكرناها؛ وهي أن النبي ﷺ أوصى لعلي، وأن عليًا لا بد أن يعود ويرجع وهي الرجعة، وقالوا بإمامته وقالوا بإلهيته لما قام الرجل قال لعلي: "أنت أنت"؛ يعني أنت الله، طبعًا علي أحرقهم فهرب عبد الله بن سبأ، وابن عباس أنكر على عليّ حرقهم وقال: "إنما هو السيف"، **والصواب مع ابن عباس وليس مع علي** لأن النبي ﷺ نهى أن يُعذِّب الرجل بالنار وقال: (فإنَّهُ لا يُعَذِّبُ بالنَّارِ إلَّا ربُّ النَّارِ)[61]، لكن وقع من الصحابة التَّحريق، كما وقع من أبي بكر أنه أحرق رجلًا سرق السلاح وذهب به إلى المرتدين، لكن الصواب هو عدم جواز الحرق بالنار.

فظهر المذهب السبئي بهذه الصورة، كذلك ظهر في ذلك الوقت الخلاف: من الأفضل علي أم عثمان؟ فوقع الخلاف، وسمي بعد ذلك الفرقة الأولى **شيعة علي**، والفرقة الثانية التي تُقدِّم عثمان وتُبغض الصحابة الذين لم ينصروه بـ"**العُثمانية**"، وأشهرهم الحجّاج، كان يقتل الصحابة تقربًا إلى الله لأنهم فرطوا في نصرة عثمان!

---

[60] صحيح البخاري: (5058).

[61] صححهُ الألباني في صحيح أبي داود: (2673).

لكن لم يكن في شيعة علي أحد قط يقدم عليًا على أبي بكر وعمر، قيل لشريك بن عبد الله: "من أفضل علي أم أبو بكر؟ قال: أبو بكر، قيل له: أتقول هذا وأنت شيعي؟ قال: ليس بشيعي من لم يقدم أبا بكر، والله لقد سمعت عليًا على هذه الأعواد -في الكوفة- يخطُب وهو الصَّادق المصدَّق أنه من سمعته يُقدِّمني على أبي بكر وعمر جلدته حدّ الفِرى"؛ يدل هذا الخبر على انتشار مثل هذا.

في قضية الإمامة هذا الذي حدث؟ -والتاريخ مهم لأنه يكشف لنا تاريخ هذه العقائد-.

اجتمع الخوارج وقرّروا قتل علي ومعاوية وعمرو بن العاص، أما علي فكان كل يوم يخرج إلى مسجد الكوفة في الليل ويقوم الليل وطُلب منه أن يحرسوه فأبى ورفض، وكان يعلم علي أنه سيُقتل، فقال: "لا أموت حتى تُخضَّب هذه من هذا"؛ أي لحيته من رأسه، فخرج عليه ابن مُلجم الخارجي وضربه بالسيف وهو خارج إلى قيام الليل أو إلى صلاة الفجر، فضربه على رأسه وقتله.

وأما عمرو بن العاص فكان مجتمعًا مع رجل يسمي حارثة في خيمة، وكان الخارجي ينتظر خروج عمرو ليقتله، فخرج حارثة والوقت ليل ولعل هناك شبهًا، فضرب حارثة فقتله فذهبت مثلًا قوله: "أردتُ عمروًا واللهُ أراد حارثة"، فلم يُقتل عمرو بن العاص مِن قِبل الخارجي.

وأما معاوية فدخل عليه الخارجي وضربه فقطع أصابعه، ثم هجم عليه الجند فقبضوا عليه فقتله معاوية -رضي الله تعالى عنه-.

ولما قُتل علي -رضى الله تعالى عنه-، جاء الناس يبايعون ابنه الحسن. والحسن هذا له خبر جميل؛ أولًا كان رجلًا ذكيًا بمعرفة جند العراق أهل الشِّقاق والنِّفاق، كما وصفهم علي -رضي الله تعالى عنه-، قال: "يزعمون أن ابن أبي طالب لا يُتقِن القتال! والله لقد مارسته وأنا في العشرين، وها أنا قد بلغت الستين وأنا أجالد وأقاتل، ولكن لا رأي لمن لا يُطاع".

مثل المسلمين اليوم لا رأي لهم، كما قال عمر -رضي الله عنه-: "ولا خير في قول لا نفاذ له".

وهناك من حاول أن يبرر ضعف جماعة علي، وهو يشهد بهذا وقد شهد كثيرًا، حمل المصحف يومًا على رأسه وجعل يضربه ويقول: "يقولون لا حكم إلا لله، انطق أيها المصحف!"، لا حكم إلا لله، من الذي سيُحكِّم المصحف؟ الناس.

فالحسن بن علي أدرك أن الأمر لن يستقرَّ له وأن جماعته ليست بالقوم الذين يصلحون للقتال، فأرسل إلى معاوية يريد أن يجتمع معه فذهب وجلس معه، فاتفقا على أن يتنازل له عن الخلافة، ووقع موعود النبي ﷺ؛ كان الرسول ﷺ يخطب على المنبر يومًا فدخل الحسن يتعثّر في ثوبه، فنزل رسول الله ﷺ عن المنبر وحمله وصعد على المنبر وقال: (الولد مَبْخَلةٌ مَجْبَنة)، ثم قال: (ابني هذا سيد، وإني لأرجو أن يصلح الله به بين فئتين من أمتي)[62].

فتنازل على أنه إن مات معاوية وإذا أطال الله في العمر تكون للحسن، فاجتمع الناس يومها وسُمي العام بعام "الجماعة"، لكنها جماعة على دَخَن وليست كاملة لوجود الفِرَق التي حدثت.

هذه هي المقدمة التاريخية لأول حدوث الفرق.

ومن هنا يصدق قول عبد الله بن المبارك: "أصول البدع أربعة: أولًا الخوارج، ثانيًا الشيعة، ثالثًا المرجئة، رابعًا القَدَريَّة"، اختلف الناس في الخلافة وما حدث فيها هل هذا بقدر أم ليس بقدر؟ فحدثت بدعة القَدَريَّة في زمن عبد الملك بن مروان، لما قام مسلم بن يسار بتحريض الأمة على قتل معبد الجُهني فقُتل سنة 80 للهجرة.

فأصول البدع هذه احفظوها، هكذا نشأت أصول البدع وجميع البدع بعد ذلك تفرّعت عنها.

سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.

[62] صححهُ الألباني في صحيح أبي داود: (4662).

8

إن الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلله فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لا له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى صحبه الغر الميامين، وعلى من تبعهم بإحسان وهدى إلى يوم الدين، أما بعد:

قلنا لقد تشكَّلت بعد فتنة قتل ذي النورين عثمان -رضي الله تعالى عنه- الفرق العقدية؛ فكانت فرقة الشيعة السبئية، وكانت فرقة الخوارج، ثم كان بسبب دين الخوارج ومذهبهم أن حدث الإرجاء، ثم بسبب الفتنة وخوض الناس فيها، أهي قدر من الله مكتوب علينا أم غير مكتوب؟ وُجدت القدرية.

والسبئية هي أول من أتت بموضوع الوصية. ذكرنا أنه وُجدت "المُفضِّلة"؛ وهم الذين يُفضّلون عليًا على أبي بكر وعمر، وأنكر علي -رضي الله عنه- هذا الاعتقاد، أعلن على المنبر أن من يقول هذا القول فسيجلده حدّ الفِرية -أي الكذب- ثمانين جلدة.

ووُجد من قال لعلي: "أنت الله". وأحرقهم علي، وقال البيت الذي قلناه:

لمـــا رأيـــتُ الأمـــر أمـــراً مُنكَـــرا أَجَّجـــتُ نـــاري ودعـــوت قُنبـــرا

لكن الشيعة الأوائل الذين هم أصحاب علي لم يقدموا أبا بكر عمر، إنما الخلاف عندهم بينه وبين عثمان، وذكرت لكم حديث شُريك بن عبد الله -وهو رجل شيعي من أهل الحديث، مُضعَّف لكن يروي له أهل السنة لصدقه وأمانته-، أنه سُئل: "من تُقدِّم عليًا أم أبا بكر وعمر؟ فقال: أبو بكر وعمر، فقالوا له: أتقول هذا وأنت رجل شيعي؟ قال: ليس بشيعي من لم يقدِّم أبا بكر وعمر".

فإذًا كما ترون الآن وضحت الصورة، وُجدت على الساحة المذاهب، ابن سبأ أتى لهم بالوصية؛ أن رسول الله ﷺ أوصى، وكل نبي قبل أن يموت لا بد أن يوصي لأحد، وإن أولى الناس بهذه الوصية هو علي، فلا بد من ولايته، وأن عليًا لم يمت، حتى قال: لو أتيتم لنا بمخّه ما صدَّقنا، فقالوا برجعته وأنه سيعود، ولأن هذا الاعتقاد يخالف ما جاء به

الكتاب والسنة قالوا بـ"البَدَاء"؛ والبداء هو نسخ الأخبار، وأهل السنة مُجمعون على نسخ الأحكام -إلا ما شذَّ به بعض المعتزلة بقولهم بعدم نسخ الأحكام-؛ {مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا}، وكما في قول النبيﷺ: (نهيتُكم عن زيارةِ القبورِ، فزوروها)[63]، وقوله عن نهي إدَّخار لحوم الأضاحي: (إنما نهيتُكم من أجلِ الدَّافَّةِ التي دَفَّتْ، فكلوا وادِّخِروا وتصدَّقوا)[64]، وهكذا.

لكن اللعين ابن سبأ (ابن السوداء) أتى بأنه يجوز على الله أن ينسخ أخباره، الله رضي عن الصحابة، عن أهل الشجرة، عن أصحاب بيعة الرضوان، رضي عن المهاجرين والأنصار، قال لهم: لا، بدا لله -عز وجل- أن يُغيِّر خبره. وهذا فيه نسبة الجهل لله -عز وجل-، كيف الأخبار تُنسخ؟! لأن الأخبار إما أن تكون في مجال الصدق أو الكذب، بخلاف الأحكام: افعل أو لا تفعل -الأمر-، فيمكن للرب أن يقول لعبده: افعل ثم يقول لا تفعل، هذا يمكن، لكن أن يقول الله -عز وجل- قولًا في مجال الخبر الذي هو مجال الصدق والكذب، ثم يتبين بعد ذلك أن هذا الخبر على خلاف ما أخبر به الرب، هذا لا يمكن، وفيه نسبة الجهل لله -عز وجل-، هذا الأول.

الثاني: أن السبئية كانوا يَعِدون الناس بأمور، وأن الإمام قد أخبرهم، بعد ذلك لا تقع هذه الأمور، فيقول لهم: لماذا؟ يقولون: "بدا لله أن يغيّر أمره"؛ يُهزمون في معارك، يعِدونهم بحدوث فعل فلا يقع، فيقول لهم الناس لماذا لم يقع؟ يقولون: "بدا لله".

إذًا أول أمر الشيعة هذا أن أتى لهم بالوصية، أتى لهم بالإمامة، أتى لهم بالرجعة، أتى لهم بالولاية، أتى لهم بتأليه علي؛ أن عليًا وآل بيته فيهم صفة مقدَّسة، يختلفون عن بقية البشر، هذا هو شأن الشيعة الأوائل.

لكن ظهر كذلك شيعة يميلون لتفضيله على أبي بكر وعمر، ليسوا من السبئية، وظهر شيعة يقولون بتفضيله على عثمان هؤلاء سمُّوا شيعة. فالشيعة الكفرية السبئية التي هي الشيعة الآن المعاصرة -الذين يقال لهم "الروافض"- هم على معتقد الشيعة السبئية.

---

[63] صحيح مسلم: (**1977**).

[64] صحيح مسلم: (**1971**).

لكن السؤال الآن: كتب الشيعة الأوائل من كتب الإمامية، ومن كتب الزيدية، تنفي نسبة الشيعة إلى السبئية، وفي كتبهم تكفِّر السبئية، فكيف بعد ذلك حصل اللقاء بين الإمامية والسبئية؟ أن صار دين الإمامية هو عينه دين السبئية؟ حتى قال قائلهم أن ما كان غلوًا عند أئمتنا هو الآن من ضروريات مذهبنا هذه الأيام.

من هم الإمامية؟ من هم الرافضة؟ من هم الإسماعيلية؟

أفصِّل لكم من غير تطويل:

كتب الفرق، وخاصة كتاب (مختصر التحفة الاثني عشرية) لمحمود شكري الألوسي، و(التحفة) لشاه عبد العزيز غلام حكيم الدهلوي، فصّل كثيرًا في فرق الشيعة، حتى أن المبتدئ عندما يقرأ في هذا الكتاب، أو يقرأ في كتاب (فرق الشيعة) للنُوبختي، أو كتاب (فرق الشيعة) للقُمّي -وهو إمام النُوبختي-، وأحد المعاصرين جمع الكتابين في كتاب واحد، وهو مطبوع في كتاب واحد فقط، وإن كان كتاب النُوبختي طُبع قديمًا بصورة مستقلة.

وبعض طلبة العلم والمبتدئون يتيهون في معرفة الفرق. فالشيعة إمامهم الأول هو علي، أبناؤه الحسن، الحسين، ومحمد. عليكم أن تتصوروا الصورة التالية: أنه ما من إمام يموت منهم إلا وتنشق الفرقة التي تنتسب إليه إلى فِرَق، أقل الانشقاق يكون إلى فرقتين، هذا تستطيعون رؤيته في قراءة كتاب (فرق الشيعة) للنوبختي.

فعلي له أبناء؛ الحسن، والحسين، ومحمد.

هناك من يتولى محمد بن الحنفية، يقول هو الإمام، بل منهم من يجعلونه إلهًا، ومن هؤلاء المختار بن أبي عُبيد الثقفي، كان يدعو إلى إمامة وألوهية محمد بن الحنفية، طبعًا محمد بن الحنفية إمام سني وليس على مذهبهم، وضرب ابنه، وابنه أول من أتى بإرجاء الخوارج، وأخطأ من نسبه إلى إرجاء الإيمان، قلنا هذا سابقًا، ومِمَّن أخطأ ابن حجر -رحمه الله- في نسبته، وبعض الفرق تنسب أن أول من أتى بإرجاء الإيمان هو الحسن بن محمد بن الحنفية، وهذا خطأ، وأول وثيقة وصلتنا بإرجاء الخوارج، وهو الترضي عن أبي بكر وعمر، والتوقف في شأن علي وعثمان، هل هم في الجنة أم في النار؟ وهذه أُس بدعة التوقُّف والتبيُّن المعاصرة اليوم تقريبًا، وإن كانت ليست هي الأُسس العلمية لها، فالتوقف والتبين شأنه قديم.

فمحمد بن الحنفية له جماعة تسمى "**الكِيْسَانيَّة**"، تزعم أن محمدًا بن الحنفية إمام، بل إله، وأنه لم يمت بل ذهب إلى جبل رضوى، ويعيش هناك وعنده عسل وماء، ولا بد من خروجه مرة ثانية، وهو مَهْديُّهم الخاص بهم. وهذه العقيدة ذهبت ولم يبقَ منها شيء، انقرضت، ومنذ مدة طويلة، لا يوجد أحد يتنسب إلى هذه الفرقة. وممن يقول بها المختار بن أبي عبيد الثقفي. قد يقول قائل هل هناك سبئي صريح من الرجال، من الأئمة؟ نعم، جابر الجُعفي، هذا رجل عند أهل الحديث متروك، وهو مدلِّس يروي دائمًا عن أبي سعيد، فيظن الناس أنه يروي عن أبي سعيد الخدري، وهو يروي عن محمد بن السائب الكلبي الكذّاب، وهو كذلك عند أهل الحديث كذّاب سبئي. وابنه أكذب منه، ابنه اسمه هشام بن محمد بن سائب الكلبي، وهو المتخصص بجمع مَثَالب العرب، وهو كتاب نشره الشيعة المعاصرون اليوم (مثالب العرب)، إخباريٌّ كذاب مثل أبيه. هؤلاء سبئيون وكما ترون كذَّابون؛ لأنه لا يوجد مذهب على وجه الأرض يجيز الكذب لنفسه كما يُجيز مذهب الرفض، أو التشيع، أو الخطّابية.

يقول يزيد بن هارون: "ارو عن كل أحد إلا الرافضة فإنهم يكذبون لمذهبهم"، ارو عن كل أحد أي عن كل طائفة، وكذلك نفس اللفظ يقوله الشافعي –عليه رحمة الله–: "خُذوا حديث كل قوم إلا الخطّابية فإنهم أكذب الناس"، الإمام مالك كذلك يقول: "خذوا حديث كل قوم..". ولذلك روى الأئمة للخوارج؛ هشام بن حسان الخارجي حديثه في البخاري، عمران بن حطان حديثه في البخاري، وإن كان مُتابَعًا، لكن مجرّد ذِكره والبخاري كان يجوِّد أسانيده، بخلاف الإمام مسلم، فالإمام مسلم مثلًا لو ذكر بقية في سنده متابِعًا لا يعني أنه روى له؛ لأن مسلمًا –عليه رحمة الله– كان يلتزم حرفيّة السند الذي يتلقاه، وروى أسانيده كما وصلت إليه، بخلاف البخاري، مرات كثيرة يقول: "ورجل"، ويكون الحديث فيه بقية، وكذلك الإمام النسائي يقول: "ورجل"، "فلان ورجل"، لكن الإمام مسلم يؤدي الحديث كما هو.

فمجرد أن ذكر البخاري عمران بن حطان الخارجي في السند وإن كان متابِعًا فهذا يدل على رضاه عنه، والإمام مالك روى عن القدرية؛ عن ثور بن يزيد، وداود بن الحصين، قيل له: لماذا تروي عن القدرية، هؤلاء قدرية؟ قال لهم: "هؤلاء لا يكذبون، لئن يخِرّ أحدهم من السماء إلى الأرض أهون عليه من أن يكذب على رسول الله ﷺ".

كل الفرق، حتى الذي يقال لهم "النَّواصِب"، قيس بن حازم روى له البخاري حديثًا لنصرة مذهبه هو، وهذا يدل على أنه لو روى المبتدع الصادق حديثًا في اعتقاده فهذا لا بأس به، فروى: (إن آلَ أبي ليسوا بأوليائي، إنما وليِّيَ اللهُ

وصالحُ المؤمنين)[65]، وهذا من رواية قيس بن حازم التابعي الجليل المخَضرَم، وهذا مُتَّهم بالنَّصب، فانظر رووا للنواصب، رووا للقدرية، رووا للخوارج، ولم يرووا عن الشيعة قط، إلا من ثبت صدقه، مثل الرَّوَاجِني، كان إمام مسجد الشيعة ولكن ثبت صدقه، وروى له أهل الصحيح. كذلك أبان بن غالب، شيعي، روى له أهل السنن، لماذا؟ لأنه صادق، فهذا يدل على إنصاف أهل السنة، وتحرّيهم، وأنهم لا يكفّرون أهل الفرق ويأخذون من الرجل صدقه.

نرجع إلى موضوع الشيعة، الكيسانية هذه بادت، ومن هو إمامها؟ علي، ومحمد بن الحنفية، وقالوا: محمد بن الحنفية ما مات بل ذهب لجبل رضوى وعاش هناك، والله يُنزِّل عليه عسلًا وماءً، وهو حي وسيخرج في آخر الزمان المهدي.

الحسن بن علي، سبَّه أتباعه، وقالوا: يا مُخذِّل المؤمنين، سماه الشيعة المخذل، -للخبر الذي ذكرناه في الدرس السابق أنه التقى مع معاوية واتفقا-، فمات الحسن، فبعضهم جعل الولاية فيه، كون أن الولاية لا تجوز أن تذهب إلا إلى الابن، وبعضهم أوقفها على الحسن، وجعل مذهبًا أن الحسن هو الإمام. الإمامية وبقية الشيعة قالوا: لا، الحسن الإمامة ليست فيه، وليست في نسله، إنما هو المُستَقَرّ والمُستَودع، فاستقرت الإمامة، {فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ} هكذا يؤوِّلون القرآن، الحسن قد استقرت فيه، ولكن من أجل أن يعطيها ويودعها في الحسين، فقالوا الإمامة في الحسين.

علي، الحسن، الحسين، محمد بن الحنفية، انشقت فرقة بادت وانتهت هي الكيسانية، فتلتقي الإمامة بمحمد بن الحنفية، وقلنا أن من دعاتها المختار بن أبي عبيد الثقفي، وهو بعد ذلك ادعى النبوة وخرج معه الشيعة بعد حادثة التوَّابين.

الآن الحسن الإمامة فيه انتقلت إلى الحسين، الحسين بن علي-رضي الله تعالى عنه- الذي خرج المخرج من أجل يقضي على مُلك بني أمية، ويعيد العدل، ويقضي على الظلم، فخرج وقُتل في الموقعة الشهيرة في كربلاء.

الإمامة إذًا انتقلت: علي، الحسن، الحسين، والحسين قُتل-رضي الله تعالى عنه- شهيدًا، وبعد ذلك انتقلت إلى ابنه علي السَّجاد. وعلي السجاد لم يكن له دور، كان مثل عمه -أي الحسن- وليس مثل أبيه؛ كان يُدرك فساد القوم الذين يتولّونه، حتى لما خرج الحسين، أراد أن يخرج من الحجاز إلى العراق، لما أُرسلت له العرائض: "تعال من أجل أن نقوم معك"؛ تعلّق به ابن عمر وابن عباس وابن الزبير، حتى قال ابن عمر: "لو كان لي طاقة عليك لقيدتك ألا

[65] صحيح البخاري: (5990).

تخرج"، ابن الزبير كان ذكيًا قال له: "لا تخرج هؤلاء ضيعوا والدك، وطعنوا الحسن"، يقال أنه مات بمرض البطن بسُم. فأبى إلا أن يخرج، فقُتل شهيدًا في كربلاء.

والعقائد تلتقي؛ السبئية تنتقل بالشيعة، ولنظرية الإمام المستور -المخفي- التي يقول بها الشيعة، ولنظرية أن القرآن لا يفسره إلا الإمام المعصوم، فإذًا القرآن لا بد أن يكون له باطن، مثل هذه الاعتقادات بدأت تنتشر في داخل المتشيعة الذين يُجمعون تحت محبة آل البيت، وأن آل البيت ظُلموا -وبلا شك أن آل البيت ظُلموا-، وأنهم لم يُقدَّروا التقدير الصحيح، لا في زمن الأمويين، وإن كان في بداية الأمر أحسن معاوية إلى الحسن، ولكن بعد ذلك تخفَّوا، وفي زمن العباسيين دُعي إلى الرضا من آل البيت، فالناس ظنوا أن الدعوة تكون للعلويين، فأخذها العباسيون، وهكذا.

ولكن بعد علي السَّجاد، أو يسمى علي زين العابدين، وكان معتزلًا الفتن، وكان يسب أتباعه، كان يقول لهم: "أنتم عار وشنار علينا"؛ لأنهم كل يوم يخرجون باعتقاد جديد ونسبة جديدة، وتركهم ولم يكن يجالسهم، وكان يتفرغ للعبادة حتى سمي بالسَّجاد زين العابدين.

كان له ولد اسمه محمد، وكان له ولد اسمه زيد، زيد بن علي خرج، -زيد بن علي السجاد بن الحسين بن علي بن أبي طالب-، خرج فانشقت فرقة جديدة اسمها "**الزَّيدية**".

إذًا كانت الكيسانية، ثم نزل خط الشيعة، افترقوا الآن إلى فرقتين: فرقة تسمى بالزيدية، وفرقة تسمى **بالإماميَّة**.

الزيدية هم أتباع زيد بن علي، لهم اعتقادات خاصة، وافترقوا بعد ذلك ثلاثة فرق. زيد بن علي كان يترضَّى على أبي بكر وعمر، لماذا انشقوا؟ لأن زيد بن علي الأكبر، فجاء إليه الشيعة الذين ينسبون إلى علي، قالوا له: ماذا تقول في أبي بكر وعمر؟ قال: "رضي الله عنهما، ولعن الله شاتمهما"، قالوا: رفضناك، فقال: "رفضتموني"؟، قالوا: رفضناك، فانشقوا حينئذ: **زيدية، ورافضة، والرافضة يقال لها الإمامية**.

الزيدية يقولون بفضل أبي بكر وعمر، ولكن فيهم اعتقاد بتقديم علي. هل علي له وصية وأنكرها الناس؟ الزيدية يقولون: لا، لكن نحن نتكلم على أساس الزيدية، فكما أن جماعات من أهل السنة تأثرت بالتشيُّع، فكذلك الزيدية تأثرت كثيرًا بالرافضة؛ الآن الزيدية الذين في اليمن يقولون بالوصية، لكن الزيدية الأوائل في كتب الفرق ليسوا كذلك،

لا يقولون بالوصية، لكن يقولون عليًا هو الأفضل، وكان ينبغي أن تكون الإمامة في علي ولكن لم تُولَّ، وإمامة الصديق والفاروق إمامة صحيحة، لقولهم بجواز إمامة المفضول مع وجود الأفضل.

الآن ما هو اعتقادهم في مسائل الأسماء والصفات؟ ما هو موضوعهم في القدر؟ ليس هذا هو المهم بحثه؛ لأننا سنتكلم عن القدرية وفرقهم، والزيدية منذ القديم كانوا قدرية، تأثروا بالقدرية، ثم بعد ذلك تأثروا بالجهمية، أي بنفي أسماء الله وصفاته، وقولهم بالتأويل وما شابه ذلك، ولكن هذا لا يهمنا بالنسبة لأساس اعتقاد التشيع، يعني ليست القدرية اختصاصًا عند الشيعة، بل هناك من لم يرضَ قول الشيعة ويقول بالقدر، فعلينا أن نميز في هذا الموضوع.

فما يهمنا في موضوع الإمامة التي افترق حولها الناس هو تكفير المخالف ممن لم يقل بالإمامة؛ فالزيدية هذا اعتقادهم.

الزيدية بعد ذلك، مع أن زيدا بن علي قال بإمامة أبي يكر وعمر وبالترضي عنهما، لكنها افترقت إلى ثلاث فرق لوجود قواد. وزيد بن علي خرج ثائرًا وقُتل، والزيدية يقولون بوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الإمام، وأنه لا يجوز للإمام أن يسمى إمامًا إلا إذا جاهد وخرج على الظلمة، هذا اعتقادهم. شرط الرجل أن يكون إمامًا عندهم ماذا؟ أن يجاهد، أن يخرج على الظالم وأن يقاتل، هذا موجود عند الزيدية.

لكن هل الزيدية دخل فيهم رفض؟ نعم، والدليل أن الزيدية افترقت لثلاث أقسام: **الجاروديَّة، والبُتريَّة، والسُّليمانيَّة**.

الجارودية: عادوا يقولون بتكفير أبي بكر وعمر، وهم من الزيدية، ويجعلون الإمامة في زيد.

والبُترِيَّة: لا يكفِّرون أبا بكر وعمر، ولكن يكفِّرون عثمان، وأفضلهم السليمانية، ولكن بعد ذلك تم الاندماج، والآن أغلبهم ينتمي إلى البترية. هذا شأن الزيدية فرغنا منه.

نرجع إلى الذين قال لهم زيد بن علي **الرافضة**.

تسميتهم بالرافضة:

أغلب المؤرخين يقولون أنهم سُموا بالرافضة لرفضهم إمامة الشيخين الصديق والفاروق، وكثير من أهل التحقيق يرون أن السبب هو ما قلته لكم؛ بسبب رفضهم لزيد بن علي، يقولون لأن الرفض لم يكن له ذكر قديمًا، هذه حجتهم، ورفض الشيخين قديم، فلو سموا بالرفض لسموا بالاعتقاد الأول، لكنه مُحدَث.

والرافضة يسمَّون بالإمامة أو الإمامية، وهؤلاء يتولّون محمد الباقر، ورفضوا إمامة زيد بن علي، وهو الابن الأكبر، والشيعة الروافض الإمامية في كتبهم يقولون أن الإمامة يجب أن تكون في الابن الأكبر، وهذه أخذوها من التوراة، التوراة نصّت على أن النبوة تكون في البكورية، ولذلك في التوراة تجدون صراعًا عظيمًا بين الأنبياء من يكون البكر، طبعًا هذه التوراة المكذوبة، وهذه موجودة عندهم، ونصوصهم تُقِرّ على أن الإمامة تكون للأكبر. لكن هذه البكورية دُمرت، أو فسدت في مواطن: هذا الموطن –وهو موطن الحسن والحسين–، والموطن الثاني هنا لما آلت الإمامة إلى محمد ولم تؤل إلى زيد، وفي موطن ثالث سيأتي.

إذًا محمد الباقر تولاه الشيعة، طبعًا الشيعة كلهم يسمون أئمتهم بهذه الأسماء تميزًا، ولذلك يُنهى عن ذلك، نحن نقول فقط للتعريف، أما محمد الباقر لم يكن بالصفة، ولا حتى زين العابدين لا تُعرف له رواية في الحديث، زين العابدين علي بن الحسين، لم يكن لهم انشغالهم بالعلم كانشغال أهل الحديث، لكن هكذا الشيعة يُعظِّمون هذا الباقر، وهذا الجواد، وهكذا؛ لأن هذه سِمة العجم في التعظيم، يطلقون الألقاب بطريقة غريبة جدًا، والغريب أزن أئمة الشيعة أغلبهم من الموالي؛ أمهاتهم من الموالي، يعني من سبي فارس.

وكانت هناك فرقة تولت جعفر الصادق تسى **الجعفرية**، فلما مات كان له ابنان، الأول يسمى موسى وهو الصغير، والثاني يسمى إسماعيل وهو الكبير، وهما اللذان حدث حولهما الافتراق، لكن الأخبار تقول أن إسماعيل إما أنه مات صغيرًا، هذا خبر، وخبر آخر يقول أنه كان صاحب لهو وقَصْف –يعني لهو–، ما كان له اشتغال بالدين، فاستعرُّوا أن ينسبوا الإمامة إليه.

فاختلف الشيعة لمن تكون الإمامة؟ فبعضهم تولّى موسى، وبعضهم تولى إسماعيل. أما القول الصحيح أن إسماعيل كان كبيرًا وكان صاحب لهو ولم يكن له اهتمام بالدين، والدليل أن الذي أحيا فكرة إمامة إسماعيل ودعا إليها بل دعا أنه يوحى إليه هو ابنه محمد بن إسماعيل بن محمد الباقر، وهذا يعتبرونه نبيًا، وهو دعا إلى إمامته.

هنا الرافضة الإمامية انقسموا إلى قسمين، قسم منها يسمى **بالإسماعيليَّة**.

يقال الجعفرية ويقال إمامية، ويقال رافضة، لهذه النسبة. لكن الإمامية والرافضة كذلك تنسب للإسماعيلية، لكن افترقوا إلى قسمين:

- الذين تولوا لجعفر قالوا الأئمة اثنا عشر رجلًا، فسُمُّوا **بالاثني عشرية**، أو الجعفرية، إمامية رافضة.
- والذين تولوا إسماعيل قالوا: الأئمة سبعة، لذا يُقال لهم **السَّبعية**، ويقال لهم **الباطنية**، ويقال لهم **القَرَامِطَة**، ويقال لهم **العُبيديِّين**.

لنترك الآن الجعفرية، ونأتي **للإسماعيلية:**

الإسماعيلية بقيت على دين واحد، ويقال لها السبعية لماذا؟ لأن عندهم أئمة سبعة، ويقال باطنية؛ لأنهم يرون أن القرآن له ظاهر وباطن، والظاهر يخالف الباطن في كل شيء، فيقال له الباطني. وهؤلاء الإسماعيلية كان لهم شأن في دول الإسلام؛ حكموا الكثير من دول الإسلام. وقد انشقوا في زمن المستنصر لما بنوا دولة العبيدين في مصر. حكموا في اليمن بدولة تسمى الصُلَيْحيَّة، وميمون القَدَّاح أرسل داعيه إلى المغرب وأنشأ دولة هناك، لم تستمر بفعل مقاومة أئمة المالكية لها، رحلوا واستقر أمرهم في مصر، وأنشؤوا دولة العبيدية والتي تسمى كذبًا وزورًا بالفاطمية. ومن اليمن خرج داعيهم حتى حكم الحجاز كلها، مكة والمدينة دخلت تحت سيطرتهم.

وكنت في الحقيقة أبين هذه المسألة الفقهية، كنت أتعجب كيف لمكة والمدينة أن تسمى دار كفر لحكم الكفر بها، مسألة كبيرة جدًا، لكني وجدت بعض الأئمة يطلق على مكة والمدينة تحت حكم العبيدين أنها دار كفر، –أنا أنقل هنا، حتى لا يقال أني أقول أن مكة والمدينة دار كفر–.

فتصور! حكموا اليمن، حكموا الحجاز، حكموا المغرب، جاؤوا إلى مصر وحكموها، كانوا في الشمال من بلاد الشام، وسيطرت الباطنية على عشرات القلاع في بلاد الشام.

ثم بعد ذلك جاء الحسن بن الصَّبَاح، وهو الذي أنشأ المذهب **النِّزاري**؛ لأن الإسماعيلية قُسمت إلى قسمين بعد المستنصر، كان له ولدان الولد الأكبر نزار، والولد الثاني اسمه المستعلي.

فجاء ابن الصباح متخفيًا، وهو رجل شيطان، ماكر، ذكي، سياسي، بارع، عجيب، يعني ليته كان مسلمًا، وليته كان موحدًا! صنع الأعاجيب؛ أنشأ فرق الموت، وسميت جماعته **بالحشاشين**، وكانوا قد حكموا قلعة آلموت –عش العقاب–، وهو قابل نظام الملك وقتله بعد ذلك؛ لأن دولة السلاجقة في الحقيقة مما يُذكر لها أنها في ذاك الوقت هي من وقفت أمام المد الباطني، وإلا كل دول الإسلام حُكمت بالإسماعيلية، حُكمت بالباطنية، شمال بلاد الشام كلها

إلى الآن، السلامية، أو يقال ما بين الجزيرتين، أو الجزيرة ما بين نهرين، بين دجلة والفرات، إذا سمعتم في كتب القدماء "الجزيرة" لا يقصدون جزيرة العرب، أنما يقصدون الأرض الواقعة بين دجلة والفرات.

فجاء الحسن بن الصباح في القرن الخامس الهجري، 435 تقريبًا، فدخل مصر متخفيًا، ودخل على المستنصر فقال له: من يكون الإمام بعدك؟ فقال: ابني نزار، وكان له وزير خبيث كان يقال له الأفضل –وهو ابن بدر الدين الجمالي–، في يوم من الأيام الابن نزار وجد بدرًا يدخل من طريق خفي من القصر، الله أعلم ماذا يصنع، فقال له: انزل يا رومي يا نجس، فغضب عليه، فلما مات المستنصر جمع القواد والجند والوزراء وقال لهم: إن يتول نزار ستكون مصيبة عليكم، فلا بد أن نولي ابنه المستعلي، وبالفعل ولَّوا المستعلي، فانقسمت حينئذ الإسماعيلية إلى قسمين، **النِّزارية، والمستعليَّة**.

وهما إلى الآن على انقسام، المستعلية هي طائفة **البُهرَة،** الموجودة في اليمن، موجودة في مصر، طبعًا ليسوا مصريين، لكن موجودون، اشتروا كثيرا من البيوت بجانب المسجد الأزهر، ومسجد الحسين، وأغلبهم من الهنود. والطائفة الأخرى النزارية، وهي الطائفة **الآغاخانية**. هي النزارية، والبهارية هي المستعلية.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

9

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله، والصلاة والسلام على سيدنا وحبيبنا، وقائدنا محمد بن عبد الله، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى صحبه الغر الميامين، الذين نصروا هذا الدين ورفعوا منارته، وأعلوا صُوَاه، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، جعلنا الله وإياكم منهم، آمين.

تتمة الكلام عن الشيعة:

إذًا ذكرنا أن الشيعة شعار وُضع على من تولَّى عليًا، بنوع تفضيل على غيره من الصحابة، إما على عثمان –وهم الذين يقال لهم شيعة علي أولًا–، وكانوا لا يفضلونه – على أبي بكر وعمر، ولكن نشأ التفضيل في بداية الأمر، وذكرنا الحالة التي صار عليها الناس في الكوفة؛ إذ التشيع مبدؤه في الكوفة، والكوفة أرض الفتن، وهكذا كانت على الدوام، في زمن الفاروق كانت أرض فتن وبلاء ضد ولاتها، فجاء أهل الكوفة يشكون سعد بن أبي وقاص أنه لا يحسن الصلاة، قال له عمر: "كيف تصلي يا أبا إسحاق؟"، قال: أُصلّي كما كنتُ أُصلّي مع رسول الله ﷺ أُطيل في الأوليين وأقصر في الآخريين، فقال: هذا العهد بك".

وذهب رسول لعمر –رضي الله تعالى عنه– إلى أهل الكوفة يسألهم عمّا نُسب لسعد، فقام في المساجد سائلًا عن سعد وعن صلاته، وعن دينه، وعن حكمه وعدله، فكلهم أجابوا بالذكر الحسن، والحمد الطيب، إلا رجلًا قام وقال: أما وقد سألتنا فإنه لا يحكم بين الناس بالسوية، ولا يعدل في الرعية، فقال سعد: "اللهم إن كان هذا الرجل قد قام رياءً وسمعة وليس لوجهك، اللهم أطل عمره وعرّضه للفتن"، والحديث في البخاري، فطال عمر الرجل حتى تدلّى جفناه على وجنتيه، وكان يجلس في مقاعد الطريق يغمز الجواري، ويقول: أصابتني دعوة سعد.

وسعد بن أبي وقاص كان مُجاب الدعوة كما تعلمون، يومًا حضر مجلسًا سُبَّ فيه عثمان، فدعا على الساب أن يقتله الله بدابته للحظته، يعني يموت الآن، فخرج جمل من السوق كأنه يرغي ويسارع الخطى إلى الرجل، حتى وقف على الرجل في وسط الحلقة فضربه فقتله، هذا سعد، الذي قال له رسول الله ﷺ: (ارم سعد فَداكَ أبي وأمي)[66]، وهو أول

---

[66] صحيح البخاري: (2905)، صحيح مسلم: (2411).

رجل رمى بسهم في سبيل الله، وهو من أخوال رسول الله ﷺ؛ لأن النبي ﷺ اجتمعت له خؤولة بني النجار من جهتين، من جهة أمه زوجة أبيه آمنة، ومن جهة عبد المطلب جده، وجده اسمه شيبة الحمد، خرج أبوه فتزوج من المدينة ومات هناك، فذهب عمه المطلب –والمطلب هو الذي ينتهي نسب الشافعي إليه–، فذهب إليه في المدينة، وأحضره على دابته، فدخل به مكة فتىً صغيرًا، فصارت قريش تقول: عبد المطلب، يظنون أنه اشتراه، يقولون: عبد المطلب، حتى أطلقت عليه.

الشاهد؛ أهل الكوفة شكوا مرة المغيرة، قالوا: المغيرة رشانا، أعطانا رشوة ثلاثة آلاف دينار؛ لأمر ما، لنشهد بالزور أو لنقول مقالة، وكان واليًا لعمر فجيء به إلى عمر، فالمغيرة لما ناداه قال: "هؤلاء أهل الكوفة يدعون أنك دفعت لهم الرِّشا، قال: كم دفعت لهم؟ قال: أحضروا هذا المبلغ، ثلاثة آلاف دينار، قال: لا، كاذبون، سرقوا ألفين، أنا دفعت لهم خمسة، فليحضروا الألفين"، فانكشفت الكذبة، ولذلك دعا عليهم كثير من الأئمة.

وكان مسجد الشيعة في الكوفة، وقد ذكرت لكم الرّواحي أحد رواة الحديث، وقد روى له البخاري، وكان إمام مسجد الشيعة.

الإسماعيلية الباطنية

ذكرنا الكيسانية وانتهينا من أمرها، ثم نزلنا حتى وصلنا إلى الجعفرية، ثم جعفر وُلد له على الصواب ولدان، إسماعيل الأكبر وموسى، وإسماعيل كان غير متدين فاستنكفوا أن يولُّوه الإمامة، على الصحيح، وبعضهم قال: مات صغيرًا. لما جاء بعده ابنه محمد بن إسماعيل بن جعفر ادَّعى أنه يجب ألا تكون الولاية إلا في الكبير، فدعا إلى الإمامة، وكان باطنيًا، فدعا إلى المذهب، ونشأت الإسماعيلية؛ فيكون المذهب الإسماعيلي هو افتراق عن المذهب الجعفري. فهذا المذهب هو نسبة إلى إسماعيل بن جعفر بن محمد الباقر بن زين العابدين السَّجَّاد بن الحسين بن علي، وهو يتولون الحسين أيضًا.

فالأئمة عندهم سبعة، فاسمهم السَّبْعية. وسُمُّوا بالباطنية؛ لأنهم يقولون أن الإمام المعصوم لا يعرفه إلا القلة، وهذا الإمام هو الوحيد الذي له الحق في أن يفسر القرآن، إذ القرآن له ظاهر وباطن، وباطنه على خلاف ظاهره، ومن هذه الزندقة الغريبة ظهرت كل جرائم التشيع والباطنية.

ويقال لهم القرامطة؛ طبعًا بما أن هناك إماما سريا، واقتنعت جماعات من الناس بذلك، فلا بأس أن يأتي في أي لحظة إمام يدّعي أن له صلة بالإمام السري، فنشأ رجل اسمه حمدان قُرمُط في البحرين ونشأ هناك -والبحرين في كتب القدامى هي الآن عومان؛ لأنها الجامعة بين الخليج العربي وبين بحر العرب-.

وأذكر لكم أمورًا من مزالق المغفلين:

أولها الزهد، والزهد سمة حسنة، لما تجد رجلًا يلبس الثياب المرقّعة، ويجلس في المسجد، ولا يملك شيئًا، وليس له مشط يسرّح لحيته، وليس له بيت، وزاهد في الدنيا، تميل القلوب إليه، ولذلك قال النبي ﷺ: (وازهد في الدنيا يحبك الناس)[67]، فكل زنديق حدثت منه زندقة في تاريخنا كان يبدأ رحلة الزندقة عن طريق الزهد، مثل حمدان قُرمط ذهب إلى مسجد، وأمر محبّيه أن يحضروا له طعامًا في مكان من الأمكنة، كان يدّعي أنه يخرج إليه ليقضي الحاجة، فيدخل المسجد فلا ينتبه الناس له، لكن يومان، ثلاث، يحضر له أتباعه الطعام ثم يرجع إلى الناس ولا يرونه يأكل، حتى تقرّب إليه بعضهم؛ "كيفك يا شيخنا، ويا سيدنا، إيش الأخبار، إيش الأحوال؟"، ويبدأ معه قليلًا قليلًا، فاقتنع به الجماعة، وتكوّن حزبه الكبير، الذي سُمّي بعد ذلك **بالقَرَامِطَة**، وحكم على البحرين.

وهذا الخبيث صنع الأعاجيب؛ قطع طرق الحجيج وقتل الآلاف منهم، ودخل يومًا من الأيام على مكة في يوم مِنى وقتل كل الحجيج، واقتلعوا الحجر الأسود ورحلوا به إلى البحرين، وكانوا يدّعون أن هؤلاء مشركين؛ لأنهم يعبدون الحجر الأسود، ويعبدون الكعبة، لأن الباطنية التقت مع الجهمية الغالية. القصد سموا بالقرامطة لهذا الغرض.

وسموا **بالعُبَيديِّين**؛ لأن هناك رجلًا زاهدًا كذلك يسمى ميمون القدَّاح، دعا لهذه النِّحلة وكون جيشًا جيدًا، وأرسل رسوله إلى المغرب، وأنشأ دولة تبنَّاها ابنه، وكان اسمه عُبيد الله، لذلك سموا بالعبيديين. لما استقر أمرهم في مصر، سموا دولتهم بالدولة الفاطمية، وادَّعوا النسبة إلى فاطمة الزهراء ابنة النبي ﷺ، فسُمَّوا **بالفاطميين**.

فهذه أسماؤهم: أولًا يقال لهم السبعية، يقال لهم الإسماعيلية، وهم يلتقون مع الجعفرية، ومع الإمامية، ويقال لهم القرامطة، ويقال لهم العبيدية، ويقال لهم الباطنية.

---

[67] صححهُ الألباني في تخريج مشكاة المصابيح: (**5115**).

قلت سابقًا أنهم غلبوا على دول الإسلام، يعني كادت دول الإسلام كلها أن تخضع لسيطرتهم، حكموا على اليمن، وعلى دول الحجاز، حكموا على مصر والمغرب، حكموا على بلاد المشرق، القلاع في المشرق حكموها. طبعا كلمة **الحشَّاشين** لم تُذكر في كتب أهل الإسلام قط، والحشَّاشون هم الإسماعيلية، ليسوا القرامطة، فالقرامطة جزء من العُبيدية، لكن الحشاشين جزء من الإسماعيلية، جزء من الباطنية، وهم أتباع الحسن بن الصَّبَّاح.

هذا اللفظ مذكور فقط في رحلة مارك بوللو في البندقية، خرج سائحًا ودخل فيما يزعم (قلعة آلموت)، -يقرأها الناس خطأ الموت-، وهي قلعة عش العقاب؛ لأنها لما بُنيت رأوا عقابًا يأوي إلى سفح الجبل، إلى المنطقة، فلحق به الأمير، فوجد المكان جيدًا وبنى هناك قلعة، وسميت عش العقاب، باللغة الفارسية قلعة آلموت، فدخلها مارك بوللو وسماهم بالحشاشين.

طبعًا أول من نشر الحشيش في بلاد المسلمين، أو ما يسمى (بالقنّب الهندي)، أو (الماريجوانا)، أو ما شابه، هم الصوفية؛ لأن الحشيش يسميه الصوفية بإكسير الحكمة؛ لأن الأعراض التي تحدث لشارب الحشيشة هي نفسها أعراض الواصل الصوفي، الذي هو الولي، الولي لما -كما يقولون- "وصل"، أو يقولون: "مجذوب"؛ يبدأ في الهذيان، وتخرج منه بعد الصحيان عبارات أنه كان في السحاب، وجلس مع الأنبياء، وتكلم مع الملائكة، وممكن جلس مع الرب -عز وجل- كما قال أبو اليزيد البسطامي، قال: "خُضتُ بحار الملكوت حتى وصلت إلى الجبروت وصلت إلى العرش، فنظرت فلم أجده"، يبحث عن الله -عز وجل-، نظر للعرش ما وجده! "قلت له: أين أجدك؟"، فصرخ بي: "أنت أنت"، أي لماذا تبحث؟ هو أنت الله، هل هناك غيرك!! قال: "فاستلقيت عليه"، أي استلقى على العرش!

فمثل هذه الأعراض تنشأ عند الصوفية، والحشيش بسرعة يوصلهم لهذا، بدلًا من أن يذهب يجاهد نفسه عشر سنوات، بعض الصوفية عندهم أجسام قوية، فتطول مدة مجاهدتهم فلا يصلون إلى المراد إلا بعد مدة طويلة، فالحشيشة ساحر، لذلك أكثر الناس صوفية هي أكثر الناس شربًا للحشيش، مثل مصر، مثل تركيا، باكستان، المغرب، وإلى الآن الصوفية يشربون الحشيش، اسألوا إخواننا من المسلمين الطيبين الصادقين في مصر، إلى الآن مشايخ الصوفية في مصر يشربون الحشيش، تساعدهم في حصول الجذبة.

كما يذكر مارك بوللو، ولم يذكر أحد من أهل الإسلام هذا الخبر، أن الحسن بن الصباح كان له بستان عظيم، بستان جميل فيه النساء الغواني، وفيه الخمور، وفيه الأطعمة، فيأتي بالشخص، ويقول له: أين تريد أن تكون؟ يقول له: في

الجنة، فيُدخله في الجنة ويُسكره، أي يشرب الخمر، ويعطيه الحشيش، فيعيش في هذه الجنة، ويقيم فيها أيامًا، وقبل أن يصحو يُخرجه إلى الخارج، فيقول له: أين كنت؟ فيقول له كنت في الجنة، فيقول له: لا تعود إليها حتى تطيعني.

ويقال لهؤلاء الحشَّاشين **الفِداوية**؛ لأن لهم عشر طبقات كما ذكر هذا الغزالي في كتابه (فضائح الباطنية)، ومن أحد طبقاتهم التي اشتهرت وهي الفداوية، وهؤلاء يتعلمون ضرب السكاكين بطريقة ذكية، وكانوا موكّلين بالقضاء على خصوم الحسن بن الصباح، حتى إنه قتل المستعلي، نحن قلنا أن بداية الافتراق في المذهب الشيعي الإسماعيلي عند موت المستنصر، وكان له ابنان، نزار والمستعلي، وكانت الولاية في الحقيقة لنزار، لكن بدر الدين الوزير خاف منه فولَّاها للمستعلي، ونزار هرب بعد ذلك وكوَّن مملكة في الإسكندرية، فخرج الأفضل مع الأمير المستعلي وقاتله، في المعركة الأولى هُزم، ثم خرج في المعركة الثانية فقَبَضَ عليه وقتله، قتل نزار، فالحسن بن الصباح أرسل جماعة وقتلوا المستعلي.

أُنشِئت لهم الدولة الصُّلَيْحِيَّة في اليمن، حكمتها امرأة بحجة أن نزار لم يمت، بل هو رحل عندهم، وأخرجت المرأة رسالة من نزار أن الإمام الذي يقوم بتبليغهم الذي يريده الإمام نزار هي هذه المرأة، فحكمت كثيرًا وسُميت هذه الدولة الصليحية.

قلنا أن العبيدية حكموا المغرب، ولكن لم يستقر لهم المقام في المغرب بسبب علماء المالكية، واقرؤوا خبرهم في (ترتيب المدارك) للقاضي عياض، الذي أخذ منه كل واحد بعده، أخذ منه الذهبي في (سير أعلام النبلاء)، وأخذ منه السيوطي في (تاريخ الخلفاء) ما هي أعمال هذه الأمة العظيمة من المجاهدين المالكية في مقاتلة وردع هؤلاء العبيديين الكفرة، ولعلكم قرأتم الرسالة التي كتبتُها وهي بعنوان (فتوى عظيمة الشأن في حكم الخطباء الذين دخلوا في نصرة وتأييد من بدل شريعة الرحمن)، وبعض الجهلة ظن أني أنسب لنفسي فتوى عظيمة الشأن، بعض الجهلة قالوا: أن الشيخ يمدح نفسه بفتوى عظيمة الشأن، ماذا نفعل؟! الناس هؤلاء لا يقرؤون، وإذا قرؤوا لا يفهمون، وإذا فهموا من خصومنا يكذبون.

فأنا لم أُسمِّ فتواي أنا "عظيمة الشأن"، هذه فتوى أئمة مالكية جهابذة، أجمعوا على كفر هذه الدولة، وعلى وجوب مقاتلتها، بل شاركوا الخوارج الإباضية، شاركوا أبا اليزيد الإباضي في مقاتلة هذه الدولة، وخرج بعضهم وهو يحمل المصحف في عنقه، قال: "قاتلوا من بدَّل دين الله، قاتلوا هؤلاء الكفرة المبدِّلين"، ولم يستقر لهم المقام.

وفي الحقيقة الأئمة المالكية في المغرب لهم شأن عظيم في خدمة دين الله -عز وجل-، الآن لما تسمعون أن فلانًا مالكي، صارت كأنها سُبَّة، فلان شافعي، فلان حنبلي، فلان حنفي، هذه كانت سمات تنتشر في العالم الإسلامي والناس لا يستنكرونها حتى كبار الأئمة؛ ابن تيمية ما زال منتسبًا للمذهب الحنبلي، ولم يقل يوما أنا لست حنبليًا، للأسف صارت سبة عند الناس، وهذا جهل؛ لأنهم الآن لا يستنكفون أن يقولوا: "أنا سعودي"، هذه نسب لم تكن باطلة، البطلان حين تكون، في مقابل الكتاب والسنة.

والعلماء لم يفهموا أن التعلم والاجتهاد في مذهب من المذاهب يعارض الانتساب للقرآن والسنة، كبار أهل العلم لم يستنكفوا النسبة، الإمام ابن عبد البر هذا إمام مالكي، وألف كتابًا سماه (الكافي في مذهب المالكية)، الإمام ابن تيمية دائمًا يقول: "قال أصحابنا"، ارجعوا إلى كتاب (المسوَّدة في أصول الفقه)، من أصحابه؟ الحنابلة، والآن جيد أن تنتشر كتب الحنابلة، هكذا يفرحون، هؤلاء سلفيون آخر الزمن ينشرون كتب الحنابلة، وكأن كتب باقي الأئمة عار وشنار، وهذا كذب.

الأئمة الذين انتسبوا لهذه المذاهب أئمة عظام، خدموا دين الله -عز وجل- خدمة من أجلّ الخدمات، نعم نحن نعيب التَّعصب، نعيب أن يتقلَّد المرء المذهب دون الالتزام بالكتاب والسنة، لكن الأئمة الكبار الذين انتسبوا إلى تلك المذاهب لم يكونوا كذلك.

القصد أن أئمة المالكية في المغرب الإسلامي خدموا دين الله -عز وجل- خدمة جليلة؛ وقفوا أمام تيار الاعتزال الذي كان يقوده في ذلك الوقت القضاة المعتزلة الحنفية، ووقف الإمام سحنون -عليه رحمة الله- وغيره وقفة عظيمة، اقرؤوا أخبارهم في (ترتيب المدارك)، ووقفوا أمام المذهب الباطني موقفًا، خرجوا وجاهدوا بالسيوف وقاتلوا، فطردوا هؤلاء من المغرب.

فلم يستقر المقام بالعبيدين، عُبيد الله بن القداح أرسل زعيم جنده في ذلك الوقت، وهو جوهر الصِّقلي أو جوهر الرومي، كان قائدًا عسكريا له وأرسله إلى مصر، وللأسف أهل مصر في ذلك الوقت غلب عليهم التصوُّف البارد، حتى جاءهم تحت ستار المهدوية، فخرجوا بالبنود والرايات واستقبلوه، لم يضرب أهل مصر في ذلك الوقت سيفًا ولا رمحًا، ولا سهمًا في وجه جيش جوهر الصقلي، أبدًا.

وما الذي دمرهم؟ هو دين التصوف، بل لما قام صلاح الدين -وهو الذي قضى على هذه الدولة الخبيثة-، لما جاء الصليبيون ذهب (شَاوَر) لنور الدين زنكي وطلب منه أن يرسل له جماعة من المسلمين ينصرونه على الصليبيين، وعلى بعض أعدائه من أهل البلد؛ فأرسل أسد الدين شيركوه -ومعنى شيركوه أسد الجبال- وهو عم صلاح الدين، وأرسل معه صلاح الدين؛ من أجل أن ينصره عليهم.

الشاهد؛ صلاح الدين أخذ عمه منه اليمين ألا يقتل شَاوَر، لكن في يوم من الأيام جمعهم على طعام، وأخرج جنوده فذبحوهم، ولما جاء عمه قال: حضّرت لك مائدة جيدة، فأدخله على المائدة، فإذا كلهم قتلى، شاور ومن معه، واستلم الحكم، وكان رجلًا صالحًا، وطبعًا توفي أسد الدين شيركوه بعد ذلك، واستلم صلاح الدين إمارة مصر، وكان رجلًا ديِّنًا سنيًا، على مذهب الإمام الشافعي، وقام بالقضاء على المراكز العبيدية الفاطمية، وكانت الدولة الصليحية في نهايتها ضعيفة، فأرسل إليها جندًا، فأزالوها عن الحرمين (مكة والمدينة)، حتى دخلوا اليمن، واستولوا عليها، حينئذ قُضي على الدولة الصليحية، وهرب الإسماعيلية، وكانوا على دين المستعلية وهربوا إلى الهند. في الهند صاروا تجارًا، فسماهم أهل الهند باللغة السنسكرتية (البُهَارا) أي التجار، فسمي بعد ذلك المستعلية **بالبهارا**.

والنزارية بقيت، حاربهم أهل الإسلام فلم يستطيعوا القضاء عليهم، حاربوهم محاربة شديدة، طبعًا قتلوا ملكًا من ملوك السلاجقة اسمه مودود، قتلوا كثيرًا من العلماء، حاولوا قتل صلاح الدين، والحقيقة كانوا خبثاء فهم باطنية، حتى أن أحدهم صار الحارس الشخصي لصلاح الدين، فدخل عليه وهو نائم فضربه بالسكاكين، ولكن صلاح الدين لا ينام لحرصه إلا بالدرع، فنزلت السكاكين بالدرع، فتكاثر عليه الجند حتى قتلوه، وقاموا بعمليات اغتيال كبيرة جدًا.

طبعًا هم سيطروا سيطرة كبيرة على دمشق، ودخلوا قلعة شيزر التي كان يسيطر عليها آل منقذ، الذين منهم أسامة بن منقذ، وكانت لأعمامه وليست له، وكان أبوه أميرًا، ولكن الذي استولى عليها عمه بعد ذلك، ثم استولى ابن عمه فلم يُحسن معاملته، فخرج أسامة بن منقذ وهو في الثمانين من عمره، وصار وزيرًا ومستشارًا لصلاح الدين، ومات وهو في خدمة صلاح الدين، وحدث زلزال كبير ودمر قلعة شيزر.

القلاع التي سيطر عليها الباطنيون لم يستطع أهل الإسلام القضاء عليها، لكن نظام الملك كان رجلًا صالحًا، فنشر قبل قتله المدارس العلمية، التي تسمى بالنِّظامية، نسبة إليه لكثرة ما أنشأ هذا الإمام من مدارس؛ من أجل نشر الدعوة

السنية للقضاء على الجهل، لأن مثل هذه المذاهب الباطنية تنتشر في مواطن الجهل؛ تنتشر في البوادي، تنتشر في القرى النائية، فلا بد من نشر المدارس العلمية، فقامت المدارس، وبدأ القضاء على سيطرتهم في الدخول في المدن.

وكان هؤلاء الباطنيون يستغلون الخلافات بين المسلمين، وتحالفوا مع النصارى، لكنهم رغم ذلك قاموا بعمليات اغتيال ضد بعض القادة النصارى.

سموا بالفداوية والحشاشين، ولم يُقضَ عليها إلا لما جاء التتار، قلعتهم الرئيسية في المشرق، قلعة (آلموت) التي تقع على بحر قزوين تمامًا هذه القلعة، وهي مناطق جبلية عالية جدًا، حتى قالوا لا يستطيع أن يُنصب عليها المنجنيق لضربها لارتفاعها، حتى جاء التتار وحرقوها وهدموها، حتى قضوا على قلاع الباطنية في الشمال، بلاد الشام، أما الدولة الصليحية فقد قضى عليها صلاح الدين.

هذا هو وجودهم السياسي، وهذا هو معتقدهم الديني.

ما هي بعض أفكارهم، أو عقائدهم؟

كما قلنا يقولون أن للقرآن ظاهرًا وباطنًا، لا صوم، ولا صلاة، ولا زكاة، ولا حج، لكن بعض أئمتهم جاؤوا وقالوا: لا بد أن نصلي، ولكنهم على الجملة لا يصلون إلا بإمرة الإمام.

سموا **بالآغاخانية**؛ لأن زعيمهم الأخير آغا خان، وهذا الرجل فاسق فاجر؛ كانت زوجته عاهرة من عاهرات هوليوود، وهو من أثرياء الدنيا، حتى صدر الدين آغاخان الآن أحد أبنائه، رُشِّح في وقت من الأوقات مع كوفي عنان، وبطرس رخيص، ليكون هو الأمين العام للأمم المتحدة، ودائما يكون رسولهم؛ لأنه كان ثريًا جدًا، ولهم القصور والثراء، ولأن زعيمهم الأول كان يسمى إسماعيل خان الكبير.

وفي آخر عمره مرض وصار له ممرضة فرنسية تغير له الحفاظات، فلما مات كتبت كتابًا عنه، وبينت من هم أهل الإسلام، يعني صار إسماعيل خان من أئمة المسلمين، وكتبت كتابًا عنه من أسوء ما يكون، طبعًا له كرامات مات في الحمام ولم يعرفوا لثلاثة أيام، هذه من كراماته!

من كراماته أنه عيَّن ابن ابنه كريم خان الذي هو الآن الإمام قبل أن يموت، هذه كرامات لا نقدر ننكرها!! يعني كيف عرف أن ابنه سيموت؟ ومن كرامات ستالين –وهو له كرامات– أنه كان عنده زوجة فأحب امرأة ثانية ماتت زوجته

الأولى، فتزوج الثانية، فأحب ثالثة، ماتت الثانية، هذه كرامات!! يعني لا تعترض فتطرد، اخلع عقلك عند حذائك واتبعني.

في الحقيقة لما أقرأ في سيرة الباطنية أذهل: كيف يمكن للمرء أن يؤجّر عقله، حقيقة لا يوجد أعظم من هذا الدين، ومن بناه النبيﷺ، وكل واحد يقول لك الغِ عقلك هذا إنسان باطني، يجب أن يبقى عقلك حاضرًا، حتى في أعلى درجات التبجيل والتعظيم.

بعض الصحابة كان يسأل، عمر -رضي الله عنه- لما وقع صلح الحديبية -وطبعًا لا نقرّه على هذا، ولكن انظر لم يُلغوا عقولهم-، النبي ﷺ ما قال له: أنت آمنت ألغ عقلك، لما فاوض سهيلا بن عمرو، ووقّع صلح الحديبية، فغضب عمر وقال: "يا رسول الله، أولسنا على الحق؟"، قال: (بلى)، أوليسوا على الباطل؟ قال: (بلى)، قال: فلمَ نعطي الدنية في ديننا؟ قال: (إني رسولُ اللهِ ، ولَسْتُ أَعْصِيه، وهو ناصرِي)، أرجعه إلى قضية أني عبد من عبيد الله، أنفّذ أمره، ما زالت في نفسه، قال: "يا رسول الله، ألم تعدنا أننا سندخل المسجد الحرام؟" قال: (بلى، أقلتُ لك من عامي هذا؟)[68].

وانظر إلى درجة الاستغفال، أنا أحزن على الحمار، لكن كلمة "استحمار" لا بأس بها، بل قولوا: استخراف، الخروف أبلد وأجهل من الحمار حقيقة، أجهل حيوان رأيته في حياتي هو الخروف، ودجاج المزارع، ليس الدجاج البلدي، الدجاج البلدي ذكي، أنا راقبته، أما الذي يُربَّى في المزارع أغبى خلق الله، والمسلمون هم الدجاج والخراف، يعني.

فتصور أن رجلًا يأتي إلى الحسن بن الصباح برسالة أحد أئمة المسلمين السلاجقة نظام الملك، يقول: "استسلم وإلا أغزو قلعتك، وأدمرها عليك"، يقول له: انتظر، يخرج إلى باحة القصر، يقول لهم: "جلوس"، الجيش يجلس، أتباعه جلسوا، يقول لهم: "أريد أن أبعث أحدًا منكم لتفيد أمر، من يقوم؟" يقومون كلهم، يقول لواحد تعال، يأتيه، يُخرجه من الصف، يُوقفه أمامهم، يقول له: "آمرك اقتل نفسك"، فورًا يتناول سكين ويجزّ عنقه، قتل نفسه! يقول لآخر: قُم ارمِ نفسك، قلعة عالية، ووادٍ سحيق، فيرمي نفسه فورًا، قال: "عندي عشرون ألفًا من هؤلاء، اذهب وأخبِر"، تصور!

---

[68] صحيح البخاري: (**2731**).

وهناك ناس تعجب، ما وجدتُ أَدْمَرَ للعقل، يعني أكبر عامل يدمِّر العقل هو الدين الباطل، تصور واحد يتدين دينًا باطلًا، تصور النصراني ممكن يكون خبيرًا بالذرة، ومع ذلك يؤمن أن عيسى هو ابن الله!! لا إله إلا الله! كل شيء فهمته في الدنيا ووقّف عقلك لتقول أن بشرًا هو الذي خلق الكون؟ وما قدر يدافع عن نفسه؟! قال: لا هو الله –عز وجل– أرسله من أجل الفداء!! هل الله –عز وجل– ليس قادرًا أن يغفر للناس إلا بذبح ولده!! يعني الحقيقة عقول غريبة جدًا.

كما قلنا أن إسماعيل آغا خان هذا تزوج عاهرة من عاهرات هوليوود، –هولي يعني مكان مقدس، مع ذلك الألقاب لا يدفعون لها مالًا، الألقاب كلها ببلاش!–، هو كان ثريًا، وجعل الإمامة في ابن ابنه، فمات ابنه في حياته فاستلم الإمامة والإمارة كريم خان، وهو ابن مدلل، يعيش في الجامعات الأمريكية والفرنسية والأوروبية، للحظة قالوا له: "أنت الله، تعال الآن الناس رضوا أن تكون أنت الإله، فيك سر إلهي"، لم تدخل عقله، قال هذه قصة فيها نظر، أنا إله!! فاجتمع الإسماعيلية في مدينة السلامية في سوريا، وقام خطيب منهم قال: "إذا لم يقبل أن يكون إلهًا علينا، سنختار إلهًا غيره"، صدقًا، فهو اقتنع، وصار إلهًا عليهم!

ويؤمن به جماعة كثر من الإسماعيلية في باكستان، في الهند، في أوروبا، هنا لهم مركز كبير (مَعبَد من معابدهم) في سوريا، وكريم خان هو إمامهم، كريم خان رجل إذا نظرتم إليه كما يقولون: "مودرن": حليق، شعراته مسبسبات، ربما يضع عليهم بريل كريم! ولما بلغ من عمره الخمسين احتفلوا بالعيد الذهبي له، وذهب لباكستان واستقبله أتباعه، حتى أنهم لما استقبلوه جاؤوا ببنات أبكار ذوات شعور طوال، وفرشوهن في المطار، وجعلوه بدلًا أن يمشي على السجاد الأحمر كالرؤساء، جعلوه يمشي على شعور البنات، ثم أحضروه ووزنوه ذهبًا، وأعطوه الذهب؛ لأنه اليوبيل الذهبي، وانتظروا يصير اليوبيل الماسي حتى يَزِنوه بالماس، هذا دين!

المهم أنه قال لهم: ألسنا مسلمين؟ فلنُصلِّ، يصلون على أي مذهب؟ ليس عندهم صلاة، فبث فيهم خاصة آل إسماعيل في سوريا، قال لهم: اجعلوا لكم مساجد صلوا فيها، وأعطاهم بعض الكتب، وكان بعضها على مذهب الإمام الشافعي، قال لهم اقرؤوا قرآن، فعادت بعض المصاحف إلى مراكزهم، لكن تحت دعوة الإله كريم خان، فهذا هو اعتقادهم الآغاخانية، وهم من أفجر خلق الله، وأكفر خلق الله، ومن أسوأ البشر حقيقة.

أما طائفة **البُهَارا** فاستقروا في الهند، وهم تجار وأثرياء جدًا، لم ينشطوا إلا بعد سنة السبعين تقريبًا، نشطوا وأحضروا قفصًا عظيمًا من ذهب، من أجل ستنا زينب في مصر، وخرج حينها رئيس الوزراء في زمن الهالك السادات، واستقبل زعيمهم، وهم يطوفون، وهم لهم أتباع يُسمَّون طائفة البهارا، وهذا هو دينهم.

هذا هو شأن الباطنية، وقديمًا كما قلت قُضي على دولتهم عن طريق صلاح الدين في مصر واليمن، وأما قلاعهم في بلاد الشرق وبلاد الشام فقضى عليها التتار، هذا شأن الإسماعيلية.

أما عقائدهم؛ يعتبرون النبي ﷺ نبي السوس أي نبي العوام، وأما الأئمة فهم أنبياء الحكمة والباطنية، وتُنسب كتب إخوان الصفا إلى المذهب الاسماعيلي، كما يقول شيخ الإسلام وجماعة كثر، أن الذي ألف كتب (إخوان الصفا وخِلّان الوفا) هم الإسماعيلية الباطنية، والعلماء اهتموا لهم اهتمامًا شديدًا، وألفوا فيهم الكتب، يعني كتاب الإمام الغزالي (فضائح الباطنية وظهور المستظهرية)، هكذا سماه، المستظهر هو الإمام الحاكم في ذلك الوقت، تقدمة لهم على فعل الباطنية.

أما أفاعيلهم في العلم الإسلامي فكبيرة جدا، اقرؤوا الكتب التالية في هذا الباب:

(الحركات الباطنية بالعالم الإسلامي) لمحمد أحمد الخطيب.

(أثر الحركات الباطنية في تعويق الجهاد ضد الصليبين) هذا كتاب رسالة ماجستير، كتاب جيد حقيقة لإبراهيم يوسف الشيخ عيد؛ لأن الحركات الباطنية كانت لها أثرها السيئ أثناء غزو الصليبيين لبلاد الشام، كما رأيتم أن صلاح الدين هو من قاتل الصليبيين، وكانوا هم أكثر عداءً له من غيرهم، هذان الكتابان نافعان في تاريخهما، وبيان أثرهم السيئ على العالم الإسلامي.

وجزاكم الله خيرًا، سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.

10

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلوات ربي وسلامه عليه، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى صحبه الغر الميامين، وعلى من تبعهم بإحسان وهدى إلى يوم الدين، جعلنا الله وإياكم منهم، آمين آمين.

تكلمنا في الدرس السابق عن فرقة الإسماعيلية الباطنية، أو القرامطة، أو العبيدية، الذين يقال لهم الفاطميون، والحقيقة أنا أترك التفصيل؛ لأن الفرقة الواحدة تحتاج إلى دروس متعددة، وهناك في داخل الإسماعيلية تفرُّق وحصل قتال، فمثلًا القرامطة هم من الإسماعيلية، وحمدان قرمط استجاب لدعوة رجل باطني، ولكن حدث قتال بين القرامطة والدولة العبيدية، فلما تغلَّب القرامطة على البحرين، ودخلوا مكة وقتلوا الحجيج؛ كوَّنوا دولًا لهم في بلاد الشام.

كما أن الإسماعيلية الذين يقال لهم الحشاشون أو الباطنية، كذلك حكموا على أقطار عدة في بلاد الشام.

القرامطة الذي أنشأ لهم دولة رجل يسمى أبو سعيد الجنابي، والذي مكَّن للدولة ابنه أبو طاهر سليمان، فلما حكموا بلاد الشام وجَّهوا جيوشًا لمحاربة العُبيديين، وتقابلوا في معركة وغُلب فيها القرامطة سنة 358هـ، ثمان وخمسين وثلاثمائة بالقراءة العربية؛ لأن العرب يقرؤون من اليمين لليسار، وهذا من غَلَبَة العُجمة على الناس في هذه الأيام، يقول لك سبعمائة وعشرين...وهكذا.

وأغلب الناس وحتى الدارسون تبحرًا في هذه المسائل لا يعرفون سببًا للقتال، وسبب القتال أن هذه أديان باطلة، ومقصد أصحابها الوصول إلى الملك والحكم، وأصحاب الأديان الباطلة يتقاتلون من أجل الوصول للملك والحكم.

كذلك ذكر القُمِّي صاحب كتاب (المقالات والفرق) -وهو أساس كتاب (فرق الشيعة) للنوبختي-، أن الشيعة افترقوا إلى فرقتين قبل النزارية والمستعلية، فبعضهم يرى أن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، لم يمت وأنه إله، وهو المهدي الذي سيظهر آخر الزمان، وبعضهم يقول: لا، إنما الإمامة آلت إلى ابنه محمد بن إسماعيل. وهذه لم يذكرها الإمام أبو الحسن الأشعري.

القصد أنه من الصعب أن يتعرَّف المرء على كل التفريعات، يعني **الخطّابية** أو **الخَمْسِيَّة** يقال هي كذلك من فرق الإسماعيلية، وهي التي قال عنها الإمام الشافعي: "نأخذ بحديث كل فرقة إلا الخطّابية"، ويقال لهم الخمسية؛ لأنهم يقولون أن عليًا والحسن والحسين وفاطمة ومحمدًا هم الآلهة، حلَّت فيهم صورة إلهية، ذكرها عبد القادر البغدادي.

وأعود وأكرر أن كتاب عبد القادر (الفرق بين الفرق) هو أساس لمن أخذ بعده، فأبو حامد الغزالي في (فضائح الباطنية) أخذ منه كلامًا طويلًا، حتى المتهم بالإسماعيلية وهو أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني في (الملل والنحل) أخذ الكثير منه.

والإسماعيلية مع بطلان هذا الدين الغريب، إلا إنهم أثَّروا في كثير من الفلاسفة والمتكلمين، يعني ابن سينا يُتَّهم بأنه إسماعيلي، وفي (لسان الميزان) لابن حجر العسقلاني –وهو إضافات على كتاب (ميزان الاعتدال) لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي المتوفى سنة 748هـ– ذكر فيه كل رجل مُجرَّح، جاء ابن حجر وأخرج منه رجال (التهذيب) أي رجال الكتب الستة، وأضاف عليه إضافات وعلَّق تعليقات زائدة، وسمى كتابه (لسان الميزان)، وهو أحد الكتب الأربعة التي مات ابن حجر وهو عنها راض، وهو اعتذر عن كل كتبه إلا (فتح الباري) مع مقدمته، و(تفسير المنتبه وتحرير المشتبه) وهو في أسماء الرجال، و(تهذيب التهذيب)، و(لسان الميزان)، وقال: "وبقية كتبي عُدَّتها ضعيفة"، أي ليس فيها ما أحب أن يكون فيها، هذا استطراد على الهامش.

القصد –أيها الإخوة– أن الحديث عن الإسماعيلية حديث غريب جدًا؛ السبب أنه دين باطل، لو سُئل الفرد المسلم العادي: هل أنت تؤمن بمثل دين يقال لك فيه أن القرآن له ظاهر وباطن، وظاهره على خلاف تام مع باطنه؟! لا يمكن، ما هو السبب؟ في الحقيقة لا بد من سبب لهذا الموضوع، وكثير من الفضلاء كان على مذهب الإسماعيلية، أنا ذكرت لكم ممن حقق كتبهم من المعاصرين: عارف تامر، وكذلك مصطفى غالب، وهناك رجل مصري لا أدري هل هو إسماعيلي أم لا، –لكن حقق كثيرًا من كتب الإسماعيلية– وهو محمد كامل حسين، ولا أعرف شيئًا عن هذا الرجل.

أما مصطفى غالب فإسماعيلي، وعارف تامر كذلك إسماعيلي، والكتب التي حققها المصري محمد كامل حسين أكثر من الكتب التي حققها عارف تامر ومصطفى غالب، ولكن كتب عارف تامر يغلب عليها أنها كتب دعوة إسماعيلية، وهذا دين باطل تأثر منه الكثير. حتى الرازي وهو صاحب كتاب (مفاتيح الغيب) في التفسير، كان متهمًا بأنه من

دعاة الإسماعيلية، بالرغم من أنه أشعري، وله ردود كثيرة على الكرّامية في سجستان –أو في الرّي–. وهناك رجل آخر له كتاب مشهور اسمه (الزينة)، أغلب الناس يقرؤونه على أنه يتحدث عن لباس العرب قديمًا لرجل يسمى أبا حاتم الرازي، –وهو ليس أبو حاتم الرازي المحدِّث الإمام العظيم الجهبذ–، مع ذلك متهم أنه إسماعيلي، وقلنا الشهرستاني متهم بأنه كان باطنيًا، **فما هو السبب؟**

الرد على هذا الدين رد صريح وواضح، كل من قرأ كتاب الله وقرأ السنة وعرف شيئًا من اللغة العربية أن الألفاظ موضوعة لمعانٍ تواضع عليها الناس ولا تحتاج إلى إمام باطني ليفسرها لهم. حتى الغزالي في (المنقذ من الضلال) ذكر أنه دخل في دين الباطنية يومًا ما، **فما هو السبب؟**

الحقيقة هذه تحتاج إلى تدقيق مهم، وهو أن الدخول في دين الباطنية والتأويل؛ لأن الباطنية تقوم على التأويل، يعني عندما يقول لك الباطني: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا}[التوبة: 103]، يعني عليك أن تعرف إمامك، وليس هي الصدقة المعروفة، أو عندما يقول لك: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً}[البقرة:67]، يقول لك: البقرة هي عائشة، فتتعجب أي عقول لهم!

لكن في الحقيقة أن التأويل لا ضابط له، هذه قضية مهمة جدًا، **التأويل لا ضابط له**؛ لما يأتي مثلًا أقل الناس تأويلًا من أهل الإسلام –وهم الأشاعرة–، هم أقرب الناس إلى أهل السنة في موضوع التأويل، فهم يؤولون الصفات الاختيارية للرب، أي التي مناطها على الإرادة، كالكلام والنزول، هذه مناطها على الإرادة، وليست صفات ذات، إنما هي صفات فعل: إن شاء ربنا تكلم، وإن شاء لم يتكلم، إن شاء ربنا نزل، وإن شاء لم ينزل. حتى القريب منها كالرحمة يقولون هي إرادة، هي المتعلقة بالإرادة فقط، هؤلاء هم أقل الفرق الإسلامية تأويلًا.

لكن ما هو ضابط التأويل؟ الأشعري إذا جاء إليه مخالف وقال له: "يا أشعري، أنت تؤول هذه الصفات، لماذا؟"؛ لقال مثلا أنها على خلاف العقل، جيد، أنت قلت على خلاف العقل، فبقية الأخبار على خلاف العقل.

لما جاء محمد عبده وقال عن الطير الأبابيل التي أنزلها الله –عز وجل– على أصحاب الفيل {وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ}[الفيل: 3]، قال: هذه هي الجراثيم، لماذا؟ قال: كيف تنزل طير؟ هذا على خلاف العقل، الله أنزل عليهم جراثيم هذا هو المقصود، وطير الأبابيل كناية، لكن في لغة العرب لا يعرفون الجراثيم، فلو قال الله أني أرسلت عليهم

الجراثيم لم يستطيعوا فهمها، ولكن قال لهم طيرًا أبابيل ليفهموها، بالرغم أن الذين حضروا الموقعة كانوا زمن نزول القرآن، فلو لم يروا الطير الأبابيل لقالوا: هذه أول كذبة يا محمد، لم نر طيرًا أبابيل ولا حجارة من سجيل!

وواحد يأتي إلى آية وهي لا تعجبه، فيبدأ يؤولها، أوّل جميع الأخبار المتعلقة بالغيب، والمتعلقة بالتاريخ الإنساني، مما ذكره الله عن الأنبياء، حتى وجدت لبعضهم ممن كتبوا في قصص القرآن –وهو كتاب جيد، لكنه سي أنه قال: "أن القصص القرآني لا يشترط أنها حدثت، إنما هي رموز من أجل إيصال المعاني"، هذا باطل ينسب الكذب إلى الله! أما ضَرْب الأمثال فلا يُشترط فيه الوقوع؛ يضرب لهم مثلًا إما أن يقع وإما ألا يكون واقعًا، أما القصص القرآني أن يقال أنه لم يقع ولكنه من قبيل الترميز، فالقرآن حينئذ كل أخباره منقوضة، إذًا الأخبار يمكن نقضها عن طريق التأويل!

قالوا من الفرق بين الأخبار والأحكام؟ يعني هذا الكلام العرب تفهمه على هذه الصفة، ذهبتم وأوَّلتموه إلى معنى آخر، فلماذا لا نذهب إلى الكلام المتعلق بالأحكام، لما ربنا–عز وجل– يقول: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ}، فعلينا أن نؤولها كذلك، يمكن أن نؤول الصلاة إلى الصِّلة بين المتبوع وبين إمامه الغائب الباطني.

وبعضهم يرى أن أئمة كبارًا –كما يزعم– قد قالوا بالتأويل، ثم يأتي إليه الزنديق يقول له: "أنت أوَّلت، إمامك أوّل في هذا؛ لماذا لا تؤول في هذه؟ ما هو المانع؟" فلا يوجد مانع ولا يوجد قانون، وكل من حاول أن يضع قانونًا لضبط التأويل فسد، حتى الغزالي أَفْسَد؛ وله كتب كثيرة فاسدة تُنسب إليه ككتاب (المضنون به على غير أهله)، هذا كتاب فيه ضلالات وانحرافات، لكن **مِن أَفْسَدِ كتبه** كتاب (قانون التأويل)، والحقيقة أنه وضعه للرد على الباطنية، ووضع قانونًا له خاصًّا به، فيما يُؤوَّل ولا يُؤوَّل، الجنة تؤوَّل، الله وعدنا بالجنة، هناك من يقول الجنة هي السعادة النفسية، والنار هي الشقاء النفسي، أنت إذا أذنبت قد يصيبك شقاء نفسي، هذه هي النار فقط!

واليهودية حدث فيها التأويل الباطني هذا، يقال أن من أول من أتى بالتأويل في الديانة اليهودية هو فيلون، وله ديانة خاصة أوَّلوا فيها التوراة.

فإذًا عدم وجود قانون للتأويل هو الذي يؤدي إلى إبطال الشريعة. **ما هو ضابط حكم الشريعة؟** لا بد من وجود ضابط، قالوا: الإمام الغائب، والإمام الغائب لا بد له من نوع تميُّز خاص، وهو الذي أظهره ابن سبأ اليهودي بقوله أن الإمامة في آل البيت، فما من نبي إلا كان له أنصار.

من أجل هذا أفلح الإمام أحمد عندما قال: "**فساد الناس بأمرين: بالقياس والتأويل**"، وصدق ابن القيم حينما قال: "**أن التأويل طاغوت**"؛ لأنه يُفسد الدين، لا ضابط له، مجرد أن قلت يوجد تأويل، من أحضر لك هذا؟ من زعم لك هذا؟ فإذا فتحته، فعليك أن تفتحه كله، ولذلك من عبارات شيخ الإسلام ابن تيمية عن الأشاعرة، قال: "لما فتحوا باب التأويل وانتسبوا لأهل السنة هنا المشكلة"، بالرغم أن الأشاعرة لهم جهود طيبة عظيمة في خدمة الدين والرد على المخالفين، لكنهم في الحقيقة كانوا من أضعف الناس في مناظرة خصومهم.

11

الدُّرزية

لا بد أن نذكر شيئًا عن **الدُّرزية**؛ لأن الدرزية نشأت ونتجت خلال حكم العبيديين لمصر، ونحن في ذكر **العبيديين** أو **القرامطة**، وبعض العلماء يسميهم **الخُرّامِية**، **البابكية**، لكنها أسماء ليست صحيحة في الحقيقة، أو بعضهم يقول **القُرْمُطِية** وهي نفس القرامطة. أما الخرامية والبابكية أو **المزدكية** فهي أديان أخرى كانت قبل الإسلام، ولكنها وجدت نفسها خلال الدين الباطني، دين باطني لا يعرفه أحد، فأي واحد يأتي يقول هذا هو الدين وأنا من أهله وأنا من أصحابه يتّبعه الناس، كما حدث مع ملكة اليمن –التي هي "أروى"– عندما أخرجت كتابًا أن المستعلي بالله قد وكَّلها قيادة الأمة، وبتفويضها لقيادة الأمة، فهكذا ظهر. الحسن بن الصبَّاح نفس الشيء ادعى أن نزارًا، فدين الباطنية دينٌ حمَّالُ أوجه.

خلال حكم العبيدين لمصر تولى المُلك والخلافة العبيدية في مصر الحاكم بأمر الله الفاطمي –هذا لقبه–، وتولى الملك وعمره صغير –إحدى عشرة سنة فقط–، وكان صاحب "مزاج سوداوي" كما يقول السلف، أي ما يسمونها اليوم (انفصامًا في الشخصية)؛ فكانت تظهر منه مرة شجاعة فائقة، ويظهر منه مرات الجبن، مرة يحب الملوخية ومرة يكره الملوخية، مرة يأمر بقتل الخصيان، مرة يُقرِّب الخصيان، رجل غريب جدًا!

وكان من عادته أن يركب حمارًا يطوف به في شوارع القاهرة. والقاهرة بناها المعز لدين لله الفاطمي وبناها جوهر الصقلي، ولماذا سميت القاهرة؟ لظهور المريخ في ذلك الوقت، والمريخ كان يسميه الناس قديمًا بالقاهِر فسُمِّيت على اسمه القاهرة، بجانب الفسطاط؛ أي الخيمة أو مكان نزول جند المسلمين بقيادة الصحابي الجليل عمرو بن العاص عندما فتحوا مصر.

والحاكم بأمر الله الفاطمي أو العبيدي في الحقيقة؛ إنما نسبتهم لعُبيد الله بن ميمون القدَّاح، وميمون القداح هو أحد موالي جعفر الصادق، وجعفر الصادق إمام سني تابعي جليل، لم يكن له كثير حديث، روى له أصحاب السنن وهو موثَّق عند أهل الحديث، لكن مواليه وجماعته ليسوا على دين، كما أن محمد بن نصيري النميري كان من موالي الحسن

العسكري وهو الإمام الحادي عشر، الحسن العسكري بن علي بن محمد الجواد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي السجّاد بن الحسين بن علي بن أبي طالب.

فكان له حمار يركب عليه ويطوف، وكانت له أخلاق غريبة؛ كان يمشي في الأسواق ومعه عبد أسود إذا اكتشف غاشًّا أمر العبد أن يلوط بالتاجر. كان شخصًا غريبًا حرَّم الملوخية يومًا على أهل مصر، وأحلّها وأوجبها على الناس يومًا آخر، رجل مسطول يعني!

فجاء رجل خبيث من الباطنية اسمه حمزة بن علي الزوزني، وقال: هذه التقلُّبات الحاصلة في هذا الإمام هي تجليات أسماء الرب؛ فربنا غفور ومنتقم، وربنا القابض والباسط، طبعًا هو يعرف أنه كذّاب ودجّال، فبدأ يدعو إلى ألوهية الحاكم، أن الإله هو الحاكم، وقال بنفس اعتقاد الفاطمية -المقصود بها العبيدية أو الإسماعلية-، وكانوا من غلاة الجهمية النُّفاة للأسماء والصفات حتى وصل دينهم إلى النفي المحض، هم يقولون: لا نقول الله موجود، ولا نقول أن الله غير موجود، لا نقول أن الله سميع ولا نقول أن الله غير سميع، تصور أن العقل البشري يقع على ذهنه أنه لا يجوز أن نقول أن الله موجود، ولا يقول أنه غير موجود، لا نقول أنه حي ولا نقول إنه غير حي، هذا التضارب لا يمكن للعقل أن يتصور اجتماع نقيضين.

لذلك قالوا في قواعد العلم: "اجتماع ضدين معًا في حال أغرب ما يأتي من المِحال، أو أغرب ما يأتي على العِقال"، لا يمكن هذا لونه أبيض وفي نفس الوقت لونه أسود.

هذا التَّضاد في الإثبات مع التضاد في النفي يُنتِج أحد أمرين:

إما النفي المطلق أي ليس هناك إله؛ لأنه يؤدي إلى النفي المحض، هذا النفي المحض يُنتج إنكار وجود الله، وتبدأ بعد ذلك التصورات أنه العقل الفعَّال، العقل الجَمْعي، وهو مجرد عقل منتشر في داخل الفيوضات الموجودة في داخل أنفس الناس، لكن هذا لا يستقر؛ فالنفي المحض لا بد أن يُنتج مُطلَق الإثبات، وهو أن الله هو نفس هذا الكون. ولذلك هذا كما قلت تضاد الإثبات مع النفي إما أن ينتج عدم الوجود وهذا شيء طبيعي، وطبعًا لا يمكن للمرء أن يتصور أن الله غير موجود، فيبدأ العقل يقارب والنفس تُقارب إلى أن الله -عز وجل- هو عين هذا الكون، وهو سره.

فإما أن يُقال أن الله هو روح تسري في هذا الكون، وإما أن يقال أن الله هو هذا الكون، وهذا هو المبدأ الذي يصل إليه كل من قال بالنفي.

ولذلك تجد من الغرابة أن الفلاسفة يزعمون العقلانية، المتكلمون من أكثر الناس زعمًا احترامًا للعقل، لكن كيف أدى بهم أن يكون أغلبهم باطنية وأن يكونوا صوفية على المذهب الإشراقي.

ابن سينا إشراقي، ما هو المذهب **الإِشْرَاقِي**؟ المذهب **الغَنُوصِي**.

كلمة الغنوص كلمة يونانية، وفلاسفة الإشراق هم الذين يُقال لهم الفلاسفة المشَّاؤون، بلغة ثانية: هم الذين ينتجون النتائج من غير مقدمات، الآن لما يقول لك: الله هو عين هذا الكون، نقول له ما الدليل؟ يقول: ليس هناك دليل، هذه فيوضات من المعارف فاضت على قلوبنا لا نستطيع لها دفعًا ولا نستطيع إثباتها للخصم!

تصور أن جميع أو أغلب هؤلاء سواء الفارابي، ابن سينا، ومن هؤلاء الرازي، كل هؤلاء كانوا إشراقيين وكانوا على هذا المبدأ، تصوَّر أن الرجل يتكلم في عظائم الأمور، في قضايا العلم ومع ذلك هو في قضايا الإيمان والإلهيات من أفسد الناس، قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "الفلاسفة أقرب إلى الحق في باب الطبيعيات وأضل الناس في باب الإلهيات، والمتكلمون من أفسد الناس في الطبيعيات وأقرب إلى الإلهيات"؛ الفلاسفة الآن لما تقرأ للخوارزمي، تقرأ للحسن بن الهيثم، تقرأ للفارابي؛ إذا تكلموا في ما هو كَوْنِي خَلْقِي فهم علماء، هم الذين كانوا الأطباء، ابن سينا طبيب، الحسن بن الهيثم إمام علم الهندسة، هو الذي اكتشف انكسار الضوء؛ الضوء يمشي في مجال فإذا تغير مجاله ينكسر كشعاع الشمس، لما ينزل في الماء ينكسر، ولما تضع أنت عصا في الماء تبدو منكسرة، هذا من الذي اكتشفه؟ الحسن بن الهيثم. من الذي اكتشف الدورة الدموية الصغرى؟ ابن النفيس.

أما في الطب فابن سينا من أشهر الناس في هذا، أبو حاتم الرازي من أئمة علماء الطب، لهم اهتمام شديد في الكونيات، واقرؤوا كتابًا -وهو سهل ليس فيه ضلالات غير في جملة واحدة- هو كتاب الحسن بن الهيثم (ثمرة الحكمة) حقَّقه محمد عبد الهادي أبو ريدة، وهو رجل مصري، وهي رسالة صغيرة جيدة، يتكلم عن الخط المستقيم، عن النقطة، عن المثلث، عن الأبعاد، يتكلم عن الهندسة بعلم جميل جدًا، لكن متى يضل؟ يضل في الفقرات الأخيرة عندما يقول: "والعوام يكتفون بحكمة الأنبياء" هذه عبارته، هذه طبعًا كما ترون عبارة كفرية ضالة.

حتى ابن رشد الفيلسوف، ابن رشد اثنان: محمد بن رشد الجد، ومحمد بن رشد الحفيد، الحفيد كان فيلسوفًا حتى أُجريت له محاكمة لقوله بأقوال الفلاسفة، وله أقوال باطلة كما في كتابه (فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال)، كتاب فيه فساد، وفيه أغلاط، مع أنه يعظم الشريعة، أفضل من الفارابي وأفضل من ابن سينا، هؤلاء لا يعظمون الشريعة.

ولكن ابن رشد كان فقيهًا وقاضيًا، وهو صاحب كتاب (بداية المجتهد)، هذا كتاب من أفضل كتب الفقه للمبتدئ لمعرفة أسباب خلاف الفقهاء، يأتي لك بالمسألة ويذكر لك خلاف العلماء فيها، وإن كان فيه بعض الهنات أنه ينسب لبعض المذاهب ما ليس مُفتىً بها، ولكنه كتاب من أجود الكتب للمبتدئ في قراءة ما يسمى اليوم بالفقه المُقارَن، أما العلماء قديمًا كانوا يسمونه فقه الاختلاف، أو اختلاف الفقهاء، وألَّف فيه جماعة كُثر من أهل العلم.

فابن رشد مثلًا تراه عظيمًا أفضل بكثير من متكلمي الأشاعرة في باب الطبيعيَّات، ويرد على الأشاعرة في نظرية الجوهر والعَرَض، والقَدَر التي سموها اليوم بنظرية الذَّرة -ارجعوا لأشرطة الإيمان شرحتها هناك-. فتجد أن الفلاسفة في الطبيعيات لهم كلام طيب معقول، ولكنهم حين يتكلمون في الإلهيات على المذهب الغنوصي، الإشراق، النفي المحض كلهم، لذلك هناك لقاء ما بين الفلاسفة في تاريخنا وما بين الباطنية، أما المتكلمون في باب الإلهيات فأقرب، الأشاعرة في باب الكلام عن الله -عز وجل- وأسمائه وصفاته كلامهم أقرب بكثير من هؤلاء الضُّلال، لكنهم في باب الطبيعيات، نظرية الجبر المتلبِّسون بها من أفسد ما يمكن أن يقول به عاقل.

أطلنا ولكن لأجل أن تتصوَّرا كيف ينتُج النفي الذي يقول به الإسماعلية الدرزية، لماذا نتج ما يقال لهم الدرزية؟ وقلنا لفظ الدرزية لفظ متأخر، لا يوجد في كتب الأوائل، حتى في كتب شيخ الإسلام ابن تيمية -عليه رحمة الله- لا وجود لها ولا في كتب لسيوطي، يعني القرن الثامن الهجري والتاسع الهجري لا وجود لكلمة الدرزية.

الذي يقوله الإسماعلية كما في كتبهم مثل (راحة العقل) للكرماني، النفي المحض لا بد أن يتصور إلهًا، حينئذ تبدأ الأسئلة؛ هذا الكون كله الله؟ لا، لا بد من تخصيصه في بعض الفضلاء، ومن هنا تأتي نظرية الحلول، ولذلك يقول شيخ الإسلام: "النصارى دينهم أقرب من دين الصوفية الغلاة".

الصوفية يقولون: الله حلَّ في كل الكون، حتى يقولوا -نعوذ بالله منهم- أنه حلَّ في الحشوش وحلَّ في الدواب، نعوذ بالله، لكن نذكر هذه المذاهب لبيان فسادها. أما النصارى يقولون أن الله حلَّ في عيسى.

فإذًا النفي المحض الذي يقول به الغلاة يؤدي لا بد إما إلى نفي الإله، فلا بد أن تغلب الفطرة على تمثُّل وجود إله، إذًا لا بد أن يتمثَّل الإله في شيء: إما أن نجعل الإله مطلقًا في كل شيء، وإما أن نُعيِّنه في أشخاص. فمن هنا جاء القول بألوهية الحاكم بأمر الله الفاطمي؛ لا بد من تمثُّل الألوهية أو الربوبية في شخص، فلذلك جاء حمزة بن علي الزوزني وكان خبيثًا ذكيًا؛ لأن الحاكم بأمر الله الفاطمي أنشأ مدرسة الحكمة في مصر، مدرسة كبيرة أحضر لها الكتب، وأحضر الفلاسفة، والغريب كما قلت لكم أن أغلب الفلاسفة في تاريخنا كان عندهم اشتغال بعلم الطبيعيات؛ الهندسة، البصريات، النجوم، الفلك، هذه العلوم التي انتشرت حتى نصير الدين الطوسي -عليه من الله اللعائن- وهو الشيعي الباطني الخبيث الذي فتح بغداد للتتار، كان من أئمة علماء (الهيئة)، يسمي علماؤنا علوم الهندسة والرياضيات والفلك بعلوم الهيئة، أي تختص بهيئة الأشياء وصورتها.

فأنشأ (دار الحكمة) وجلب لها الرجال، كان هناك رجل خبيث في داخلها من الباطنية اسمه حمزة بن علي الزوزني، فقال: مَن الإله؟ الحاكم بأمر الله الفاطمي، وبدأ يبث هذه الدعوة، استجاب له اثنان: أبرزهما رجل اسمه محمد بن إسماعيل الدَرَزِي، حمزة بن علي الزوزني مُتمرِّس على التَقيَّة، محمد بن إسماعيل الدرزي غير متمرس، فنزل بجامع الأزهر والناس جالسون، فقال لهم: "الله هو الحاكم بأمر الله"، قام عليه الناس ليقتلوه، فجاء الجند وحموه.

بالرغم من أن العبيديين في مصر كانوا يقيمون الاحتفالات بأعياد الميلاد النبوي، وكانوا يعملون الحَضْرَات الصوفية، وكانوا يحتفلون بالاحتفالات الإسلامية بطريقة لها بهرجة، كانوا يخرجون إلى صلاة الجمعة، وكانوا يحتفلون في رمضان احتفالًا شديدًا، لكنهم كانوا يصومون ويفطرون على الفلك والحساب وليس على الرؤية.

وكان لهم اهتمام بظاهر الإسلام مثل طواغيت اليوم، الدين لا قيمة له عندهم، لكن يهتمون بالاحتفالات وبالبهارج وبالبدع. فكان هكذا العبيديون، وكثير من البدع التي أُحدثت ما زالت إلى يومنا هذا، الحقيقة أن الاحتفال بالمولد النبوي هم الذين أشهروه، لكن ليسوا هم الذين أحدثوه، وإن كان بعضهم ينسب الإحداث إليهم، لكن واضح في بعض الكتب أنه أقدم من حكم العبيدين لمصر.

والحاكم بأمر الله أظهر نكارته لما أظهر محمد بن إسماعيل الدرزي، لكنه حماه وأعطاه أموالًا وقال له: اذهب وادعُ لهذه الدعوة في غير هذا المكان. فخرج محمد بن إسماعيل الدرزي، -الدرزي لعله كان على قاعدة العامية المصرية (الترزي)

يعني أنه هو الذي يُطرِّز أي الخياط، لم يذكر أحد من أهل الفرق شيئًا من هذا لكن لعلها هكذا-. فخرج وجلس في الجبل في (وادي تيم) في بلاد الشام، وبدأ يدعو لنحلته فاستجاب له جماعة من الباطنيين.

والدرزية في مصر قُضي عليها بشيئين:

الشيء الأول: قضى عليها العبيديون الإسماعيليون أنفسهم؛ لأنهم رأوا فيها دينًا يُخالف ما هم عليه، فحاربوها أشد المحاربة، ولم يستطع الحاكم أن يتبناها، فبدأت دعوتهم سرًا لكن لم يستجب لها الكثير. فلما خرج محمد بن إسماعيل الدرزي إلى وادي تيم هناك بدأت الدعوة إلى نِحلته واستجاب له أقوام، وسموا أنفسهم بالموحِّدين.

وكلمة (الموحِّدين) هذه استخدمها كل من هبَّ ودبَّ؛ (دولة الموحدين) في المغرب صاحبها المهدي بن تومرت، وهو من غلاة النُّفاة على مذهب الجهمية، وهو الذي قضى على الدولة السلفية الطيبة وهي (دولة المرابطين) التي أنشأها يوسف بن تاشفين -عليه رحمة الله-، وكان يوسف بن تاشفين على مذهب أهل الحديث وعلى طريقتهم في إثبات الأسماء والصفات، لكنه كان مالكيًا متشدِّدًا.

المهدي بن تومرت كان خبيثًا في معتقده حتى كفّر المرابطين؛ قال: "لأنهم يقولون بالتجسيم، كما هي التهمة اليوم للمُثبِتين من أهل السنة؛ الذين يُثبِتون ما أثبته الله لنفسه -سبحانه وتعالى- من غير تأويل ومن غير تشبيه ولا تحريف.

فهذا سمى دولته (دولة الموحدين)، المعتزلة ماذا يسمون أنفسهم؟ (أهل العدل والتوحيد)، فهكذا ترى العبارة الواحدة ينطق بها ويسمي كل واحد منهم نفسه. **والشعارات في ديننا لا قيمة لها**، واحد يقول لك: أنت مرجئ، واحد يقول لك: أنت خارجي، الشعارات لا قيمة لها، لا يُدعى يوم القيامة بالشعارات، أهل قريش كانوا ينتسبون لإبراهيم -عليه السلام-، شعارهم: "نحن أولى الناس بإبراهيم"، والقرآن نفى هذا: {إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ}.

فالقضية قضية **اتباع**، أما أن يسميك الناس ما شاؤوا فهذا لا يهم، فهذه لعبة الشعارات من أجل سب الحق، وأهل الحق كذلك يسبون أهل الباطل وينبزونهم بتسميتهم القدرية، الرافضة وهكذا، ولكنهم في الحقيقة هذه الأسماء لا قيمة لها إن لم يوجد الواقع، قضية حرب الشعارات هذه لا تؤثر إلا على الجهلة، ينساق لها الغِمار. "نحن من آل البيت" الخميني يدعي أنه من آل البيت، قال: مذهبهم هو مذهب آل البيت، ما علاقة الخميني بآل البيت؟!

الخميني اسمه: روح الله بن أحمد بن مصطفى، ثم الجد الرابع غير معروف جاء من الهند، ومع ذلك فهو موسوي. قرأت في مجلة (التوحيد) عن الشيعة أن عدد أفراد آل البيت من المسلمين في العالم كم عددهم؟ مائة وستين مليون!!

النورستانيون في أفغانستان أسلموا فقط قبل مائة سنة، جاءهم جنرال أفغاني مسلم جيد كان دخل ودعاهم للإسلام فأسلموا، كانت تسمى (كفرستان) لما أسلموا قبل مائة سنة سموها (نورستان)، وقالوا: "نحن من ذرية عكرمة بن أبي جهل!"، حتى صدام طلع من أهل البيت، هذه الأيام كلهم يتمسحون بآل البيت.

وقال: الرفاعي من آل البيت، -خليفة آخر زمن هذا-، أحمد الرفاعي من قبيلة رِفاعة من جنوب العراق، لا يلتقي مع محمد بن عبد الله ﷺ إلا في آدم، ومع ذلك من آل البيت!

عبيد الله بن ميمون القداح يهودي، أغلب المؤرخين ينسبونه لليهودية، يشكك في ذلك فقط ابن خلدون، ومع ذلك أغلب المؤرخين يقولون: يهودي، ومع ذلك هو من أين؟ من آل البيت.

كما قلنا إن الزهد مزلق من مزالق المغفلين، ما هو المزلق الثاني؟ الانتساب لآل البيت.

لماذا سميت بالدُّرزية؟

هناك خلاف على قولين:

- القول الأول: ذكره عبد الله الخطيب، وهو سفير لبنان الذي قُتل، بكتابه (عقيدة الدروز)، يذكر أن السبب الصحيح هو أن الجنرال الأوروبي الذي كان من الصليبيين كان يُسمى (دَرُو)، وهذا هُزم في بعض مواقعه مع بعض جند صلاح الدين أو مع صلاح الدين نفسه، فالتجأ إلى وادي التيم الذي هو مكان الدروز فصارت النسبة إليه في الإنجليزية أو الأجنبية (الدَّروز)، وبعد ذلك سُهلت عربيًا فقيل لهم الدُّروز.

ولعل هذا القول هو الأصوب، لأن الدرزية لفظ لم ينتشر كما قلت في أكثر من مرة في كتب المتقدمين.

- القول الثاني: نسبة لمحمد بن إسماعيل الدرزي، وهذا يرجحه محمد عبد الله النجار، وهو سفير لبنان في أمريكا الجنوبية، هو درزي ألف كتاب سماه (دين الدروز)، كتاب مطبوع موجود، ألفه لأن الدروز بدأوا يرحلون إلى أمريكا الجنوبية وإلى أوروبا، واستقر كثير منهم في وقت من الأوقات في إسبانيا والبرتغال، والظاهر من أجل الرحلة، يعني

استقر هو يقول: استقر كثير منهم في البرتغال والظاهر من أجل السفن التي تسافر إلى أمريكا، فصار سفيرًا قال: كثُر الدروز وصاروا يجتمعون وما يدرون كيف يصلون، ولا يعرفون دينهم، قال: فأرسلت رسائل كثيرة جدًا إلى شيوخ العقل.

الدروز يَقسِمون أتباعهم إلى قسمين: إلى شيوخ العقل والجهّال، طبعًا الدروز يُطلقون شواربهم بكثرة، فإذا رأيت الدرزي يلبس اللفة البيضاء فهذا من شيوخ العقل، ويطلقون مرات لحاهم مع شواربهم يسبلونها لا يأخذون منها كما هو السنة، فشيوخ العقل هم أصحاب اللفات البيضاء، وأما الآخرون يلبسون عادي فهؤلاء الجهّال.

فيقول محمد عبد الله النجار: أرسلت رسائل إلى شيوخ العقل، كان منهم محمد أبو شقرا، لتعرفوا أن هذا دين لا دين له ولا منهج له، هناك كتب لهم، لكن الدين يتغير ويتبدل بحسب إمامهم، أي رجل يقول هذا دينك يصدقه.

فأرسل إلى محمد عبد الله النجار رسالة قال لهم: يا جماعة نريد نعرف ديننا، كيف نصلي كيف نصوم؟ فلم يردوا عليه بأي رسالة، فأرسل لجماعته فقال: اجمعوا لي كتبًا سرية منهم، فجمعوا لهم بعض الكتب وأرسلوها إليه، فألف هذا الكتاب ونشره على أتباعه، قال لهم: هذا هو دينكم!

فغضب مال جنبلاط ودعا واحدًا اسمه سامي مكارم، وألف كتابًا مطبوعا كذلك اسمه (عقيدة الدروز) قدَّم له جنبلاط، من أجل الرد على محمد عبد الله النجار، وأرسل الدروز رجلًا إلى هذا السفير في أمريكا الجنوبية وقُتل هناك، قالوا: أنت كشفت السر، وقامت امرأة أظن اسمها "نجاح" ألفت كذلك.

طبعًا الدين الأول للدروز دين إباحي، أذكر لكم هذه القصة لتعرفوا أنه دين لا يعرفه الناس، والدي يحدثني هذا المثال يقول: مرة وأنا صغير كان لنا جار درزي، بالفعل ما تعرف دينه، كان أحيانًا يصلي الجمعة، لكن والدي يجزم أنه كان يذهب بلا وضوء، والدروز موجودون في الأردن ولهم حي في عمان إلى الآن يسمى حي الدروز وإن كانوا تشتتوا، وموجودون في الأزرق في الأردن، موجودون أيضًا في لبنان وفي سوريا.

ولما جاء وليد جنبلاط، ابن كمال جنبلاط، أراد أن يتزوج درزية من الأردن، وكان قاضي القضاة شيخ اسمه أحمد القطان، فذهب عنده من أجل أن يعقد على هذه الزوجة الدرزية قال له: إيش دينك؟ قال: درزي، فهذا سكر الملف

سكر وقال له: "اطلع برا، ما في في الدنيا غير مسلم ويهودي ونصراني، أنت يهودي روح على إسرائيل، نصراني هاي الكنيسة جنبي، مسلم ادخل عندي"، وطرده، فرجع بعد يومين تقريبًا قال له: "ضعها مسلم"!

وكذلك جنبلاط في الحقيقة له (الرسائل)، وله مؤلفات كثيرة جُمعت بعد ذلك في المؤلفات الكاملة لكمال جنبلاط يقول: "ديننا هو مزيج من كل الأديان".

وسافر كمال جنبلاط إلى الهند كثيرًا؛ لأنه يعتقد أن هذا الدين أساسه من صوفية الهند، ومَن يريد أن يعرف صوفية الهند هناك كتاب للبيروني اسمه (تحقيق ما للهند من مقال) مطبوع في كتاب كبير تعرفون منه الأديان الهندية، المهم أنه ذهب هناك وحاول أن يربط هذه الديانة بالصوفية القديمة، والصوفية كانت قبل الإسلام، هناك صوفية يهودية، وصوفية نصرانية، فذهب إلى الهند وربط هذا الدين به.

وشيخ الإسلام تكلم عن الدروز، لكن تكلم عن واقعهم وأحوالهم، وهم من أشد الناس حقدًا على المسلمين، ويتكلم عنهم أن لهم دينًا باطنيًا، لا يُصلُّون، يقول شيخ الإسلام: "غزوناهم عدة مرات لم نجد عندهم مصحفًا واحدًا، ووجدنا مساجدهم -بعض المسلمين يبني في منطقتهم مساجد- فوجدناها مربطًا ومزبلة وإسطبلًا للخيول".

حتى يقول محمد علي الزعبي الذي كتب (الماسونية في العراء) وكان صديقًا لكمال جنبلاط قال: أحيانًا يمر المار المسلم في منطقتهم في الجبل، فيؤذن، فيقولون له: "سكِّر نهيقك الآن يأتيك علفك"؛ يعني الأذان هو نهيق حمار!! فلا دين عندهم.

أُكمل لكم قصة الوالد، أنا كنت أسأله لأنهم دائمًا يقولون عن جارنا: "هذا دُرزي"، قلت له: يا والدي إيش درزي؟ قال: اسمع يا ولدي، مرة في درزي شيخ كبير، فجاء سارق سرق ابنته، فجاء فارس أخذ البنت وأنقذها وأرجعها لأبيها الدرزي، فقال له: اطلب ما تريد، فقال له: أنا أريد طلبًا واحدًا، إيش هو دين الدروز؟ فتناول السيف وفتحه كله، وقال له: يا ابني هذا دين المسلمين واضح كله، وأغلق السيف كله وقال: هذا دين الدروز، لا يظهر ولا يُعرف منه شيء.

وهم يؤمنون أيضًا بالتقمُّص وهو نفس التَّناسخ، وهو أن الأرواح لا تزيد، ولما يموت الإنسان تتجسَّد روحه في شخص آخر، ويؤوِّلون قوله -عز وجل-: {قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا * أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ}، قال: الله يقول:

قل كونوا حجارة أو حديدًا يعني الله بعد ما تموت إن كنت صالحًا فيجعلك سيدًا أو ملكًا، وإذا كنت سيئًا تصير إما خنزيرًا أو حمارًا أو كلبًا، وإما حجرًا أو حديدًا. هذا ما يسميه الدروز **التقمُّص**.

وهم يسمون أنفسهم بالموحدين، ولا يعرفون طهارة، لا يعرفون صلاة، من أخبث خلق الله، هذا دين الدرزية.

هم كذلك يسمونهم (بنو معروف)، ويفتخرون بـ"ثورة سلطان باشا الأطرش" وهو –سلطان باشا الأطرش– كان عميلًا فرنسيًا وقام بثورته خدمة للفرنسيين ضد الإنجليز، ومع ذلك يعدونه "ثورة سلطان باشا الأطرش"! وكان موعودًا من قِبلهم أن يُنشئ دولة للدروز، لكن الظاهر أنهم استكبروها عليه.

تسمعون بالمغنية "أسمهان"؟ هذه كذلك من عائلة الأطرش، والأطرش طبعًا مشهور عندكم "فريد الأطرش"، فأخته أسمهان هذه قتلتها المخابرات الألمانية، وهي ذهبت بنفسها وهذا هم يعترفون به وكل المؤرخين يذكرون أنها ذهبت هناك من أجل تمرير بعض المخططات الفرنسية ضد الألمان، فالألمان هم الذين قتلوها. فهم عملاء.

تقول نصوصهم: إذا كنت مع المسلم فأظهر الإسلام، إذا كنت مع المجوسي فأظهر المجوسية، إذا كنت مع الباطني فأظهر الباطنية، إذا كنت مع اليهودي كن يهوديًا. تعرفون أن قائد الحملة اليهودية التي دخلت لبنان ووصلت إلى مشارف بيروت، وبعد ذلك ذهبت واستقرت في الجبل عند الدروز، كان زعيمها –زعيم الجيش اليهودي– درزيا.

يخبرني أحد الإخوة ويقول: أكثر جندي في الجيش الإسرائيلي لؤمًا هو الجندي الدرزي، قلت له: كيف؟ قال: لما تقابل الجندي الإسرائيلي القادم من أوروبا الغربية يتعامل معك بشيء من القانون، يعني أين هويتك، أين كذا. قال: الدرجة الثانية إذا كان هذا اليهودي قادمًا من أوروبا الشرقية، قال: ألأم وأقذر –يعني يكون أقل احترامًا لكنه لئيم–، قال: بعده يأتي اليهودي الذي جاء من الدول العربية؛ مغربي، عراقي، يمني، أصلًا من السامرة من فلسطين، قال: هؤلاء أقذر وأقذر، قال: بعدهم من؟ قال الدرجة التي بعدها في اللؤم أو في قلة الاحترام هو العربي الذي من البدو؛ لأنهم هناك أدخلوا عربًا من البدو من بئر السبع في الجيش الإسرائيلي، وأغلب حرس الحدود منهم، وقال: وألأم خلق الله لما يأتيك واحد درزي.

فالدروز هم الآن كما ترون هم مع العرب ومع اليهود وما شابه ذلك. الحقيقة الآن الديانة الدرزية قد يقول قائل من هم الآن؟ هم عائلة أرسلان وعائلة جنبلاط.

في الحقيقة انظروا لهذه القضية الغريبة، عائلة جنبلاط كانت عبيدًا عند عائلة أرسلان، عائلة أرسلان تسمعون بها؟ التي منها شكيب أرسلان، وشكيب أرسلان رجل غامض غريب، يعني كُتبه فيها الانتصار الشديد للعربية، وفيها الانتصار الشديد للتاريخ، كتابه (حاضر العالم الاسلامي) كتاب جيد، لكن تستغرب أنه زوّج ابنته لكمال جنبلاط.

ووليد جنبلاط هذا الخبيث الآن هو حفيد شكيب أرسلان من جهة أمه، أنا مرة استغربت هذا وذكرتها للأستاذ زهير الشاويش وهو صاحب المكتب الإسلامي، وقلت له: أنت في لبنان فما هي الحال؟ قال: أنا أعرف الأم وهي صديقة لي، قال: هي من العابدات وهي على طريقة سنية، وهي بنت شكيب أرسلان، غريب!

فالحقيقة هو دين غريب جدًا، وباطل في داخله، ولكن يحتمل مثل هذه الأمور.

الغريب كما قلت لكم أن عائلة أرسلان كانت هي السيدة والمالكة لعائلة جنبلاط، لكن عائلة جنبلاط كانت درزية فبسبب أنهم أثَّروا على أسيادهم بأن دانوا لهم فصار الحكم لجنبلاط، والآن صراع ما بين وليد جنبلاط وما بين بعض أحفاد أرسلان، يطلبون الآن الزعامة، وبينهم انفصال.

فهذا الدين الدرزي، اقرؤوا أخباره من كتب شيخ الإسلام، هم أخبث خلق الله، وأخباره من المعاصرين أنهم من أخبث خلق الله -عز وجل- سيرة وتصورًا وسلوكًا، ولا يَرقُبون في مؤمن إلًا ولا ذمة.

إذًا دينهم يقوم على الاعتقاد بنفي الإله، نفي مطلق، ويزعمون أنه التوحيد، العبادات ممكن يأذن لهم، مثلًا كمال جنبلاط قال لهم: لا بد أن نصلي قليلًا، وأظهر لهم القرآن، المصحف المنفرد أنا رأيته كتبه كمال جنبلاط وتَرَّبه – وضعه في التراب مدة- وأظهره وقال هذا هو؛ لأن في كتب الحكمة عندهم -وهي عندي مصوَّرة-، منها يوجد كتاب للدروز اسمه (المصحف المنفرد)، وكان مفقودًا، فصنعه كمال جنبلاط من أثر هذه اللعبة، ومحمد علي الزعبي أظهر كتابًا عن الدروز، ولم يكتب اسمه عليه، وهو كتاب موجود مصوَّر وتداولته الأيدي -موجود عندي-.

هل عندهم قيامة؟ لا، ليس عندهم قيامة، يقولون ما دامت الأرواح تتقمَّص فعذابها يقع في الدنيا، ونعيمها يقع في الدنيا. وعندهم أن الإله يَتَأنَّس كل سبعة أدوار؛ يعني الله يصبح بصفة إنسان، فكان تأنُّسه الأول عندهم في الأنبياء، ثم محمد، ثم في الحاكم بأمر الله الفاطمي، وكانوا ينتظرون أن يتأنس إلههم في وقت من الأوقات.. واعتقد كمال جنبلاط يومًا من الأيام أن الإله هو جمال عبد الناصر!

وهذا تقرؤونه في كتاب لكاتب فرنسي اسمه (جمال عبد الناصر من حصار الفالوجة إلى الاستقالة المستحيلة)، وقد قدّم له كمال جنبلاط مقدمة كبيرة جدًا، في مقدمته في الصفحة الأولى والسطور الأولى يقول أنه لما جلس مع جمال عبد الناصر رأى فيه السيد الأول الذي يعتقد به دخول السر الإلهي، وهذه إشارة إلى اعتقاده أن جمال الدين هو الإله.

وذلك لما صار الاتحاد بين مصر وسوريا، لأن هناك نصًا موجود في كتاب (الحكمة)، كان في رسالة منسوبة لعبد الكريم الجيلي: "إذا دخلت الجيم في العين –جمال عبد الناصر– فانتظر تأنُّس الإله"، أو ما شابه ذلك، فكانوا ينتظرون عند الاتحاد بين مصر وسوريا أن يجعلهم هم الأسياد؛ لأن نصوصهم تقول عندما ينزل الإله يتأنس، يُقرِّب إليه عُقَّال الدروز، ويجعل الناس خدمًا للعقّال، ويجعل الجهلة خدمًا للخدم.

ولذلك صار في سوريا في ذلك الوقت أزمة الشَّاش الأبيض؛ لأن كل الدروز اشتروا الشاش من أجل أن يصيروا من العُقَّال! لكن جمال عبد الناصر خيّب ظنهم، وما أعطاهم المملكة!

فهؤلاء الدروز وهم من الزنادقة الذين لا تُقبل توبتهم.

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

12

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلله فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلوات ربي وسلامه عليه، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى صحبه الغر الميامين، الذين نصروا هذا الدين ورفعوا منارته، وعلى من تبعهم بإحسان وهدى إلى يوم الدين، جعلنا الله -عزَّ وجلَّ- وإياكم منهم، آمين.

الشيعة الاثنا عشرية

نتابع الحديث عن هذه الفرقة التي زعمت موالاة لأهل البيت، وهي التي يُقال لها (**الشيعة**):

قلنا أن جعفر الصادق افترقت عنه **الإسماعيلية** وانتهينا منها، وافترقت فرقًا كما رأيتم. افترق بعضهم وقال: الإمامة في إسماعيل وإسماعيل لم يمت، وقال بعضهم: بل مات، وانتقلت لمحمد بن إسماعيل. فانتقلت الإسماعيلية إلى مذاهب. القرمطية كيف قاتلت العبيدية في مصر، وكيف بعد ذلك آلت الإسماعيلية إلى مذهبين: إلى **المستعليَّة** نسبة للمستعلي بالله بن المستنصر، وإلى **النزارية** نسبة إلى ابنه الآخر نزار. وقلنا إن الأسماء المعاصرة لهاتين الفرقتين: **البُهَرَة** وهي المستعلية، **والآغاخانية** وهي النزارية.

الآن نرجع إلى الفرقة **المُوسويَّة**، الفرقة الموسوية هي التي يُقال لها **الإمامية** أو **الاثنا عشرية**؛ لأنهم يرون أن الأئمة اثنا عشر.

ومن الأسفل يقولون: هناك إمام اسمه محمد بن الحسن الذي يُقال له (العسكري)، وقلت لكم: العسكري نسبة لمدينة العَسْكَر (سامراء)، وسُميت مدينة العسكر لأنها بُنيت لعسكر الروم إبعادًا لهم عن بغداد عندما كثُر فسادهم، وسميت لجمالها (سُرَّ مَن رأى) أو (سامراء).

فهذا الإمام الثاني عشر عندهم يُسمى محمد، ووالده يُسمى الحسن، والحسن بن علي، وعلي بن محمد الجواد، إذًا محمد بن الحسن بن علي بن محمد الجواد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن الحسن بن

علي. فيكون الحسين بن علي ويبقى الحسن الذي يقولون هو (المُستَقَر)، و(المُستودَع) هو الحسين. فهو الذي يُودعها لأبنائه، فها هم اثنا عشر إمامًا. فيُسمَّون **بالاثني عشرية** لقولهم بهذا.

ويُقال لهم **الموسوية** نسبة لموسى تفريقًا عن الإسماعيلية. ويُقال لهم **الجعفريَّة** نسبة لأصل مذهبهم الذي ينتسبون له وهو جعفر بن محمد الصادق. ويُقال لهم **الرافضة**، لرفضهم إمامة زيد بن علي، لا يقولون بإمامته لترضِّيه عن الشيخين الجليلين أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب الفاروق –رضي الله تعالى عنهما–. فهذه الأسماء المنتشرة لهم.

للذِّكر، لو سأل سائل: هذه الفرق الشيعية ما قولهم مثلًا في الأسماء والصفات؟ فهم ليسوا على مذهب واحد؛ فالزيدية على مذهب المعتزلة، ولذلك المحققون والمؤرخون اليوم يقولون عن الزيدية الذين يُقيمون في اليمن: معتزلة اليمن، فهم معتزلة في العقائد، وقدرية في باب القدر ضد الجبرية.

الشيعة الاثنا عشرية كان لهم إمام تُنسب إليه فرقة من فرقهم اسمها **الهِشاميَّة**، وهذا الإمام اسمه هشام بن الحكم، وكان مجسِّمًا يقول: "إن الله جسم بشري ولحيته طويلة تصل إلى سرته ويجلس على العرش كما يجلس الملك الفلاني"، وهذا قولهم حتى جاء شيخهم يُسمى الشيخ المفيد في القرن الخامس الهجري، وقلب مذهبهم من المجسمة إلى المعتزلة. فهم في القدر قدريَّة، وفي الأسماء والصفات على مذهب الجهميَّة في النفي على طريقة المعتزلة، لكنهم في الأول كانوا مجسمة.

فلذلك نحن لا نتكلم عنهم الآن في هذه الأبواب، لا في أبواب الإلهيات ولا في أبواب القضاء والقدر، فكل واحدة عندها دين وفيها مذهب.

يقول هؤلاء أنهم ينتسبون لجعفر ومذهبهم يمت إليه، ويقولون هم أن النبي ﷺ قال: (يا أيُّها النَّاسُ إنِّي ترَكْتُ فيكُم مَن ما إن أخَذتُمْ بِهِ لن تَضلُّوا: كتابَ اللَّهِ، وعِترتي أَهْلَ بَيتي)[69]، يقولون هذا ثابت حتى عند أهل السنة.

ويقولون إذًا لا بد أن يكون الانتماء لا إلى الشافعي ولا إلى أحمد كما يزعم أهل السنة، يُقال لك أنت ما مذهبك؟ يُقال شافعي، ويُقال حنبلي. ولكنهم يقولون نحن يمُتُّ مذهبنا إلى آل البيت، والنبي ﷺ قال: (ترَكْتُ فيكُم مَن ما إن

[69] صححهُ الألباني في صحيح الترمذي: (3786).

أخَذتُمْ بِهِ لن تَضلُّوا: كتابَ اللَّهِ، وعِترتي أَهْلَ بَيتي). طبعًا هذا قوله ﷺ، وقوله الآخر: (تركتُ فيكم شيئَينِ، لن تضِلوا بعدهما: كتابَ اللهِ، و سُنَّتي)[70]، والحديث كذلك صحيح لم يضعفه أحد من الأئمة.

فما هو الرد على هذا؟

أولًا: حتى نترك هذه المسألة الفقهية –وهي مهمة– لا بد أن نُبيّن دينهم، من أين يَسْتَقُونه؟ هل يأخذونه حقيقة من أهل البيت؟ يعني هل الشيعة الروافض الإثنا عشرية الإمامية يأخذون مذهبهم من أهل البيت؟ لا، والدليل أنه لا يجوز عندهم تقليد الميت، لا يجوز عندهم القياس.

لماذا لا يجوز عندهم القياس؟ لوجود الإمام المعصوم الذي له أن يقول في دين الله ولا يخطئ، فإذا كان الإمام موجودًا فما هي ضرورة القياس؟ والقياس إنما يُصار إليه عند غياب النص، والنص موجود بوجود الإمام المعصوم.

وهم يقولون لا يجوز تقليد الميت، طيب ذهب الإمام عندكم أو غاب في سامراء، (الغَيْبَة الصغرى) حتى سنة 225، وبعد 225 للهجرة غاب (الغيبة الكبرى) وإلى الآن لم يسمع بخبره أحد! فمن نُقلِّد ما دام الإمام المعصوم ذهب؟ فأتوا بنظريات متعدِّدة؛ بعضهم –وهو مذهب قديم– قال بولاية الفقيه، الذي أحياها ورتَّبها لهم الخميني، وأخرجها بصيغة جديدة، قال: لا بد من وجود فقيه وإن لم يمُت إلى آل البيت بصِلة، وهو يقوم مقام الإمام المعصوم، طيب؛ هل هذا معصوم؟ يقولون: لا ليس معصومًا، طيب كيف تقول بقوله؟!

ثانيًا: لا بد لكل شيعي من وجود مرجع، وهناك مرجع كبير يكون لهم، طيب هل هو من أهل البيت؟ قالوا: لا، وهو يقول بأقوال من عنده، وقد تكون متناقضظة، هذا يقول بقول وذاك يقول بقول، فمن هو آل البيت الذي أمرنا رسول الله باتباعه؟ هو رجل غائب لا وجود له منذ ألف ومائتي سنة تقريبًا.

فكيف نطبق الحديث على قاعدتهم؟ !كيف نطبق (عليكم بكتاب الله وعترتي)، أين العترة؟ من أين نأتي بها؟ فعلى طريقتهم لا يمكن إعمال الحديث.

---

[70] **صححهُ الألباني في صحيح الجامع: (2937).**

أما أهل السنة فالحديث عندهم بيِّن. مع أن هذا الحديث تكلَّم عليه بعض أهل العلم والدكتور محمد علي السالوس ألف جزءًا حديثيًا في تضعيفه، والحقيقة له ألفاظ أخرى وهو: (اتقوا الله في أهل بيتي)[71]، وهذا اللفظ أصوب، حتى لو كان ذاك اللفظ صحيحًا وصائبًا وقاله رسول الله ﷺ فحينئذ مَنْ المُقدَّم العترة أم السنة؟ السنة؛ لأنها هي التي دلتنا على العترة. فإذا خالفت السنة العترة فمن المقدم؟ السنة، لأن السنة هي المعصومة، والعترة غير معصومة. وهذا كقوله -عزَّ وجلَّ-: {أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ}، طيب إذا جاء أولو الأمر بقول يخالف ما قاله الله وما قاله رسوله، بمن نأخذ هل بقول أولي الأمر؟! فهذا هو.

إذًا نحن نتبع الكتاب وما جاء به من أدلة كقوله -عزَّ وجلَّ-: {وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ} ما هي الحكمة هنا؟ السنة، {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ} الرسول في حياته، وبعد مماته ما هي؟ السنة، فإذًا نحن مأمورون باتباع الكتاب وما جاء به من أدلة، وأن نتبع آل البيت فإذا خالفوا نتبع السنة.

يعني فاطمة -رضي الله تعالى عنها- وهي من آل البيت طالبت بميراثها مما ترك النبي ﷺ من الغنائم التي غنمها من اليهود في خيبر، فلم يُعطِها أبو بكر، وهو المُصيب لقوله ﷺ: (لا نورَثُ، ما تركْناهُ صدقةٌ)، نعم هي غضبت ولم يكن الحق معها، ولكنها متأوِّلة -رضي الله تعالى عنها-.

والميراث ليس مختصًا بفاطمة، كذلك يرثه أزواجه، الأزواج لهن الثُّمن، وكذلك عمه العباس موجود، فليس الميراث فقط لفاطمة كما يتصور الشيعة، وكأن أبا بكر ظلم المرأة، هل أخذها لجيبه؟ جعلها صدقة للمسلمين، ولما مات لم يوجد في ميراثه إلا ثلاثة دراهم، ولو كان يريد شيئًا لحابى ابنته، لأعطى الميراث لعائشة ابنته زوج النبي ﷺ.

فالقصد؛ هذا الحديث لا بد من وضعه ضمن الأحاديث والآيات الأخرى كما هو بيِّن. لكن المسألة ليست هنا، بعض الناس يُصوِّر أن الخلاف بيننا وبين الروافض هو خلاف فقهي؛ نحن نقول بالمذهب الحنفي أو المذهب المالكي وهم يقولون بمذهب جعفر الصادق. وهذا كذب وغير صحيح، المسألة هي أعمق من ذلك، المسألة تتعلق بالاعتقاد.

---

[71] صحيح مسلم: (2408).

أنتم تقولون أقوالًا اعتقادية تخالف ما أجمع عليه المسلمون، أنتم تقولون أن النبي ﷺ أوصى لعلي، تقولون إن الوصية له، والصحابة -رضي الله تعالى عنهم- قد ظلموا عليًا حقه وأخفوا الوصية وكذبوا، بل إن دين الروافض اليوم: "إن ما كان غلوًا عند أئمتنا هو من ضروريات مذهبنا".

محمد بن الحسن العسكري هذا لا وجود له، هناك رجل اسمه جعفر الكاذب عند الشيعة، الشيعة يسمونه جعفر الكاذب تمييزًا له عن جعفر الصادق وهو شقيق الحسن العسكري، لما مات الحسن العسكري رفضوا توزيع ميراثه، لم يُعقِّب ولدًا، ليس عنده بنت ولا ولد، ورفضوا أن يوزِّعوا ميراثه حتى تمضي تسعة شهور، حتى إذا كانت إحدى إمائه أو نسائه حاملًا فتضع، مضت التسعة شهور ومضى العام ولم تلد امرأة، فلذلك مات ولا عقب له.

وزعم الشيعة أن له ولدًا قد أُخذ به إلى سرداب في سامراء ودخلوا هناك مخافة أن يُقتل، بالرغم من أن الحسن العسكري نعم كان متخفيًا من العباسيين مخافة أن يُقتل، ولكن عمه أحضر عشرين شهادة من النساء ومن الجيران أن الحسن مات ولم يعقب، ولذلك الشيعة يسمونه (جعفر الكاذب). فمحمد لا وجود له.

يعني الآن هو في سرداب في سامراء؟! وهم لا يحتجّون إلا بقاعدة اللطف. طبعًا الأخبار كلها الشيعة يرفضونها، حتى كبار المحققين من الشيعة يقولون: الإخبار بوجود واحد اسمه محمد هذا لا وجود له. ما هو دليلكم على وجوده؟ قالوا: (قاعدة اللُّطف)؛ على أساس أن الله -عزَّ وجلَّ- ما كان له أن يُخلي الأرض من إمام. وهي قاعدة قدرية تُوجِب على الله أن يفعل شيئًا.

أما الأخبار فحتى الشيعة ردوا عليها، وحتى المعاصرين منهم مثل الآن أحمد الكاتب -واسمه مستعار- هذا ألَّف في ذلك رسالة وردَّ على جميع مرويات الشيعة، وأحضر أسماء المشايخ وأئمة الشيعة الذين أنكروا الأخبار التاريخية بوجود رجل اسمه محمد. إذًا هي فقط قاعدة اللطف.

الأمر الآخر: أنتم تقولون بعصمة الأئمة وكتبكم وكتاب (الكافي) للكُلَيْني لم يكن مشهورًا، ولذلك شيخ الإسلام ابن تيمية لم يذكره على كثرة توسعه لذكره في كتب الشيعة الروافض وما لهم من دين، ولكن لم يذكر هذا الكتاب، فربما كان سرّيًا، لكنه ظهر متأخرًا وهو موجود ومُشتهِر بين أيدي الناس، وهم يعدُّونه من الكتب الأربعة الموجودة والتي مدار مذهب الشيعة عليها.

أنتم تجعلون الأئمة معصومين، وعِصمتهم مطلقة، وتجعلون لهم القدرة الكونية على صنع كل شيء، لهم القدرة على فعل كل شيء ولا يعجزهم شيء، فهم لهم السمع المطلق والقدرة المطلقة والبصر المطلق والحضور المطلق. فهذه صفات الرب، وهذه لا تُطلق إلا على الله -عزَّ وجلَّ-، ولذلك هم يرون حلول الإلهية في أئمتهم.

طبعًا أنتم سمعتم الكثير عن الشيعة، ولا أريد أن أتوسَّع، وبسبب الثورة الإيرانية التي أعلنها الخميني، وبسبب أن الدول خافت منها لا من جهة تديُّنها ولكن من جهة السياسة؛ لتبنيهم ما يُقال له ب(تصدير الثورة) فخافوا، ولذلك سمحوا بل نشطوا ودعموا وأعطوا الأموال للكثير من أجل أن يتكلم عن الشيعة. ولكن الكلام عن الشيعة أقدم من هذا بلا شك.

فالمشايخ تكلموا عنها، وخاصة عندما قام القُمِّي بموضوع ما يُسمى (تقارب المذاهب)، وذهب إلى مصر وأنشأ هناك دارًا للتقريب بين المذاهب، وانخدع فيها بعض الصالحين وبعض الخيار، حتى حسن البنا انخدع بها -عليه رحمة الله-، وانخدع بها في بداية الأمر مصطفى السباعي، وانخدع بها شيخ الأزهر حتى أفتى شلتوت بأن المذهب الإثنا عشري يجوز التعبُّد به كما يجوز التعبد بالمذهب الشافعي. وهذا كلام باطل وغير صحيح ولا يجوز، ولكنهم خدعوه.

ولكن بعضهم كشف هذا الخداع ومنهم الشيخ مصطفى السباعي -عليه رحمة الله- في كتابه (السنة)، فكانت هناك جهود لكشف التشيع وكشف باطله، ولكن كان الكشف أكثر بعد الثورة الإيرانية.

كثير من المناطق -كالمغرب العربي وإفريقيا والمغرب الإسلامي وجنوب شرق آسيا- كانوا لا يعرفون عن التشيُّع حتى جاءت الثورة. أما بعض البلاد التي يوجد فيها الشيعة يعرفونهم -معرفة قليلة-.

القصد أن هذا المذهب باطل.

والعلماء لم يكفروا الإمامية، وجدوا أن الخلاف معهم كالخلاف مع المعتزلة فهم يقولون بالقدرية، وكالخلاف مع الجهمية، بالرغم أن الجهمية تقَّلدهم خمسون عالـمًا من أئمة الإسلام كما ذكر ابن القيم في (الكافية الشافية) أو التي يُقال لها (النونية).

لكن لماذا الآن مذهبهم لا يمكن للمرء أن يتوقَّف في تكفير من قال به؟ كقولهم في عصمة الأئمة وكقولهم بتحريف القرآن وكقولهم بتكفير الصحابة كلهم سوى ثلاثة: عمار بن يسار، المقداد بن الأسود، أبي ذر الغفاري، لماذا؟

السبب أن الشيعة الروافض الاثني عشرية دينهم الآن هو دين النُّصيرية، ودخل عليهم الغلو الموجود عند النُّصيرية. لما قام إسماعيل الصَّفَوي، وهو الذي كوَّن الدولة الصفوية في إيران، وهو حفيد صفي الدين الأردبيلي. وصفي الدين الأردبيلي رجل صوفي له طريقة اسمها (الطريقة المُشَعْشِعيَّة) كانت تظهر على يديه بعض الخوارق السحرية، فيسمي أتباعه هذه المخرقات بالمشعشعية، فسُميت بالطريقة المشعشعية، وبعضهم يقول الطريقة الصفوية، وهو رجل صوفي، وهو أستاذ تيمور لنك الأعرج. وتيمور لنك كان شيعيًا، ولابن عربشاه كتاب عن خبر تيمور لنك، كتاب قيم جدًا اسمه (عجائب المقدور في أخبار تيمور).

ابن عربشاه يذكر فيه خبرًا قيمًا وهو أن تيمور لنك كان شيعيًا. الشيعة ينكرون هذا لكنه كان شيعيًا، بل تيمور لنك لما دخل بلاد الشام أباد كل أهل دمشق، ودخل قلعة دمشق، فقتل كل من فيها وأبقى فقط الأطفال. وفعل هذا تعرفون لماذا؟ انتقامًا لمقتل الحسين؛ لأن أهل الشام قتلوا الحسين في كربلاء فقتلهم من باب التشيع. ولا بد أن تعرفوا أن الشيعة وهذه المذاهب لا تحب أهل السنة، بل إن أعدى أعداء أصحاب هذه المذاهب هم أهل السنة.

وهناك كتاب لمصطفى الشبيبي اسمه (الصِّلة بين التصوف والتشيع)، هذا كتاب قيم ومهم -وفيه أغلاط-، وصاحبه شيعي في الحقيقة، لكنه كتاب جيد يبين الصلة بين الصوفية وبين التشيع.

لما مر تيمور لنك على أردبيل قابل صفي الدين الأردبيلي وأعجبته الطريقة وكان صوفيًا شيعيًا، فبايعه على الطريقة الصوفية، ومن محبته للشيخ صفي الدين الأردبيلي أقطعه كل منطقة أردبيل، وبقيت جماعته تنمو وتكبر حتى جاء حفيده إسماعيل الصفوي وأنشأ الدولة الصفوية التي حكمت بلاد إيران وبلاد فارس، وبدأ بالحديد والنار والسَّحق وقتل أهل السنة.

أصفهان كانت حاضرة من حواضر الإسلام، كان بعض أهل الحديث إذا أراد أن يذهب إلى بغداد -وبغداد كانت أم الدنيا في ذلك الوقت بعلمائها-، كان في ذلك الوقت إذا أراد الرجل أن يرحل من أصفهان يقال له: العلماء عندك لماذا ترحل وتذهب إلى بغداد؟ وذلك لكثرة ما فيها من علماء.

وقد ألف اثنان من العلماء كتبًا جامعة لمن دخل في أصفهان وهو كتاب (تاريخ أصفهان) لأبي الشيخ بن حيّان، وتُنطق حِيّان، وهو صاحب كتاب (العظمة) وله كتاب اسمه (أخلاق النبي) كلها في الأحاديث المسندة وهو من الكتب الأصلية. ألف كتابًا اسمه (تاريخ أصفهان) وهو مطبوع في عدة مجلدات حققه عبد الغفور البلوشي مطبوع

بمؤسسة الرسالة، وهناك كتاب اسمه (تاريخ أصفهان) لأبي نُعيم الأصفهاني صاحب (الحلية)، وهو مطبوع في مجلدين في ألمانيا قديمًا. فهي حاضرة من حواضر الإسلام كانت في بلاد فارس وخرج منها العلماء.

ومع ذلك سحق أهل السنة، إن لم تتشيَّع تُقتل. هذا هو إسماعيل الصفوي حفيد صفي الدين الأردبيلي شيخ الصوفية الذي أقطعه تيمور لنك منطقة أردبيل.

والدولة الصفوية كانت من أقذر الدول في تاريخ الإسلام، وهي دولة باطنية خبيثة، حتى الشيعة الآن يتبرؤون منها مثل موسى الموسوي، وهذا دكتور ينتهي نسبه لأبي الحسن الأصفهاني وهو أحد مراجع الشيعة الكبار، والرجل فيه صدق، هو بقي يقول أنا شيعي لكن في الحقيقة نقض كل الشيعة، وأستطيع أن أقول إنه صار سنيًا أكثر من بعض أهل السنة، ومات رحمه الله، كان يعيش في أمريكا وله الإجازة العالية من المراجع الشيعية، وأُعطي الإجازة بالمرجعية من قُم، جده اسمه أبو الحسن الأصفهاني، يقول هو: "إن الشيعة أنفسهم قد قتلوه؛ لأنه كان متنورًا ويريد أن يخرج التشيُّع من التشيع الصَّفَوي إلى التشيع العَلَويّ".

إذًا بعضهم يفرق بين التشيع الصفوي –وهو الغالب الآن على الشيعة في العالم–، قال: من التشيع الصفوي أي البِدعيّ الضال إلى التشيع العلوي.

الحقيقة موسى الموسوي له كتابان جيّدان؛ كتاب في الاعتقاد والعبادات يعني في المسائل العلمية، وكتاب في الأخبار، الكتاب الأول وهو (الشيعة والتصحيح)، كتاب جيّد ذكر فيه جميع مبادئ الشيعة التي يُخالف الشيعة فيها أهل السنة ونصر أقوال أهل السنة. وحتى في موضوع الالتجاء للقبور والاستغاثة هو أفضل من بعض من انتسب لأهل السنة مثل **الغُماريَّة** وغيرهم الذين يقولون بسنية الالتجاء ودعاء أصحاب المقابر. أقول اقرؤوا كتابه هذا فهو جيد، والكتاب هذا انتشر كثيرًا في الحقيقة.

الكتاب الثاني وهذا كتاب جيد واسمه (الثورة البائسة)، تحدث عن الثورة الخُمينية ومفاسدها إلى آخره، وهو كان في العلم أعلى مرجعًا من الخميني ولكنه خالف الخميني، ووُضع في بداية الأمر في مجلس الشورى، ثم هرب ورجع وكان يُدرّس في أمريكا ومعه شهادة دكتوراة من الجامعات الأمريكية ومات هناك. وله كتاب صغير جيد اسمه (يا شيعة العالم استيقظوا)، ألَّفه بعد موت الخميني، وهو رسالة صغيرة وجميلة جدًا اقرأوها فهي تبيّن كم هذه الشعوب مخدوعة، ويا له من ببغاء عقله في أذنيه، يعني كيف الأمة تصفق لجلاديها وتبكي لقاتليها!

كنت أتصور أنه لما يموت –يفطس– الملك حسين سوف يبصق عليه الناس، لكن بعض الناس خرجوا وبكوا. فهو يذكر هذا، وهكذا كذلك في المغرب، الأصل أن يسجدوا لله شكرا، فالرجل أفقرهم وسبَّهم ولعنهم وعبَّدهم وجعلهم يسجدون له، ولما مات يبكون عليه! عجيبة الأمة! يا له من ببغاء عقله في أذنيه!

وهو يذكر قصة عجيبة له، وقد أخذها من بعض ترجمات المخطوطات المصرية القديمة:

أن هناك حاكمًا ملكًا كان ظالمًا جائرًا، وعذَّب رجلًا حكيمًا أخذه وعذبه ووضعه في السجن وقطَّع له يديه وقطَّع له رجليه ورماه، قال: فلما مات هذا الحاكم، قال: لما مات الحاكم خرجت جموع المصريين تبكيه، قال: ولكني التفت بين الجموع فوجدت هذا الذي قطع يديه ورجليه يبكي مع الباكين، فجئت إليه قلت له: ما بقي غير أنت؟ قال: والله لقد كنت له ظالمًا!

الحقيقة كما قال سلفنا: "الناس كأسراب الطير يتبع بعضهم بعضًا"، واحد يبكي والباقي يبكون مثله.

وهناك قصة حدثت بين الشيخ علي الطنطاوي ومحمد المبارك، يحكيها الشيخ محمد المبارك –رحمهما الله–، فلهما الجهود الطيبة في خدمة الدين مع هِنَات خاصة في محمد المبارك ولكنه رجل قام في وقت جيد بخدمة الإسلام، وله كتب طيبة في الحقيقة، وهما سوريان، طبعًا الطنطاوي أصله من طنطا (مصري)، أبوه من طنطا ورحل إلى دمشق، وولد في دمشق –عليه رحمة الله– تُوفي وقد بلغ أكثر من تسعين سنة. فيقول:

خرجت مظاهرة ذاهبة إلى مجلس الشعب السوري تُندِّد –أيام زمان لما كان الناس يُؤذَن لهم أن يخرجوا مظاهرات، أما اليوم فما في مظاهرات، خرجت مظاهرات ضد عرفات عشرين واحدًا قتلوا خمسة وعشرين!–. خرجت المظاهرة فقال الشيخ علي الطنطاوي، وكان خطيبًا وهو قد درس في جامعة دمشق ودرس القضاة والمحاماة، وكانت الجامعة تدرِّس الجوانب الشرعية بكثرة، ثم ذهب درَّس في دار العلوم وكان شيخًا أديبًا، لكنه ضاع بين المشيخة والأدب، هو يقول: "أنا ضعت لا قَبِلني أهل الأدب ولا قبلني الشيوخ!"، وكان خطيبًا مفوَّهًا الحقيقة. فقال الشيخ علي الطنطاوي: أين يذهب هؤلاء؟ قال له محمد المبارك: ذاهبون إلى مجلس الشعب، فقال له: ما رأيك آخذهم إلى المكان الفلاني؟

يعني هم ذاهبون إلى مجلس الشعب (البرلمان) فهو قال له: إيش رأيك أُخرجهم إلى منطقة ثانية ولا أجعلهم يذهبون إلى مجلس الشعب؟ قال له: وين تقدر؟ فقال له: "مائة ورقة"، يعني مائة ورقة نتراهن أنا وإياك، قال له جيد.

فدخل علي الطنطاوي بينهم وصار يهتف مثلهم، فرأوا أن الشيخ معهم، ثم غيَّر الهتاف فصار الهتاف إلى ما يُريد. والناس يمشون! ثم صعد فوق دِكَّة عالية في الشارع، ثم قال: "هلموا إليّ أيها الناس"، فجلسوا أمامه فخطب فيهم لمدة عشر دقائق، وقال لهم بعد ذلك: "والآن أيها الناس هيا إلى المكان الفلاني" غير مجلس الشعب، فمشوا إلى المكان، ونزل وقال لمحمد المبارك: "هات المائة ورقة"!

جمال عبد الناصر لو كانت الأمة تعقل لرمته بالنِّعال، لما أعلن استقالته الحقيقة بعضهم يقول هناك مسرحية لكن المهم خرج الناس له، فالأمة مُستَغفَلة ومُستضعَفة.

نرجع إلى كتاب (يا شيعة العالم استيقظوا)، قال: الخميني جنَّنهم وعبَّدهم وجعل الشعب الإيراني يعبدونه، ورغم ذلك لما مات خرجوا حتى من شدّة السُّعار ومن شدة الهستيريا الجماعية والبعض يسميها (سيكولوجية الجماهير)، هجموا على الكفن حتى بانت عورة الرجل. وهذا من كراماته —كما يقولون-!

فالقصد أن مثل موسى الموسوي يريد أن يفرّق بين التشيع العلوي وبين التشيع الصفوي، فهم يتبرَّؤون منها لأمرين:

الأمر الأول: لأنهم يزعمون أن الصفوية أحدثت دينًا كما أحدث العُبيديون دينًا للصوفية في مصر، فغيروا كثيرًا من التشيُّع وأدخلوا في التشيع البدع وحرّفوه.

السبب الثاني: كثرة القتل. الحقيقة أن المجازر التي صنعها الشيعة وعلى رأسهم علماؤهم في قتل المخالفين من أهل السنة كانت إبادة، ولذلك عندما تنظرون لإيران فإن أهل السنة لا وجود لهم في الوسط، هربوا إلى الأطراف، سحقوهم سحقًا.

أعود وأقول كيف تحول التشيع بما فيه من غلو وانحراف –لكن ليس إلى درجة هذا الغلو والانحراف الموجود– لما غلب إسماعيل الصفوي –وطبعًا إسماعيل الصفوي حول إيران إلى شيعة. ومناطق شمال أفغانستان التي يُقال لها خُراسان، منطقة بَلْخ ومنطقة طَالِقان، هذه المناطق كان أهلها يتكلمون العربية، وبعض إخواننا أخبرني أن هناك بعض القبائل لا زالت تتكلم العربية، فمن الذي حولهم ومنعهم من العربية؟ هو تيمور لنك، أصدر فرمانًا كل من يتكلم العربية سيُقتل، وأجبرهم على الكتابة بالفارسية فتغيَّر دينهم.

إسماعيل الصفوي لما أجبر الناس على التشيع؛ بحث عن علماء شيعة يعلمون الناس ويجبرونهم على التشيع، لم يستطع أن يُوجد علماء بكثرة الناس لتعليم التشيع، فأرسل إلى **النُّصيريين** -الذين سُموا بعد ذلك كذبًا مِن قِبل الفرنسيين **بالعَلويين**-، أرسل إلى النصيريين يطلب منهم علماءً من أجل أن يعلّموا الناس الشيعة، فأتى النصيريون من بلاد الشام ودخلوا إيران وعلموا الناس الدين النصيري تحت باب التشيع، ولذلك قال: ما كان غلوًا عند أئمتنا هو الآن من ضروريات مذهبنا، لأن الأئمة الأوائل كانوا يكفرون النصيرية.

وتاريخيًا هناك كتب تستطيعون قراءتها، هناك كتب شيخ الإسلام وهي من أفضل الكتب مثل (منهاج السنة)، وهناك كتاب لناصر القفاري وهو من أفضل الكتب في ثلاثة مجلدات اسمه (أصول الشيعة الاثنا عشرية)، هناك كتاب جيد -طبعًا يقرؤه طالب العلم- وهو (أصل التشيع) للصَّدْر من أئمتهم، حتى تعرف مذهبهم وما هي الأدلة. والكتب كثيرة في الرد عليهم وفي واقعهم، هذا بالنسبة إلى الشيعة الإمامية الاثنا عشرية.

لو قلنا ما هو حكمهم؟ طبعًا هم أظهروا خلاف كتاب الله -عزَّ وجلَّ- وأظهروا خلاف السنة، فبعضهم يكفّرهم...

وأول من أظهر أن القرآن الذي عندهم مُحرَّف هو محمود شكري الألوسي، يعني أن من أظهر هذا ليس معاصرًا، محمود شكري الألوسي في ترجمته لـ(التحفة الاثنا عشرية) وفي اختصاره وتهذيبها لمحمود شكري الألوسي، وهو حفيد شهاب الدين الألوسي صاحب التفسير الذي يُقال له: (تفسير الألوسي).

ومحمود شكري علامة العراق والشيعة حوله، فأظهر صورة مصوَّرة لسورة الولاية عندهم التي تقول بتحريف القرآن.

كان الأئمة القدماء لا يكفرون الرافضة كما لا يكفرون الزيدية. يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب: "إن من يعرف هذه المذاهب بقولهم بتكفير كل الصحابة سوى ثلاثة -أبي ذر وعمار بن يسار والمقداد بن الأسود وبعضهم يقول أربعة-. قال: لمن يطلع على هذه الاعتقادات من تكفيرهم للصحابة وقولهم بتحريف القرآن ونسبة البداء إلى الله صراحة كما هو قول السبئية القدماء ومن قولهم بعصمة الأئمة وربوبيتهم على الخلق، قال: من شكَّ في كفر هؤلاء فهو كافر".

لكن المسألة تبقى هل يمكن أن يوجد شيعة روافض لا يعرفون هذه الأمور؟ نعم موجود، كثير من العوام قد لا يعرفون هذا، وبعض أهل السنة لا يعرفون دينهم، أما من عرف هذه المذاهب وانتسب إليها فهو كافر، ولذلك قال شيخ الإسلام: "أئمتهم زنادقة، وجُهَّالهم من أهل البدع فيُعلَّموا ويُعرَّفوا".

هذا بالنسبة إلى الشيعة الاثني عشرية.

النُّصيرية

والشيعة الاثنا عشرية انقسم منها شق وهو **النُّصيرية**، محمد بن نُصير النُّميري كان من موالي جعفر الصادق، دخل عليه فتى من جماعة جعفر فوجد فتى يلوط به، قال: ماذا تصنع؟ قال: هذا من باب التواضع وترك الكِبر.

النصيرية يرون أن الإلهية حلَّت في علي، وانقسموا قسمين: بعضهم يقول: علي تجلَّى في القمر، وبعضهم يقول: علي تجلَّى في الشمس. هذا خلاف فقهي يسير بين النصيرية. ينتسبون إلى محمد بن نصير النميري. وهم على دين الإباحية، ليس عندهم شرع، ليس عندهم دين، وليس عندهم شرع يتديَّنون به، وليس عندهم فقه، ولا علم، ولا علماء.

ويرون أن عليًا هو الإله، وإذا سمعوا صوت الرعد قالوا هذا صوته، وإذا رأوا البرق قالوا هذا تبسُّمه، يعني لما يرون البرق يقولون: علي تبسَّم، ولما يسمعون رعدًا يقولون: علي تكلَّم.

كل ما يُنسب إليهم بوجود دين أو مذهب هو كذب، يعني أي واحد ممكن يطلع يصلي فيهم صلاة أمام الناس، أي صلاة، كما رأيتم لما مات الخنزير ابن حافظ الأسد الذي يُقال له باسل، لما مات وصلوا عليه أمام التلفاز صلى فيهم بعشرين تكبيرة وركع فيهم خمسة عشر ركوعًا، أي شيء يخرج له.

وهم إباحيون، يعني الفروج عندهم مباحة ويبيعون نساءهم وبناتهم، كثير حتى من أهل السنة من بلاد الشام أمهاتهم من النُّصيريات، كان الرجل الفقير الذي لا يملك نفقات الزواج يطلع على الجبل يشتري بنتًا نصيرية ينزل بها ويربيها ثم يزوّجها لابنه، أو هو يتزوّجها وتُصبح سُنيّة وتنسى أهلها.

وهم يؤمنون كما تقول الدُّرزية بالتقمُّص، هناك قصة صغيرة جميلة جدًا اسمها (الجيل التالي) لرجل كان درزيًا فأسلم، يحكي قصة أمه كيف كانت تعتقد أن الكلب الأجرب في القرية هو زوجها –الذي هو أبوه–، قال: وأتعبتنا كثيرًا.
قال: وكيف عرفوا ذلك؟ قال: لأن والده كان شرسًا، وكان هذا الكلب يعضُّ المارين في الطريق، فقالوا: نفس الأخلاق!

وهم الآن يُقال لهم **العلوية،** سُموا بهذا الاسم مِن قِبل الفرنسيين من أجل إذهاب الشَّناعة عن اسم النصيرية المعروفين به، فإذا قيل: علويون يعني نسبة لعلي وليس للاسم الشَّنيع الذي التصق بهم.

وهم لا دين لهم وأعدادهم كثيرة –تقريبًا اثنين مليون في سوريا–، لكن بعضهم يوصلهم إلى عشرة أو إحدى عشر مليونًا في تركيا، هذا لواء الإسكندرونة الذي نتمنى ألَّا يرجع إلى سوريا ويبقى تحت تركيا، هذا كله نصيرية.

والنصيرية كما تعلمون الآن هم الذين يحكمون سوريا للأسف، بسبب ما تعرفونه من ضعف أهل الإسلام وذِلَّتهم.

هذا هو دينهم، لا دين لهم ولا فقه عندهم، وهذا هو معتقدهم، والكلام طال عليهم والقصد فقط أن نبين الافتراق.

وبهذا نكون قد ختمنا أول فرقة من الفرق التي حدثت في أوائل الإسلام، وسنتابع الحديث عن **الخوارج** إن شاء الله –عزَّ وجلَّ– وعن فِرَقهم. وجزاكم الله خيرًا.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

13

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلله فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلوات ربه وسلامه عليه، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى صحبه الغر الميامين، وعلى من تبعهم بإحسان وهدى إلى يوم الدين، جعلنا الله –عزَّ وجلَّ– وإياكم منهم، آمين.

كانت الصورة التي شكَّلها مبدأ التشيُّع صورةً لقومٍ يغلُب عليهم الكذب؛ فدينهم التَّقيَّة، ويغلب عليهم الجُبن إلا من يُقال لهم بالزيَّدية. أنتم رأيتم خبر الروافض وخبر الشيعة الأوائل كيف أنهم جبُنوا عن نصرة علي –رضي الله تعالى عنه–، وكيف خلُّوا بين الحسين وبين مصيره في كربلاء في الواقعة السوداء في تاريخ العالم. وكيف يغلب عليهم التقية، وكيف يقولون بالباطنيَّة، فهم زنادقة في الباطن، أئمتهم زنادقة يكيدون للإسلام كعبد الله بن سبأ اليهودي إمامهم الأول.

قلت يغلب عليهم الجبن إلا الزيدية؛ فإن الزيدية من مبادئ مذهبهم ألا يُبايَع الإمام منهم حتى يقبل بالخروج والقتال، ولذلك زيد بن علي خرج، وخرج ابنه يحيى، وخرج محمد بن إبراهيم (النَّفْس الزكيَّة) وخرج معه أخوه إبراهيم، ثم خرج إدريس الذي هرب إلى المغرب وتكونت منه (دولة الأدارِسَة في المغرب). وهكذا لم يخرج من الشيعة إلا الزيدية وأما البقية فيغلب عليهم الجبن.

حتى أن إمامًا لهم كانوا يخافون الخروج فقال لهم: اخرجوا ولن تؤثر فيكم أسلحة الحجاج، فخرجوا فوجدوا السيوف تُجدِّع الأنوف والآذان، قالوا له: أنت قلت لنا أن السيوف لن تؤثر فينا، فقال: "بدا لربنا" –قاعدة البداء–.

لكننا الآن أمام فرقة أخرى على الضد من ذلك، هي مقابل الشيعة في هذا الباب من كل وجه، تقابلهم وتعارضهم من كل وجه، ألا وهي فرقة **الخوارج**.

الخوارج

هذه فرقة من أَجْلد الناس في الحروب، ومن أجرأ الناس على سفك الدماء، ومن أشجع الناس عند اللقاء، وليس فيهم إمام أو رجل خارجي لم يقاتل ولم يخرج وصنع في حياته الأعاجيب!

قلنا لما قِبل علي -رضي الله تعالى عنه- التحكيم؛ خرج قوم من جماعته، وقالوا: لقد قبل علي أن يُحكِّم الرجال في دين الله، وخرجوا إلى جنوب الكوفة واجتمعوا في منطقة تُسمى (حَرُوراء)، وزعيمهم يُسمى ابن الكوَّاء، وعددهم اثنا عشر ألفًا.

وقالوا: إن عليًا قد كفر بتحكيمه الرجال، وقد كفر بشكّه في إمامته؛ لأنه أرسل إلى معاوية يدعوه إلى بحث موضوع صواب إمامته، فقالوا: إذا بحث هذه القضية مع معاوية فإذًا هو شكَّ في إمامته، فإن لم يكن هو أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين، فخرجوا واعتزلوا وجلسوا ينتظرون.

علي -رضي الله تعالى عنه- أرسل لهم ابن عباس، وذهب وناظرهم، والمناظرة جميلة. بعضهم قال: علي هو الذي ناظر، والمشهور أن الذي ناظرهم هو ابن عباس.

قالوا لابن عباس: لما قاتلنا معه في الجمل، أجاز لنا أخذ الأموال ولم يُجِز لنا سبي النساء، فقال لهم: إنما الأموال أباحها لكم لأنهم قاتلوكم فيها، وأما النساء فلم يكفُروا ولم يُشركوا حتى تسبوا النساء، من منكم يحب أن يرجع وأم المؤمنين في رحله سبية له؟! فخجلوا.

فقالوا له: طيب أنت شكَّكتَ في إمارتك، وقلت لمعاوية: تعال لنتفاوض في صحة إمارتي، فإن لم تكن أميرًا لنا فعلامَ قاتلت؟ فبيَّن لهم أن هذا الذي فعله إنما هو من باب التَّنزُّل، كما فعل النبي ﷺ مع سهيل بن عمرو في صلح الحديبية، لما أمر النبي ﷺ أن يُكتب في المعاهدة: "هذا ما عاهد عليه محمد رسول الله ﷺ"، فقال سهيل: "لو كنا نصدّق أنك رسوله لما قاتلناك، اكتب محمد بن عبد الله"، وعلي -رضي الله عنه- كان الكاتب وأبى أن يمسح كلمة محمد رسول الله، حتى نظر إليها النبي ﷺ ومسحها بيده. فهل عندما أسقط أو مسح هذه الكلمة هل شك أنه نبي؟!

ثم قرأ لهم قوله -عزَّ وجلَّ-: {فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ}، فهذا من باب التنزُّل.

وقالوا له أشياء، ثم رجع منهم ثمانية آلاف، وبقي أربعة آلاف، وكان ابن الكواء ممن رجع.

فالأربعة آلاف أمَّروا عليهم رجلين: الأول اسمه عبد الله بن وهب الرَّاسِبي، والثاني حرقوص بن زهير البجلي، وهو (ذو الثدية) الذي ذكر النبي ﷺ علامة الخوارج فيه. فعلي -رضي الله عنه- قال لهم: لن نمنعكم مساجد الله، لن نمنعكم من فيء المسلمين، ولن نقاتلكم ما لم تقاتلونا، وتركهم.

فلما تركهم ورجع إلى الكوفة، كان عبد الله بن خباب بن الأرت -رضي الله تعالى عنه- واليًا لعلي على بعض أمصار المسلمين، فمر بجانبهم فأخذوه، وعلَّق المصحف في عنقه أمامهم، فقالوا له: إن الذي في عنقك يأمرنا بقتلك، فأخذوه وذبحوه، ثم ذهبوا إلى خيمته فوجدوا ابنًا له فقتلوه وبقروا بطن أمة له حُبلى بولد له، وقتلوها وقتلوا جنينها.

لما رأى علي -رضي الله عنه- ذلك ناهَزَهم في النَّهروان فقتلهم.

الغريب جدًا أن الأربعة آلاف لم يَسْلَم منهم إلا تسعة، كلهم قد قتلهم علي، ولم يُقتل من جيش علي سوى تسعة. عجيبة!

هؤلاء الخوارج يُسمون **بالمُحكِّمة**، ويُسمون **بالشُّراة**، ويُسمون **بالخوارج**، ويُسمون **بالمارِقَة**. والأشهر هو لفظ المحكِّمة؛ لأنهم لما جلسوا في ظاهر الكوفة وطلبوا من علي أن يتوب من التحكيم، وصلهم خبر أن علي تاب من التحكيم، فرجع جماعة منهم وصلوا معه، فوصل الخبر إلى علي أن جماعة زعموا أنه تاب، فقام خطيبًا وبيَّن أن هذا الذي فعله ليس مما يحتاج فيه إلى توبة، فقاموا من أنحاء المسجد يقولون: "لا حكم إلا لله"، فقال علي -رضي الله عنه-: "كلمة حق أُريد بها باطل". فُسموا بعد ذلك بالمحكِّمة.

طبعًا الآن الخنازير من العلمانيين يجعلون شعار من دعا إلى تحكيم كتاب الله أنه من الخوارج على قول "لا حكم إلا لله". وشتان بين من دعا إلى تحكيم كتاب الله ضد هؤلاء الطواغيت الذين نبذوا دين الله، وبين فهم الخوارج لهذه الكلمة، ولذلك قال علي: "كلمة حق أُريد بها باطل"؛ لأنهم لا يريدون التحكيم، والله -عزَّ وجلَّ- قال: {وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا}، ولذلك علي مسك المصحف ووضعه على رأسه وضربه عليه وقال: "احكم بينهم يا مصحف احكم بينهم"، وهل سيحكم المصحف؟!

واسمهم الشُّراة؛ لأنهم قالوا نحن شرينا أنفسنا لله {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ}، فسُمُّوا الشُّراة لهذا.

وسُموا الخوارج لأنهم خرجوا على علي. والمارقة لقوله ﷺ: (تمرُق مارِقَة مِن الدِّين).

وهم يقبلون جميع الأسماء، يقولون: نعم نحن خوارج ونحن الشراة ونحن المحكِّمة، ولكن يرفضون لقب المارقة كما قال أبو الحسن الأشعري عنهم في (مقالات الإسلاميين)، قال: "هذا اللقب لا يقبلونه".

هؤلاء الأوائل أُبيدوا، وبقي تسعة نفر، اثنان منهم ذهبوا إلى عُمان، واثنان إلى اليمن، واثنان إلى سجستان، واثنان إلى المغرب، وبدؤوا بالدعوة إلى مذاهبهم، فترون أن عقيدة الخوارج قد انتشرت.

المعركة التي تُسمى (معركة النهروان)، وهي التي قاتل علي -رضي الله عنه- هؤلاء الخوارج فيها، كانت سنة 38 للهجرة، قُتل علي -رضي الله عنه- سنة 40 للهجرة، وقال بعضهم 38 وهذا خطأ، والصواب أن عليًا -رضي الله عنه- قُتل على يد عبد الرحمن بن ملجم الخارجي طعنه عليه من الله اللعائن، وقتله سنة أربعين.

بعد ذلك الخوارج بدؤوا يجمعون أنفسهم تجمعات صغيرة لم يكن لها أثر.

ما هو اعتقاد الأوائل؟ هو تكفير علي. ليس عندهم فقه ولا علم، فكان مذهبهم هو أن عليًا كافر ويجب أن يتوب، وأن معاوية كافر، وأن عَمْرًا بن العاص كافر، وأبا موسى الأشعري كافر، وعثمان كافر، قالوا: عثمان قبل التغير كان مسلمًا ولكنه كفر!

فهذه عقيدتهم ليس هناك أية مبادئ ولا مذاهب، ولكن انتشر بعض الفقه الغريب كقولهم بوجوب قضاء الصلاة، كما في (صحيح البخاري) عندما سألت امرأة عائشة لماذا نقضي الصيام ولا نقضي الصلاة؟ قالت لها: "أحرورية أنتِ؟"، فكان عندهم وجوب أن تقضي المرأة الصلاة إذا حاضت كما تقضي الصوم، فهذا بعض فقههم.

وبقوا على هذه الحال حتى قاتلهم عُبيد الله بن زياد مُقَاتلات ومُنَاوشات، وكانوا يتجمعون قليلًا قليلًا حتى ظهر سنة 60 هـ رجل من رجالاتهم خطير اسمه (نافع بن الأزرق) وكنيته أبو راشد، تجمَّع حوله -أكثر عدد في تاريخ الخوارج-: عشرون ألف مقاتل، وسُميت هذه الطائفة **بالأزارِقَة**. دعاهم للقتال، وهناك جماعة معه رفضوا القتال فسُموا بـ(**القَعَدَة**).

فاجتمع الأزارقة على المبادئ التالية:

أولًا: تكفير من كفَّرهم الأوائل، أي علي ومعاوية إلى آخره.

ثانيًا: تكفير (القعدة)؛ لأنه فارقهم في التكفير جماعة سُموا (النَّجَدَات) تبعًا لنجدة بن عامر الحنفي. ستجدون أنهم قوم أغبياء؛ لأنهم تتم المفارقة والخلاف عندهم لمجرد خلاف في مسألة.

ثالثًا: اجتمعوا على تكفير من لم يدخل في طاعة إمامهم نافع بن الأزرق. قالوا: الذي لا يدخل في طاعة الإمام ويبايعنا فهو كافر، ولذلك كفَّروا كل من لم يرحل إليهم ولم يبايع إمامهم، وهم من أشدهم.

رابعًا: اجتمعوا على جواز قتل النساء والأطفال، وهم أول من أتى بهذا المذهب الباطل في جواز قتل ذرية ونساء المسلمين، على قاعدة أن هؤلاء أطفال المشركين، وأطفال المشركين كفار فيجوز قتلهم.

هذه المبادئ هي التي جمعتهم.

نافع بن الأزرق كان رجلًا شرسًا مقاتلًا ومعه عشرون ألفًا، فقاتل وانتصر في عدة معارك. وظهر في زمن خلافة عبد الله بن الزبير –رضي الله تعالى عنه–، فأرسل له المُهلَّب بن أبي صُفرة، وكان جنديًا وعسكريًا من جنود عبد الله بن الزبير، وقاتلهم مقاتلة شرسة طويلة، يُقال أنه قاتلهم أكثر من عشرين سنة.

طبعًا قاتلهم في زمن عبد الله بن الزبير، ثم لما ملك عبد الملك بن مروان تولى المهلب بن أبي صفرة كذلك وصار قائدًا من قادة الأمويين، وقاتلهم حتى قُتل نافع بن الأزرق، وانتهوا بموت أميرهم.

خرجت طائفة في ذلك الوقت اسمها (النَّجَدَات) نسبة لنَجْدَة بن عامر الحنفي، من بني حنيفة، الحروري نسبة للخوارج.

فخرجوا وخالفوهم في كل مبادئهم؛ في قتل الذرية والنساء لم يقولوا بقولهم، وخالفوهم في التكفير، قالوا بتكفير الصحابة لكن لم يقولوا بقولهم في تكفير المعسكَر المُخالِف، ولذلك أتباع نجدة لا يقولون بتكفير صاحب الكبيرة، يقولون هو في الدنيا نسميه مسلمًا، ولكن أمره في الآخر إلى النار، ولكن أَبَوا أن يُطلقوا على صاحب المعصية لقب الكُفر، فالنجدات هم الوحيدون من جميع الخوارج مع **الإباضية** بعد ذلك الذين لا يقولون بتكفير صاحب الكبيرة، مع أنهم من الخوارج.

فخرج النجدات خروجًا طويلًا إلى آخره، حتى قُضي عليهم من قبل جند الحجَّاج. الحجاج الحقيقة له مناقب في قتالهم، والمهلب بن أبي صفرة كان كذلك قائدًا من قادة الحجاج.

وتتابع خروجهم، وأشرس الجماعات التي خرجت هم **الأزارقة والشَّبِيْبِيَّة** تبعًا لشَبِيْب، وهذا كان له أم اسمها جُهَيْزة وزوجة اسمها غزالة، وحكم مناطق كثيرة جدًا وغلب عليها، حتى استطاع يومًا أن يدخل الكوفة، دخل على الكوفة وكانت تحت إمرة الحجاج، والحجاج اعتصم في قصره منتظرًا قدوم الجند في النهار.

دخل شبيب على مسجد الكوفة الكبير، وأصعد زوجته وخطبت على المسلمين خطبة. يقول عبد القاهر البغدادي –عليه رحمة الله–: لماذا يكفّر هؤلاء عائشة لأنها خرجت؟ فهل غزالة أفضل من عائشة؟!

فخطبت فيهم خطبة، والخبر مُختَلف فيه لأهل التواريخ، بعضهم قال: وقدَّمها لصلاة الفجر فصلَّت في الناس في الركعة الأولى سورة البقرة والركعة الثانية بسورة آل عمران. وقيل: لا هو الذي أم بهم، ولكن الخبر الأول أكثر المؤرخين يذكرونه.

وهذه التي خاف منها الحجاج (غزالة) وهناك بيت شعر عيَّر به أحدهم الحجاج لما قال له:

أَسَــــدٌ عَلَــــيَّ وفــــي الحُــــروبِ نَعَامــــةٌ   فَتْخَــــاءَ تَنْفِــــرُ مِــــنْ صَــــفِيرِ الصَّــــافِرِ

هَــــلَّا بَــــرَزْتَ إلــــى غَزَالــــةَ فــــي الــــوَغَى   بَــــلْ كــــانَ قَلْبُــــكَ فــــي جَنَــــاحَيْ طَــــائِرِ!

وأُم شبيب هذه يُضرب بها المثل في الغباء، ولكن بعضهم يُكذِّب أنها كانت غبية، بل هناك ما يدل على ذكائها أنها كانت تأتي إليها كثيرًا الأخبار تقول: إن ابنك قد مات وتُكَذّب، حتى جاءها خبر: إن ابنك قد غرق فصدقته، قالت: لما ولدته رأيت نارًا تخرج من بطني، فالنار لا يُطفئها إلا الماء.

وبالفعل شبيب لم يكن يقاتل بسيف ولا برمح، ولكن كان يقاتل بعمود من حديد طويل. وشراستهم في القتال غريبة.

طبعًا أتعبوا المسلمين كثيرًا، وقاتلهم عمر بن عبد العزيز، وأخبارهم متوالية في التاريخ، وانقطع خبر الخوارج سنة 230 للهجرة، قال ابن حزم في (الفِصَل): "ولم يبقَ منهم في زماننا إلا الإباضية -أتباع عبد الله بن إبَاض- والصُّفَاريَّة"، ولكن الصفارية بادوا كذلك وانتهوا، ولم يبق إلا الإباضية أتباع عبد الله بن إباض في عُمان وفي البحرين وفي تونس وفي جنوب الجزائر.

وعمر بن عبد العزيز قاتلهم في أول الأمر، ثم أجَّلهم ثلاثًا ليرجع إليهم ليناظرهم، ولكنه -عليه رحمة الله- مات قبل أن يعود إليهم ويناظرهم.

مبادئهم هي المبادئ التالية:

-هم يجتمعون في أشياء، أولًا: تكفير الصحابة الذين ذكرناهم، يقول أبو الحسن الأشعري: "يجمعهم تكفير الصحابة المذكورين"، كل الخوارج يقولون بهذا. طبعًا هناك **البَيْهَسِيَّة** مثلًا قالت: إذا كفر الإمام كفرت الرعية. وهم طوائف ليست على قدر طوائف الشيعة على كل حال، ولكنهم متعدِّدون، وكما قلت: بادوا ولم يبقَ إلا الإباضية.

-يجمعهم تكفير من ذكرنا من الصحابة، وكلهم يترضَّون على أبي بكر وعمر، ويغلُب عليهم كما وصفهم النبي ﷺ شدة الاعتناء بالعبادة، قال ﷺ: (تحقرون صلاتكم مع صلاتهم وقراءتكم للقرآن مع قراءتهم).

روى الإمام الآجري في كتاب (الشريعة) من طريق ابن طاووس عن أبيه أن ابن عباس سُئل عما يحدث لهم في قراءتهم للقرآن، لأنهم عندما يقرؤون القرآن يصيبهم النشيج والبكاء والارتعاش، من شدة تأثرهم من كتاب الله -عزَّ وجلَّ-؟ قال: "هؤلاء آمنوا بمُحْكَمِه وضلُّوا بمُتَشَابِهِه"، إذًا هذا هو شأنهم.

ويقول شيخ الإسلام: "الخوارج لا يوجد فيهم زنادقة ضُلَّال"؛ لا يوجد فيهم زنادقة ممن يُبطن الكفر، ولذلك صحَّت منهم العبادات، بل إن بعض أهل العلم يرى أن حديث الخوارج هو أعلى درجات الصدق؛ لأنهم يُكفِّرون من يكذب، فمستحيل أن يكذب الخارجي لأنه يرى أن الكذب كفر.

والخوارج بعضهم يُكفِّر بالكبائر والصغائر وهؤلاء هم الأزارقة، وكذلك النَّجدات لا يسمونها كفرًا كما قلت لكم، أما الصفارية يرونها كفرًا الصغيرة والكبيرة، أما الإباضية فعلى مبدأ النجدات وهو أنهم لا يقولون: كفر، وإنما يسمون المعصية (كفر النعمة)، ولكنهم يرون هذا الذي كَفَر كُفْرَ النعمة في الآخرة في جهنم خالدًا فيها.

يقول عبد القاهر البغدادي -عليه رحمة الله- عن الإباضية المعاصرين: "هؤلاء حرَّموا في الباطن قتل المسلمين وأباحوه في الظاهر". وخرجوا عدة مرات وقاتلوا، ومنهم أبو يزيد الخارجي في المغرب إباضي خرج وقتل كثيرًا من المسلمين، وإن كان فِقههم يقول بِحُرمة دم الرجل ما دام لا نسميه كافرًا ومشركًا في هذه الدنيا، لكن مُستقرُّه في الآخرة في النار!

ولهم أقوال غريبة، بعضهم مثل الصفارية أنكروا جلد شارب الخمر، وبعضهم أنكر سورة يوسف، وبعضهم أنكر الرجم وقال: لا وجود لرجم المرأة.

إذًا ما مشكلة الخوارج؟ أنهم آمنوا بمُحكَم القرآن وضَلُّوا بمتشابهه. (يقرؤونه -أي يقرؤون القرآن- لا يُجاوز حناجرهم)؛ لا يدخل إلى القلوب ولا يفقهونه، فهم لا يفقهون كتاب الله. (يَدَعُون أهل الأوثان ويقتلون أهل الإسلام)، ولذلك يرون أن أكثر القربات قتل هؤلاء المسلمين، هذه سِمَاتُهم في الحديث.

شيخ الإسلام يقول: "الخوارج ليسوا عَلَمًا على فرقة معينة، ولكن الخارجية عَلَم على مبدأ ودين، فربما تدخل الخارجية في بعض الطوائف -أي تدخل بعض مبادئها في بعض الطوائف وبعض الجماعات-، وهي إلى يوم القيامة".

يجمعهم -كما قلنا- شدة العبادة والبأس ووصفهم النبي ﷺ قال: (سيماهم التَّحْليق)[72]؛ يعني كلُّهم يحلقون رؤوسهم، وليس معنى هذا أن حلق الرأس مِن بِدَع الخوارج، فإن النبي ﷺ قد نهى عن القزع وهو كما عرفه ﷺ: (يُحلَقُ بعضُ رأسِ الصبيِّ ويُترك بعضٌ)[73]، وإنما هي سِمَة يتعبَّدون بها.

قلنا أنهم انتهوا وبقي منهم هذه الجماعة، وهم يثورون مرة بعد مرة، ويثورون عند غلبة الجهل.

وبعض المؤرخين مثل شاكر مصطفى البعثي يقول: "إن سبب خروج الخوارج هي غلبة البيئة البدوية عليهم"، وهذا غير صحيح، فهم كانوا أصلًا مع علي ويعيشون معه وهم الذين اختاروا الزهد، فهم أعرضوا عن الدنيا ولم يُصيبوها.

مبادئهم كما قلنا تكفير الصحابة، ومبدأهم الرئيسي الذي اجتمعوا عليهم بعد ذلك وهو تكفير من لم يدخل في طاعتهم وخالفهم، ولذلك الأزارقة صاروا يمتحنون الناس على كفر علي كما قال البغدادي. يعني يأتي للرجل يقول له هل تكفّر عليًا؟ يقول له: لا، فيقولون له: إذًا أنت كافر ويقتلونه.

بل صار الأمر أشنع عندهم من ذلك، الأزارقة -وهم من الخوارج- كانوا يمتحنون صدق الاتباع بإحضار أسير مسلم من جند المسلمين إلى الداخل معهم ويقولون له: اقتله، فإذا قتله آمنوا أنه دخل معهم وآمن بعقيدتهم حقيقة، وإذا رفض قتلوه وقالوا: أنت كاذب ولم تدخل في عقيدتنا.

إذا كان علي -رضي الله عنه- لم يكفر جماعة معاوية، وهم لم يدخلوا في طاعته. أبو بكر -رضي الله عنه- لم يكفر عليًا عندما رفض البيعة ستة شهور ولم يبايع. ولم يكفِّر أحدٌ من المسلمين أحدًا لمجرد أنه لم يدخل في طاعته، فهذه ليست إلا لرسول الله ﷺ.

بل إنه لرسول الله ﷺ كما في حديث أبي بردة -رضي الله تعالى عنه- الذي في مسلم أن النبي ﷺ كان يوصي جيشه (ادعُهم إلى الإسلامِ، فإن أجابوك فاقبلْ منهم وكفَّ عنهم، ثم ادعُهم إلى التحوُّلِ من دارِهم إلى دارِ المهاجرين، وأخبِرهم أنهم ، إن فعلوا ذلك، فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبَوا أن يتحوَّلوا منها، فأخبِرْهم

[72] صحيح البخاري: (7562).

[73] صحيح مسلم: (2120)، صحيح البخاري: (5921).

أنهم يكونون كأعرابِ المسلمين. يجري عليهم حكمُ اللهِ الذي يجري على المؤمنين، ولا يكون لهم في الغنيمةِ والفيءِ شيءٌ. إلا أن يجاهِدوا مع المسلمين)[74].

فتصور في زمن النبي ﷺ لم يقبل من الناس إلا الإسلام، فالمشرك يُقاتَل، لكن لو أن مسلمًا قال: لا أريد أن أرحل من بلدي وسأبقى في بلدي ولم يرحل إلى المدينة، فقال: نعم نُقرّكم على هذا فأنتم كأعراب المسلمين، ولذلك أغفل كل من كتب في الدِّيار دارًا تُسمى بـ(دار الأعراب)، هذا الحديث مهم جدًا أن نقول بوجود دار تُسمى دار الأعراب، وهذه قالها النبي ﷺ في الحديث: (نُنزلكم منزلة أعراب المسلمين)، وهذه لم يذكرها الماوردي، ولم يذكرها غيره في تقسيم الدور، ولم أجد أحدًا في كتب الفقه المُبوَّبة على طريقة الفقه من ذِكر دار الأعراب، لكني وجدتها في كلام لأحمد بن حنبل -عليه رحمة الله-.

وبفضل الله لما سُئلت عن أفغانستان في وقت من الأوقات، والناس يتقاتلون قبل غلبة طالبان قالوا ماذا تُعدّ هذه أهي دار إسلام أم دار كفر؟ فهُديت إلى هذا الحديث بقولي: "إن هذه الدار دار أعراب لا دار مسلمين ولا دار كفار"، كقوله ﷺ، أنتم مسلمون ولكن الدار دار أعراب.

-والذي يجمعهم أيضًا هو تكفير المخالف، إذا خالفهم أحد يكفِّرونه. أتوا ببدعة الامتحان، يسألك: أنت ماذا تقول في فلان؟ ولذلك امتحان الناس فيما لم يأتِ به نص بدعة خارجية نشرها وأحياها المعتزلة بامتحان الناس على قضية خلق القرآن، هم الذين أحيوها، إنما الامتحان يكون على الكتاب والسنة، أما إيش رأيك في فلان وإيش رأيك في علان؟ هذا لا يجوز.

-الشيء الثالث الذي انتشر عنهم أنهم يكفّرون بالكبيرة، وكما قلت لكم: جميع الخوارج يقولون بهذا، ومن خالف من الخوارج فهو وإن خالفهم في الدنيا ولكنه يقول بقولهم في المآل، يعني الإباضية يقولون عن العاصي الذي يقترف الكبيرة أنه كافر كفر نعمة في الدنيا، لكنه في الآخرة من دخل النار لا يخرج منها أبدًا.

هذه هي مبادئ الخوارج، والأولى والثانية أصرح، وإن كانت الثالثة كذلك موجودة، أي القول بتكفير العصاة.

الإباضية الآن موجودون، ولهم دعاتهم ولهم رجالهم، وتنتشر الخارجية بسبب انتشار الجهل وقلة السنة، والردود عليهم معروفة.

---

[74] صحيح مسلم: (**1731**).

الرد عليهم بتكفير صاحب الذنب، الله -سبحانه وتعالى- قال: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ}، {وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ} فجعل المعاصي على مراتب.

ثم إن شارب الخمر لو كان كافرًا لقتله رسول الله ﷺ، ولم يجلده الرسول ﷺ وإنما فعل ذلك عمر -رضي الله عنه- بفتوى علي وباتفاق الصحابة، وإلا فكان شارب الخمر مثلًا -وهي كبيرة من الكبائر- يدخل فيقوم الناس يضربونه بنعالهم وأثوابهم، فلما كثُر هذا وأصبح ليس له ضابط؛ استشار عمر -رضي الله عنه- الصحابة ماذا يفعلون؟ فقال علي: إنه إذا شرب سكر وإذا سكر هذى وإذا هذى افترى، وحدُّه حد المفتري، ثمانين جلدة، فجلدوها لشارب الخمر.

الزاني الذي لا يكون محصنًا عليه كم؟ ثمانون جلدة، وهي معصية، فلو كانت كفرًا ليس له إلا القتل.

وهكذا الردود عليهم كثيرة، عدم الدخول في طاعتهم وعدم الدخول في ديارهم هذا مُبيّن ومشروح، فالرد على الخوارج أشهر من أن يُعرف. ولكن وصف النبي ﷺ قاعدة الخوارج وهي: (يَقتُلونَ أهلَ الإسلامِ ويَدَعونَ أهلَ الأوثانِ)[75]، هذه سِمة في الحقيقة تغلب على أقوام يتأثرون بفكر الخوارج. ترى الرجل إذا تحدَّث عن النصارى واليهود وأهل الأوثان تحدث عنهم برفق وليونة وسماحة، لكنّه حين يتحدث عن أهل الإسلام يتحدث عنهم بغلظة وشدة، بل إن بعضهم قال: إن هؤلاء المبتدعة من المسلمين المخالفين له أشر من اليهود والنصارى.

يعني الآن مثلًا لما يقول ربيع المدخلي: "إن الجماعات الإسلامية غير السلفية -طبعًا على طريقته- هؤلاء شر من اليهود والنصارى!"، هذه خارجية.

المسلم مهما بلغ فِسقه -إلا أن يكون زنديقًا في باطنه؛ فهو شر من الكافر البيِّن الظاهر-، ومهما بلغ فسقه ومهما بلغت بدعته -ما لم يكفر بها-؛ حذاؤه أطهر من اليهودي أو النصراني.

فهذه من الخارجية، أن يقتلوا أهل الإسلام، وأن تكون الغِلظة في قلوبهم على أهل الإسلام، وأن تكون الرحمة على الكافرين والمرتدين.

[75] صحيح البخاري: (7432).

نبَّهنا شيخ الإسلام –عليه رحمة الله– إلى قاعدة مهمة أخطأ الناس فيها في تسمية بعض الأقوام بالخوارج وليسوا كذلك، انتشر في كتب الفقه –وليس في كتب الفرق– أنه إذا قيل (الخوارج) إنما يَعنُون بهم من خرج عن الإمام العدل، قال ابن تيمية: هذا غير صحيح، ليس الخارجي مَن خرج عن إمام العدل ولا إمام الظلم، هذا يُسمى في ديننا باغٍ، والبغاة غير الخوارج.

ما الفرق بين البغاة والخوارج؟

الفرق الأول: البغاة يخرجون ولا يكفِّرون، يخرجون من أجل إقامة العدل وقد يكونون مُصيبين. فلفظ البغاة لا يعني السوء، بعضهم قال: "والبغاة فسقة"، وهذه قالها الماوردي وقالها الجويني، ونبَّه شيخ الإسلام إلى خطئها قال: بعض الفقهاء صار يقرن بين البغي والفسق؛ لأنهم رأوا عامة الخارجين عن الأئمة في وقتهم ليسوا على دين سليم، فظنوا أن كل باغٍ هو فاسق. وهذا غير صحيح، قد يكون الباغي هو أفضل وأدين ممن خرج عليه، ولكن الإمام الممكَّن قد يكون عادلًا وقد يكون ظالمًا، فالخارج عليه في ديننا يُسمى باغٍ، ولا تعني كلمة البغي أنه فاسق.

قد يكون خرج عليه بتأويل وهو مُصيب، كخروج كثير من الأئمة على بعض ولاة الجور ممن غيَّروا أوقات الصلاة فصاروا يصلون الصلاة في آخر وقتها، كخروج الحسين بن علي، وخروج عبد الرحمن بن الأشعث، وخروج محمد بن إبراهيم النفس الزكية.

عبد الله بن الزبير لم يخرج، بل عبد الله بن الزبير خُرج عليه. عبد الله بن الزبير إمام، أمير المؤمنين في وقته، وهو الذي خُرج عليه، وهذه النقطة ارجعوا إلى ما كُتب في (المنهاج) فيها فهي مهمة. ولكننا نتكلم عمَّن جاء من أجل أن يخرج على إمام ممكن، كما هو شأن العباسيين عندما خرجوا على الأمويين، فعند خروجهم كانوا بغاة، ولما تمكنوا صار من خرج عليهم يُقال له باغٍ.

لكن إذا خرج على إمام الجور، هل يجوز أو لا يجوز؟ الأصل الجواز، وما منعه أهل السنة إلا للمصلحة، قال ذلك ابن حجر في (فتح الباري)، قال: "غلب القول بعدم جواز الخروج بعد حادثة دير الجماجم في موقعة عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس". قال: هناك انتشر القول بين أهل السنة بعدم جواز الخروج على الأئمة، لما يجرُّ الخروج من فتن وليس لعدم جوازه أصلًا، فقد خرج جماعة كُثر، ارجعوا إلى أسماء الصحابة والتابعين الذين خرجوا على أئمة الجور في كتاب (الفصل) لابن حزم. فتسمية هؤلاء بالمبتدعة ضلال وانحراف.

نرجع إلى القضية، إذًا الباغي قد يكون عادلًا، وقد يكون مُصلحًا، وقد يكون مأجورًا. وأما الخارجي فليس هذا شأنه، لا يمكن أن يكون مُصلحًا، بل هو يخرج تكفيرًا للأئمة بالسيف، لا يرقُب صغيرًا ولا كبيرًا ولا يرقب إيمانهم ويقتلهم مقاتلة الكافرين، هذا فرق بين الباغي وبين الخارجي.

الفرق الثاني: أن البغاة لا يُقاتَلون حتى يفترقوا عن أهل الإسلام بدار مستقلة.

الآن من ضلال بعض المشايخ المعاصرين، خاصة بعض مشايخ الجزيرة حين سموا مجرد النصيحة بالكلمة قالوا: هذا بغي وحكم الباغي أن يُقتل ويُقاتل، وهذا ضلال وانحراف؛ فالباغي في ديننا لا يُسمى باغيًا حتى يحمل السيف.

يعني رجل يقوم للخليفة ويقول له: "أنت مجرم وفاسق"، هذا لا يُسمى باغيًا، ولا يُقتل لهذا الكلام، ومقولة أبي بكر هي منهاج أهل السنة في هذا الباب، عندما سبَّه رجل فقال له أحدهم: دعني أقتله قال: "ليس هذا لأحد بعد رسول الله ﷺ أن يقتل الساب"، لا لخليفة ولا لغيره، فهذا لا يُسمى باغيًا، ولذلك لا يُقاتل حتى يرفع السيف.

قبل حمل السيف يُعامل معاملة المسلمين، إذا أساء الأدب يُؤدَّب أو يُسجن أو يُضرب أو يعاقب بالمال على قواعد الشرع، أما أن يُقتل فلا. بخلاف الخوارج، فإن الصحيح أن عليًا -رضي الله تعالى عنه- لم يقتل الخوارج حتى قتلوا من المسلمين، لكن الصواب هو جواز قتال الخوارج، سواء اعتصموا بدار أي بقوة ومنعة أو لم يعتصموا لقوله ﷺ: (لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد).

إذًا لا يُقال لرجلٍ باغٍ بمجرد كلمة، ولا يُقتل لمجرد أن ينصح أو يسب أو يشتم، وحتى لو خرج على طريقتهم بما يُسمى اليوم (مظاهرة)، هذا لا يُسمى باغيًا ولا يجوز قتله، بخلاف الخوارج فإنهم على الصحيح يُقتلون بامتناع وبغير امتناع.

الفرق الثالث: هو طريقة القتال، فالخارجي مادام أنه يُقاتل سواءً امتنع أو لم يمتنع يُجهز عليه ويُلاحق ويُقتل بخلاف الباغي، فإنه لا يُذفَّف على جريحهم ولا يُتبع مُدبرهم.

الأمر الرابع: نوع القتال، هل الخوارج يُقاتلون مقاتلة الكفار؟ يعني تُغنم أموالهم حتى بغير التي قاتلوا بها؟ هذه المسألة مربوطة بتكفير الخوارج، هل الخوارج كفار؟

بعض الصحابة رأى تكفيرهم كأبي أمامة لما خرج عليهم وقد قُتلوا بعد النهروان فقال: "إنكم كلاب النار"، والنبي ﷺ سماهم كلاب النار، وابن عمر -رضي الله عنه- كفَّرهم، ولكن كثيرًا من أهل العلم لا يكفّرونهم. علي -رضي الله تعالى عنه- سُئل عن الخوارج: "أكفار هم؟"، قال: من الكفر فروا، قالوا: منافقون؟ قال: المنافقون لا يذكرون الله إلا

قليلًا، ما هؤلاء؟ قال: قوم بغوا علينا". هذا لفظه في (مصنف عبد الرزاق) في حادثة الخوارج، ووجدت في (سنن البيهقي) حديثًا سنده صحيح يُسأل عن أهل الشام –أهل صِفِّين–، فقال فيه: "إخواننا بغوا علينا"، فهل يُرجح بين القولين؟ هل السؤال كان على الخوارج؟ الصواب ما دام صح هذا وصح هذا وما من مخالف، ويُمكن أن يُسأل عن الأمرين لتعدد الجلسة وليس في جلسة واحدة، أنه قال عن الخوارج: قوم بغوا علينا، وسمى أهل الشام: إخواننا بغوا علينا. فهذا هو الفارق.

فهل الخوارج كفار؟ هذا بحسبهم؛ فبعض الخوارج ممن يُنكر سورة يوسف فهذا يكفر. أما إذا قالوا بأقوال أهل البدع فهل يكفرون؟ هذه على قواعد تكفير البدع، ربما يُطلق على الجماعة التكفير ويُمتنع تكفير الواحد المعيَّن حتى تُقام عليه الحجة وتنتفي موانع التكفير وتتحقق شروط التكفير.

هذا ما يحضرني بالنسبة لموضوع الخوارج، أسأل الله –عزَّ وجلَّ– أن نكون قد أبلغنا وبيَّنا وفصَّلنا.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، وبارك الله فيكم.

14

إن الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلله فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلوات ربي وسلامه عليه، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى صحبه الغر الميامين، وعلى من تبعهم بإحسان وهدى إلى يوم الدين، جعلنا الله -عزَّ وجلَّ- وإياكم منهم، آمين.

القَدَرِيَّة

ستتكلم عن فرقة جديدة من الفرق التي انحرفت عن المنهج النبوي في الاعتقاد؛ ألا وهي **القدرية**.

والقدرية فرقة حدثت في الصَّدر الأول في الإسلام، فقد قُتل زعيمها الأول في سنة 80 للهجرة، وهو مَعْبَد بن عبد الله بن حُكيم أو عُليم أو عُكيم -اختُلف في اسم جده- الجهني.

وهذا رجل تقول كتب التاريخ إنه تتلمذ على يد رجل نصراني اسمه سوسن، وبعض أهل التاريخ يضبطه بـ(سُوْسَنَة)، والأغلب على أن اسمه سوسن.

وظهرت هذه البدعة السيئة بالقول بالقدر، والصحابة متوافرون بكثرة.

وقبل أن نخوض في هذه العقيدة وهذه الجماعة لا بأس أن نبيّن **معتقد أهل السنة في باب القدر وماذا يُقصد به**.

كلمتان تترددان على شفاه أهل السنة وهما (القضاء والقدر)، وقد ورد فيهما حديث صحيح وهو حديث جبريل -عليه السلام- الذي جاء ليعلِّم المسلمين شرائع الإسلام، فقال له: (فأخبرني عن الإيمان. قال: "أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره)[76].

والناس مختلفون في معنى القضاء ومعنى القدر، والصواب أن معنى هاتين الكلمتين يتحدَّد باشتقاقهم اللغوي، وإن كان لفظ القضاء تسهيلًا جاء قبل لفظ القدر، إلا أن الواقع أن القدر قبل القضاء؛ فالقدر من التقدير، والقضاء من الانتهاء، تقول: قضيتُ الشيء أي انتهيت منه، قدَّرتُه أي فصَّلتُه.

---

[76] صحيح مسلم: (8).

فمثلًا أنت تأخذ الثوب وتُقدِّره أي تُفصِّله، تأخذ أبعاده؛ طوله، عرضه، قياسه، وبعد ذلك تقوم بتفصيله، وبعد ذلك بخياطته، فإذا انتهيت منه قلت: "قضيتُ الأمر". كقوله -عزَّ وجلَّ-: {قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ}، أي قد تم ذكر تفسير خبر الرؤية.

فإذًا هناك تقدير (تفصيل) للأمر، وهناك انتهاء منه.

والتقدير لا بد أن يكون مبنيًا على علم:

فأول مراتب القدر هو العلم:

فعلم الله -عزَّ وجلَّ- صفة من صفاته، وهو علم مطلق شامل ليس بمحدود، فربنا -سبحانه وتعالى- عالم كل شيء، يعلم الشيء قبل وقوعه تمام العلم، ويقع الشيء حسب علمه. ويعلم ربنا كذلك الشيء الذي لم يقع لو وقع كيف يكون كقوله -عزَّ وجلَّ-: {وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ}؛ فالله -عزَّ وجلَّ- علم أنه لو أسمعهم لما انتفعوا مع أنه لم يسمعهم، وهو هنا سماع الفهم والاتباع.

فالسماع والعلم على معنيين: العلم بمعنى معرفة الشيء، والعلم بمعنى متابعة الشيء، والسماع إدراك الشيء ومعرفة مراده، والسماع بمعنى متابعة الشيء.

فقوله هنا {وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ} أي نوع من الإسماع؟ هل هو إسماع الإدراك والفهم؟ أم هو إسماع المتابعة والهداية؟ إسماع المتابعة والاتباع والهداية، وذلك لأنهم سمعوا. لما قرأ النبي ﷺ القرآن على قريش هل سمعته؟ نعم سمعته، هل فهمت المراد منه؟ وماذا يريد منهم هذا الداعي ﷺ؟ نعم، لكن قوله: {وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ}، كقوله -عزَّ وجلَّ-: {وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ} فهذا هو سماع الهداية، وسماع المتابعة.

وهذه نقطة لها بحث في موضوع إقامة الحجة فاحفظوها؛ لأن بعض المخالفين كفّر من لم تقم عليه الحجة في بعض مسائل الدين، تحت دعوى أن الله -عزَّ وجلَّ- منعهم من السماع لعلمه أنهم لو سمعوا ما اتبعوا، وهذا باطل. يعني يقولون: إذا قيل لهم: إن هؤلاء جهلة، علموا ما أنزل الله على رسوله من التوحيد، فجاءهم الرسول قال لهم: قولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله، لكن لم يعلموا ما يجب وما يقتضيه هذا التوحيد عليهم من واجبات، فالأصل أنهم معذورون لعدم وجود الحجة الرسالية.

فقالوا: لا، هؤلاء محجوجون ولو لم تأتهم الحجة الرسالية، ولم يُقِم الله عليهم الحجة الرسالية، لأنه لو أسمعهم لتوَّلوا وهم معرضون، فعلم الله -عزَّ وجلَّ- أنهم إذا سمعوا الحجة لن يتبعوها.

وهذا خطأ لقوله -عزَّ وجلَّ-: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا}، فالرسول يسمعه الناس جميعًا، هناك من يتبعه وهناك من لم يتبعه وهو حجة الله على الخلق، فالله حُجَّته على الخلق في قضية الثواب والعقاب هي الرسالة، أما الحجج الأخرى كثيرة. أما التي تعلق بها الحسنة والسيئة فهي الرسالة (الشرع)، وهذا انتبهوا له؛ لأنني وجدت البعض ممن يتدين بدين الخوارج يكفّر كل جاهل في أي مسألة تحت دعوى أن هؤلاء كفار، ولأن الله -عزَّ وجلَّ- لم يُسمعهم لعلمه أنه لو أسمعهم لن ينتفعوا بسماعهم. وهذا باطل؛ فالسماع المقصود به هنا هو سماع الهداية والاتباع. وأما مجرد معرفة الشيء فهذا سمعته قريش والخطاب لهم.

إذًا عِلْم الله -عزَّ وجلَّ- محيط بكل شيء، إذ كل شيء هو خلقه، وهل يُعقل أن يخلق ربنا ما لا يعلم؟!

ما هو الأقوى؛ العلم أم الإيجاد؟ ما هو الأصعب؟ الإيجاد، الآن أنت تعلم وجود أمريكا، لكن هل تستطيع إيجادها؟ لا تستطيع؛ فالإيجاد أصعب من العلم. الإيجاد من تعلُّقاته وجود العلم، لا يمكن أن يكون هناك إيجاد فيه حكمة إلا وهو مرتب على وجود العلم فيه. لا يمكن للمرء أن يوجد شيئًا إلا إذا علمه، لما إنسان يصنع شيئًا، تمثالًا، لا بد أن يكون عالمًا بهذا التمثال كيف شكله، فهو يذهب ويرسم هذا التمثال على ما وفق ما علمه في تصوُّره في ذهنه.

القصد -أيها الإخوة- أن الصفة الأولى التي فيها تعلُّق القضاء والقدر هي صفة العلم، وهذه أشمل صفة للرب، فهي حاوية لكل شيء.

الإيجاد أدنى من العلم، لماذا؟ لأن الله علم ما كان وما لم يكن، ولكن تعلُّق الخلق فيما كان. ولا تعلق لصفة الخلق فيما لم يكن، ولكن صفة العلم لها تعلق بما كان وما لم يكن، فأشمل صفة للرب هي صفة العلم، وهذه منكرها كافر.

كان الإمام أحمد -عليه رحمة الله- حين يعلّم تلاميذه مُحاججة القدرية من المعتزلة يقول: "حاججوهم بالعلم، فإن أنكروه كفروا"؛ لأن الذي ينكر صفة العلم لا بد أن يتصوَّر ربًا جاهلًا، وإلصاق صفة الجهل بالرب كفر به -سبحانه وتعالى-.

إذًا الصفة الأولى من صفات الرب هي العلم، قبل وجود الشيء وبعد وجوده، وهذه صفة شاملة محيطة للأشياء بظواهرها وبواطنها. لا يغيب عن ربنا -سبحانه وتعالى- شيء مهما استتر، ولذلك من عبارات بعض الصالحين:

"يعلم دبيب النملة السوداء على الصخرة الصمَّاء في الليلة الظلماء"، وقالوا: "خرير الدماء في الدودة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء"؛ فربنا يعلم كل شيء.

هل نازع ناس في هذه الصفة؟

الجواب: نعم، ومعبد الجُهَنيّ نازع في صفة العلم قبل وجود الشيء هل يعلمه أم لا يعلمه.

الصفة الثانية الكتابة:

أن الله –سبحانه وتعالى– علم ثم بعد ذلك كتب الشيء، فجاءت الأحاديث التي تبين أن ربنا –جل في علاه– قد كتب ما هو كائن، وخلق القلم. وفي بعض الأحاديث الصحيحة أن أول ما خَلَق اللهُ القلم. وهناك أحاديث كما هو حديث الأشعريين –أهل اليمن– قال: (كان اللهُ ولم يكن شيْءٌ غيرُهُ، وكان عرشُهُ على الماءِ)[77]، ففهم منه بعض أهل العلم ومنهم ابن تيمية –عليه رحمة الله– أن أول ما خلق الله العرش، على خلاف، ولا يهمنا هذا، وليس هو الباب الذي نتحدث عنه.

فإذًا كتب الله، فلما علم –سبحانه وتعالى– كتب، وهو علمه أزلي ليس بحادث؛ يعني لم يكن ربنا –سبحانه وتعالى– يغيب عنه شيء ثم حدث بعد ذلك العلم، فعلمه –سبحانه وتعالى– أزلي وهي صفة من صفات الله –عزَّ وجلَّ–. والكلام في صفات الرب كالكلام في الذات، وذات الله –عزَّ وجلَّ– هو الأول فليس قبله شيء، والآخر فليس بعده شيء، ولذلك يُقال الأزلي.

إذًا ربنا –سبحانه وتعالى– علم فكتب، والعلم لا أوّل له؛ لأن الذات لا أوَّلية لها. لكن الكتابة لها أولية، (أولُ ما خلق اللهُ القلَمَ فقال اكتُبْ قال وما أكتُبُ يا ربِّ. قال اكتُبْ القدَرَ قال فجرى القَلَمُ في تلْكَ الساعَةِ بِما كانَ و بما هو كائِنٌ إلى الأبَدِ)[78]؛ قبل أن يحدث الخلق كتب الله كتابه في اللوح المحفوظ.

واللوح المحفوظ –كما في الحديث– من درة مُلأْلئة هي في السماء السابعة، كتب الله –عزَّ وجلَّ– فيها بالقلم. والقلم خَلْق مِن خلق الله –سبحانه وتعالى–، (قال له: اكتب فكتب القلم ما هو كائن إلى يوم القيامة)[79] قبل أن يخلق أي شيء بخمسين ألف سنة.

---

[77] صحيح البخاري: (3191).

[78] صححهُ الألباني في تخريج كتاب السنة: (104).

طبعًا هناك كتابات أخرى كقوله -عزَّ وجلَّ-: {يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ}، وكقوله ﷺ: (إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث إليه ملك فيؤمر بأربع كلمات: فيكتب رزقه وأجله وعمله ثم يكتب شقي أو سعيد)[80]، وعن عمره وهكذا إلى آخره، فهذه كتابة أخرى لا نتحدث عنها، وإن كانت كتابة قدرية موجودة. وهذه خلاف الكتابة الشرعية كقوله -عزَّ وجلَّ-: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ} هذه كتابة شرعية، أما هذه التي نتحدث عنها فهي كتابة قدرية.

الكتابة القدرية لا تتخلَّف، **الكتابة الشرعية** هي محطُّ الثواب والعقاب، الحسنة والسيئة، يعني ممكن للمرء أن يصوم وممكن ألا يصوم. لكن حين يكتب الرب لا يمكن للإنسان إلا أن يفعل ما كتبه.

إذًا أولًا علم فكتب، ثم بعد ذلك بعد أن علم فكتب ثم -سبحانه وتعالى- **خَلَق**، وهي شاملة لوجود صفة المشيئة شاء ولكن لا يقع الفعل إلا بمشيئة، فللتفصيل نقول: فبعد أن كتب شاء؛ شاء يعني أراد. والمشيئة والإرادة بينهما عند بعض أهل العلم خلاف لا يضر، ولكن في حق الله -عزَّ وجلَّ- المشيئة والإرادة صفتان من صفات الرب -عزَّ وجلَّ-. كقوله -عزَّ وجلَّ-: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ}، فأثبت الرب -عزَّ وجلَّ- لنفسه المشيئة. لا تخلُّف بين المشيئة وبين الفعل -أي وبين الخلق-؛ يعني عندما يقول الله -عزَّ وجلَّ-: {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}، إذًا فليس هناك فاصل بين الإرادة أو المشيئة وبين الخلق، فليست المشيئة مفصولة وبعيدة عن الإيجاد، إنما إذا شاء خلق. وهذه قضية مهمة وإذا فهمتموها ستفهمون أين ضلال المعتزلة وأين ضلال الأشاعرة بعد ذلك.

إذًا هذه أربع مراتب في موضوع القضاء والقدر: علم، كتب، شاء أو أراد، ثم خلق.

هل يحدث الشيء في الخلق من غير إرادته؟

نحن نتكلم عن الإرادة القدرية، يعني الإرادة الكونية؛ أي الإرادة التي تعلق لها بالوجود وعدم الوجود، ليس لها تعلق بالمحبة والبغض. التي لها تعلق بالمحبة والبغض هي الإرادة الشرعية، وهي التي لها تعلق بالأمر؛ يأمرك أن تفعل أو لا

---

[79] الرواية التي جاءت فيها لفظة (يوم القيامة) من حديث أبي هريرة قال الألباني في الحكم على سندها: (باطل).

[80] صححه الألباني في صحيح أبي داود: (4708).

تفعل. يعني هل يكون في الأرض ما لا يحب؟ نعم، مثل كفر الكافرين. لكن هل يكون في الأرض ما لا يشاء؟ لا يمكن.

فهذا شرح بسيط، ولكن سنضطر عند مناقشتنا لبعض الفرق أن نتوسع في كل نقطة.

معبد الجهني جاء وقال إن الله -عزَّ وجلَّ- لا يعلم الشيء إلا بعد وقوعه، وهو نشأ في البصرة، والبصرة غلب عليها القول بالقدر، ولذلك إذا اتُّهم المحدِّث بالقدر وكان بصريًا لا يضره هذا، لأنه كما غلب على أهل الشام النَّصْب وكما غلب على أهل الكوفة التشيُّع فغلب على أهل البصرة القول بالقدر.

فجاء قوم من أهل العراق إلى ابن عمر وهو في الحجاز -(والحديث في صحيح مسلم)-، فقالوا له: "إن رجلًا عندنا يتقعَّر في العلم ويقول إن الأمر أُنُف"، يعني إن الله -عزَّ وجلَّ- لا يعلم الشيء إلا بعد وقوعه، فابن عمر قال: "أخبروه أني بريء منه وهو بريء مني".

هذه المجموعة من القدرية نفت المرتبة الأولى، وليست كلها، إنما نفت العلم بالشيء قبل وقوعه. طبعًا بعض الفلاسفة وهم الأغلب -كما يُقال لهم الفلاسفة المشَّاؤون- يقولون بأن الله يعلم الكليَّات ولا يعلم الجزئيات، يعلم بوجود أرض لكن لا يعلم ما هي أجزاء الأرض، يعلم وجود إنسان لكن ما هو هذا الإنسان لا يعلم. وهذا كلام باطل وفاسد لا نمر عليه.

لكن أول من أحدث القول بالقدر بنفي علم الله -عزَّ وجلَّ- الأزلي السابق لما سيكون هو معبد الجهني، هذا رجل وقف له عالم من علماء السنة اسمه مسلم بن يسار في البصرة وظل يُحرِّض عليه، كان يجلس في المسجد ويتكلم عنه حتى قام عبد الملك بن مروان سنة 80 للهجرة وقتل معبد الجهني.

ومعبد الجهني أخذها من رجل نصراني، وأخذها عنه رجل آخر من دمشق اسمه غِيْلان الدمشقي، وكذلك بثَّها ونشرها في الناس، فقام هشام بن عبد الملك سنة 106 للهجرة وقتل غيلان الدمشقي.

هذا هو الأصل في مبدأ القدر.

تبني المعتزلة القول بالقدر

بعد ذلك دخل القول بالقدر في مرحلة جديدة وهي تبني **المعتزلة** له وخاصة زعيم المعتزلة وهو واصل بن عطاء المسمى بالغزَّال.

وأنا لم أشرح كثيرًا مراتب القضاء والقدر، لأنكم سمعتموها أظن في أشرطة (شرح الطحاوية) فقد فصلت فيها بفضل الله -عزَّ وجلَّ- بما تجدونه كاملًا، ولم أترك في الأشرطة شاردة ولا واردة في الباب، حتى وصلت إلى النقطة التي ينهى أهل السنة عن البحث فيها، وهي قوله ﷺ: (إذا ذُكر أصحابي فأمسكوا وإذا ذُكر القدر فأمسكوا).

وهناك حديث في سنن أبي داوود يقول: (القدرية مجوس هذه الأمة)[81]، وإن كان أبو داوود -عليه رحمة الله- قال: "ما ذكرتُ في كتابي هذا إلا الحديث الصالح"، وليس معنى هذا أن كل حديث صحيح عنده، فالصالح لا يعني الصحيح، لكن لم يثبت في الأحاديث شيء من ذكر البدع إلا الخوارج، لا القدرية ولا الرافضة ولا غيرهم، كلها أحاديث ضعيفة لا يثبت منها شيء.

وقوله ﷺ: (القدرية مجوس هذه الأمة)، وإن صحَّحه بعض المتأخرين مثل الشيخ ناصر وتبعه بعض تلاميذه في ذكر الأجزاء في تطويله؛ لكنه على الصحيح لا يصح، وإن كان معناه صحيحًا لكن لا تصح نسبته للنبي ﷺ، وليس هذا موطن البحث في الكلام على الحديث.

المُعْتَزِلَة

هذا يُدخلنا في ضرورة الكلام على من ورث دين القدرية، وهم **المعتزلة**، إذ تبنَّى القول بالقدر رجل باقِعة، رجل صاحب عقل كبير، لكنه فاسد الاعتقاد وهو واصل بن عطاء الغزَّال. هذا رجل متكلم بليغ، كانت فيه لثغة بالراء قبيحة، وكان يتجنب في كلامه أي كلمة فيها حرف الراء.

وارجعوا إلى (البيان والتبيُّن)، -كما قلت لكم ليس (البيان والتبيين)، كما حقق الشيخ عبد السلام هارون في آخر عمره قبل أن يموت بسنة قال: "البيان والتبين أصوب من البيان والتبيين"-. ذكر أبو عمرو الجاحظ -وهو من المعتزلة- بعض الخطب والكلمات الطويلة من كلام واصل وليس فيها حرف الراء. ومنها خلافه مع بشار بن برد، ارجعوا إليها

---

[81] حسنهُ الألباني في صحيح أبي داود: (4691).

كيف كان يهرب من أن يقول (بشار بن بُرد)، وكيف كان يهرب من كلمة (الردة)، وهكذا، وله عجائب في هذا، وكان خطيبًا مفوهًا.

فهذا تبنَّى القول بالقدر، مع تبَّنيه لأمور أخرى وهو أن الرجل كان من تلاميذ الحسن البصري في البصرة، والحسن البصري أغلب المتأخرين يجعلونه من القدريَّة وهذا باطل وكذب، الحسن البصري من أئمة أهل السنة، وفقط له أقوال في موضوع الإيمان لكنها في أصولها لا تخالف كلام أهل السنة في الإيمان إنما هي في قضية الألفاظ، أما في الحقيقة والواقع فلا تخالف. لكن مثلًا الدكتور عبد الرحمن بدوي في كتابه (مذاهب الإسلاميين) يجعل الحسن البصري من أئمة الاعتزال. وهذا باطل.

طبعًا المعتزلة في كتبهم ك(بغية الآمل) للمرتضى -من المعتزلة الزيدية- يجعل الصحابة ويجعل النبي ﷺ من المعتزلة، ويذكر النبي ﷺ في طبقات المعتزلة، ويذكر الصحابة إلى آخره! وهذا كذب؛ فالصحابة ليسوا على دينه.

ولذلك اضطر المعتزلة أن يسبوا على الصحابة كقولهم: "أبو هريرة حَشَوِيّ"، وكقولهم: "ابن عمر حشوي"، يسبون على الصحابة لوجود الآثار الدالة الصحيحة عنهم بنفي موضوع القدر.

طبعًا القدرية الأوائل نفوا أن يكون الله قد علم ما كان، لكن هذا الاعتقاد ذهب وباد وما بقي. ويقولون إن الله -عزَّ وجلَّ- يعلم ما كان وما لم يكن، ولكنهم وقفوا عند باب المشيئة، ولم يستطيعوا لها فهمًا.

هل هناك ارتباط بين أن يكون الرب -عزَّ وجلَّ- عالمًا وبين أن يكون مُجبرًا سائقًا؟

لا، ليس هناك ارتباط، علم الله سابق وليس سائقا؛ يعني علم ربنا أنك ستفعل لكن لم يُجبرك على هذا الفعل. فليس هناك ارتباط بين علم الله -عزَّ وجلَّ- وبين إجبار الله -عزَّ وجلَّ- على الفعل.

لكن هم قالوا: كيف أنتم تقولون إن الله -عزَّ وجلَّ- علم كل شيء وكتبه، وبعد ذلك يفعل الإنسان وفعله ليس مسوقًا إليه وليس مجبرًا عليه؟ هل يمكن للإنسان أن يفعل ما لم يكتبه الرب؟

هم الذين جهلوا هذا، ولذلك كان الإمام أحمد يقول عن القدرية: "جادلوهم بالعلم"؛ يعني أنتم الآن توافقون أن الله علم فانتهى الأمر، وإذا علم فما الذي يمنع أن يشاء؟

ثانيًا: هم لا يتصوَّرون إلا الإرادة بمعنى الشرعية، يجعلون الإرادة الكونية والإرادة الشرعية شيئًا واحدًا وهو الإرادة الشرعية فقط، لا يتصورون المشيئة إلا مرتبطة بالحب وبالرضا. فإذا قلتم إن الله –عزَّ وجلَّ– لم يشأ ولا يريد هذا، فجاء الإنسان وفعل فمن أقوى؟ الأقوى من فعل فقد غلب.

ولذلك ذكر أهل السنة مجموعة من الأخبار ذكرها ابن القيم في (طريق الهجرتين) وهي قصص يسيرة جدًا حدثت مع مسلمين بسطاء، أعراب وغيرهم، مع قادة وزعماء القدريَّة.

وواصل بن عطاء كان جالسًا في المسجد فدخل رجل عليه، وقال: ادع الله أن يرد إليّ حماري فقد سُرق، فرفع واصل يديه. وما قيمة الدعاء؟! لأنه لما أنت تقول: يا رب رد إليّ الحمار، أصلًا الحمار سُرق ضد إرادة الله، فلو أراد الرب أن يعود فلن يعود، لأن إرادة الإنسان هي الجارية، وهذا الفعل فُعل ضد إرادة الرب وفوق إرادته، ومن هنا تُبطَل الشرائع بقولهم هذا.

فرفع يديه واصل وقال: "اللهم إنك لم تُرِد أن يُسرق الحمار فسُرق، اللهم رد عليه حماره"، فقال الأعرابي: "قبَّحك الله! آيستني من رجوعه، أراد ألا يُسرق فسُرق، والآن يريد أن يرجع فلا يرجع!".

المهم أن المعتزلة هم الذين تبنوا القول بالقدر، وباد القدرية الأوائل وصارت القدرية صفة لاصقة للمعتزلة.

كما يقول عبد الجبار الهمداني: لا يكون رجل معتزليًا حتى يقول بالمبادئ الخمس:

"أولًا التوحيد، ثانيًا العدل، ثالثًا منزلة بين المنزلتين، رابعًا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، خامسًا الوعد والوعيد".

هذه هي المبادئ الخمسة، فالقول بالقدر هو عندهم من باب العدل؛ لأنه إذا شاء الرب للعبد أن يفعل إذًا أجبره، وإذا شاء الرب فقد أحب، وإذًا جوزتم على الله أن يحب الباطل وأن يحب المعصية.

لكن السؤال: لماذا سمي هؤلاء بالقدرية، وهم ينفون عن الله القدر وينسبونه إلى أنفسهم؟ ونحن رأيناكم تنسبون للفرق الأسماء حين تنسب الفرق أشياء إلى الرب، كالجبرية؛ ينسبون إلى الله أنه يجبر، فكيف قلتم قدرية وهم نفوا القدر عن الله؟ قيل: أنتم نفيتموه عن الله ونسبتموه إلى أنفسكم، فسُميتم بالقدريَّة لهذا السبب.

الآن لماذا سمي المعتزلة بهذا الاسم؟ الأسباب كثيرة، بعضهم يقول: لأنهم اعتزلوا القتال بين الصحابة، على أساس أن المعتزلة أوجدها الصحابة الذين اعتزلوا القتال بين علي وبين معاوية.

والصواب هو ما قاله جمهور المؤرخين والذين بحثوا في الفرق: أن الحسن البصري كان يجلس في حلقة له وهو إمام أهل السنة في عصره، فدخل رجل وسأله عن العاصي؛ لأن المسألة كانت جارية في موضوع الخوارج والمرجئة، الذي يعصي مؤمن أم مسلم أم كافر؟ فأطرق الحسن قليلًا ليجيب، فواصل استعجل الجواب وقال: هو عندي ليس بكافر ولا مسلم وهذه منزلة بين المنزلتين، وقام من فوره من المجلس وجلس إلى أسطوانة في المسجد ولحقه بعض الناس معه، فسُموا بعد ذلك بالمعتزلة، لأنهم اعتزلوا مجلسه. وقال الحسن البصري: "اعتَزَلنا واصل" فسُموا بالمعتزلة، هذا هو السبب الذي أُطلق على هذه الفرقة بالمعتزلة، وهم الذين ورثوا القول بالقدر.

فما هي مبادئ المعتزلة؟

أولًا: المعتزلة يُقسَمون في كتب الفرق إلى قسمين:

معتزلة البصرة، ومعتزلة بغداد.

من الصعب للمرء العادي أن يحيط بالأسماء والخلاف لكني أذكر لكم أبرز الخلاف الحاصل بين معتزلة البصرة وبين معتزلة بغداد، حدث وجود معتزلة بغداد في 145هـ وهي تاريخ بناء مدينة بغداد، وسبب ذلك أن الخلاف بينهما متعلق بأهل البيت، وهناك خلاف حتى اعتقادي في بعض المسائل.

فمعتزلة البصرة هم القدماء، يعني قبل بغداد لا يوجد إلا معتزلة واحدة، وطبعًا كل رجل يظهر ويخالف في مسألة تُنسب إليه فرقة، يُقال **الواصلية**، ويُقال حتى **الجاحظية**، ويُقال **البهشمية**، ويُقال **الجُبَّائية**، كلما خرج رجل يخالف في بعض المسائل تُسمى هذه الفرقة به.

ولكن الجامع بين هذه الفرق هي المبادئ الخمسة التي ذكرتها: التوحيد، العدل، الوعد والوعيد، المنزلة بين المنزلتين، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الفارق هو في موالاة آل البيت، بغداد بناها العباسيون، ولم يعد لهم الميل الذي كان عند المعتزلة الأوائل في موالاة أهل البيت، لم يعد عندهم الصِّبغة الأولى في موالاة أهل البيت، فاختلفوا عنهم في مثل هذه المسألة.

ولذلك الفارق –وهذه يقولها حتى محمد عمارة المعتزلي الجديد، وهو يؤمن بإحياء الأمة على أساس فكر الاعتزال– يقول إن الفارق بين الطائفتين هو الولاء لآل البيت.

فالمعتزلة الأوائل يرون ولاية آل البيت، بل كانوا يخرجون معهم ويقاتلون معهم، ولذلك المأمون لما تولى وكان على طريقة ابن أبي دؤاد في قضية القول بخلق القرآن أراد أن يولّي بعض آل البيت، إلا أنه قام عليه الأمويون. والعباسيون قاموا على ذلك وغيَّروا، إذًا هذا فقط هو الفارق.

أما الآن لنرى مراتب المعتزلة في مبادئهم الخمسة لنشرحها ونمر على كل واحدة بشيء من الاستيعاب، لا أقول تفصيل ولا بشيء من الإيجاز.

أولًا: قولهم بالتوحيد.

ما هو التوحيد عند المعتزلة؟ جميع المعتزلة يؤمنون، ليسوا على دين الباطنية بلا شك، ليسوا زنادقة في موضوع إثبات وجود الله، وإن كان قولهم يؤدي إلى النفي المحض. هم كلهم يؤمنون أن الله واحد، هل يؤمنون بأسماء الله وصفاته؟ الجواب: نعم، يعني يؤمنون بأن الله سميع، وأن الله بصير، وأن الله قدير، ولكن لماذا يقول المخالفون وأهل السنة إن المعتزلة يُعطِّلون الأسماء والصفات؟

الناس في موضوع الأسماء والصفات على ثلاثة مراتب:

مرتبة **الإثبات** وهي مرتبة أهل السنة والجماعة. المرتبة الثانية مرتبة **التأويل**؛ وهي أن الأسماء ليست دالة على ظاهرها بالمراد اللغوي، إنما هي دالة على معانٍ أخرى تحتملها اللغة وموافقة للعقل، لأن الإثبات المطلق عندهم لا يوافق العقل، فالقول بالتأويل هذه فرقة ظهرت متأخرة. وقول المعتزلة.

هل من معقول أن يأتي المعتزلي الذي يقرأ القرآن والله يقول: {إن الله سميع بصير}، فيقول هو: لا، الله ليس سميعًا ولا بصيرًا؟ لا، إذًا ما هو قولهم هذا؟!

دعونا نتصور كيف التوحيد عند المعتزلة، وهم على باطل في هذا ولا شك، لأنه يخالف مقتضى الفطر البشرية وما نطق به القرآن.

عندهم أخص صفة من صفات الرب هي القِدَم، فإذا تعدَّد القدماء تعدَّد الأرباب، لا نقول الآلهة كما تقول الكتب لأن الآلهة بمعنى المعبود، بل نقول أرباب على أساس الأمر متعلق بالأسماء والصفات وليست متعلقًا بالتعبُّد وعدم التعبد، بالتألُّه وعدمه.

يقولون: إن الله -عز وجل- قديم وذاته واحدة وله صفات. يقولون: ما دام أن الله -عزَّ وجلَّ- ذاته واحدة وله صفات متعددة عندكم ومختلفة -يعني عند المخالفين من أهل السنة-، إذًا تعدَّد القدماء، الذات والأسماء؛ سميع، بصير، قادر، محيي، مميت، إذًا تعدد القدماء، إذًا هذا يؤدي إلى تعدد الآلهة. لأن عندهم الاسم هو عين المسمى، فإذا قيل: "الذات"، فهي دالة على مسمى مستقل، وإذا قيل: "سميع"، فهي دالة على اسم مستقل، و"بصير" دالة على اسم مستقل، فإذا تعدَّدت الصفات دلَّ على تعدُّد أشياء مختلفة عندهم. هناك سميع وهناك بصير وهكذا، إذًا تعدَّد القدماء، وهذا يؤدي عندهم إلى تعدد الآلهة. وهذا عندهم ممتنع باطل.

هنا هم وقعوا في مشكلة وتعددت الأقوال في مذهبهم، ما دام أنكم تُثبِتون الصفة، قالوا مثلًا: سميع هي عين الذات. ثم حاولوا أن يفسّروها فما استطاعوا، حتى أتاهم واحد اسمه أبو هاشم بن علي الجبائي وأتى لهم بنظرية الأحوال، ومع ذلك قالوا:

مما يُقال ولا حقيقة عنده معقولة تدنو من الأفهامِ

الحال عند البّهْشَمِيّ والكَسْبُ عند الأشعري وطَفْرة النَّظَّامِ

قالوا: هي غير معقولة، ولم يستطيعوا تصوُّرها.

عند أهل السنة نؤمن أن الله -عزَّ وجلَّ- له ذات وله نَفْس، نفس الرب -عزَّ وجلَّ- كما في الحديث، وله صفة السمع وله صفة البصر وله صفة القدرة.

وهل صفة القدرة هي عينها صفة السمع؟ يعني القدرة على السمع والقدرة على البصر والقدرة على الإيجاد، هل السمع هو عينه البصر؟ هل هو نفسه أم هي صفة مختلفة؟ البصر له تعلق بالمرئيات والسمع له تعلق المسموعات، يعني هل يُقال: أنا أبصرت -بمعنى رأيت بعيني وليس بمعنى فقهت- أنا أبصرت كلامك؟ أم أنك تقول: أنا سمعت كلامك؟ هل تقول: أنا خلقتُ كلامك أم تقول أنا سمعتُ كلامك؟

إذًا صفة السمع غير صفة البصر، صفة العلم غير صفة المشيئة، صفة العلم غير صفة الكتابة، هم قالوا: لا، هذه كلها صفات دالة على حقيقة واحدة وهي الذات. وهذا القول يؤدي إلى ماذا؟ لما تقول: إن السمع هو عين البصر وعين القدرة وعين الإرادة وعين الخلق هذا يؤدي إلى نفيها، ولذلك قيل عنهم: مُعطِّلة أي يُعطِّلونها. هذا هو التوحيد عندهم.

طيب لماذا يقول الله -عزَّ وجلّ- إن الله سميع بصير وفرّق بينهما، ليش ما قال إن الله سميع وانتهت؟ فدل هذا الجمع على التغاير بينهما وأن السمع غير البصر.

هذا هو التوحيد عندهم؛ أن تقول إن ذات الله -عزَّ وجلّ- واحدة وإن الله -سبحانه وتعالى- وإن ذكر أسماءً له متعددة فهي لا تدل إلا على حقيقة واحدة وهي الذات، فإذا عدّدت الصفات -فتعدُّد الأسماء ما فيه مشكلة، تقول إن الله سميع وبصير ومحيي ومميت ما فيه مشكلة-، لكن إذا عدَّدت هذه الصفات وجعلتها متغايرة متباينة في الدلالة على المعاني فقد عدَّدت الآلهة وهذا هو الشرك. فسموا أنفسهم بأهل التوحيد!

وهذا يؤدي إلى النفي المطلق؛ لأن العقل لا يمكن أن يتصور ذاتًا بلا صفات. فبمجرد أن تتصور ذاتًا ولها صفات مرتبطة بهذه الذات ومتعلقة بها، فعندهم هذا عندهم هو الشرك. هذا هو أساس قولهم ونهاية أمرهم.

طبعًا جاءت الفرق الباطنية بعد ذلك أو المخالفة وبدأت تفسّر الكلام؛ تقول: إذا قلنا إن الله موجود إذًا أثبتَّ لله -عزَّ وجلّ- صفة، حتى زادوها من جهة اللغة قالوا: موجود على صيغة (مفعول)، إذًا الله -عزَّ وجلّ- مفعول، إذًا هناك من أوجده، فلا تقول: موجود. يعني الله ليس موجودًا؟! يقولون: كذلك لا تقول إن الله غير موجود. لا تقل إن الله موجود ولا غير موجود.

وقال بعضهم للتفسير -كما قال المهدي بن تومرت وجماعة منهم- قالوا: لا نقول إن الله سميع. ولا تقل إن الله غير سميع. لا تقل إن الله بصير ولا تقل إن الله غير بصير. وكما ترون تجتمع الأضداد في مبدأ الاعتزال، وهذا هو التوحيد عند المعتزلة!

وطبعًا هذا أدى إلى نفي الإله، هذا أدى إلى القول بأن الله غير موجود، لأنه لا يمكن أن نتصور ذاتًا من غير صفات، فهذا الذي أدى إلى التعطيل.

ولذلك هم مهّدوا عقليًا لقضية **الباطنية**، وخرج كثير من المعتزلة إلى القول بالزندقة والنفي المحض، كما قال الغزالي: "ظاهرهم الرفض وباطنهم النفي المحض"، وهذا هو نفس المبدأ الذي أدى لكثير منهم أن يخرج من الاعتزال وأن يصبح زنديقًا.

أشهر هؤلاء الذين خرجوا من المعتزلة وصاروا زنادقة وهو ابن الراوندي وألف كتابًا سماه (فضيحة المعتزلة)، ومنهم أبو عيسى الورّاق؛ لأنهم لم تستطع أذهانهم الفهم -وبالفعل- لا يستطيع الذهن أن يتصوَّر قولهم. ولكنهم قالوا: أنتم تتكلمون عن غائب، كما تقول النصارى: إن القضية هي قضية إيمان والإيمان هو فوق العقل.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

15

إن الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلله فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى صحبه الغر الميامين، وعلى من تبعهم بإحسان وهدى إلى يوم الدين.

وبعد؛ في الحقيقة المسائل التي نخوض فيها بلا شك مسائل عقلية وفيها بعض مشقة وصعوبة. فالمسائل التي سنتكلم عليها في الفرق كالمعتزلة والأشاعرة هي مسائل عقلية بحتة، وربما يشعر كثير من إخواني أن البحث فيها لا ينفع وليس له ثمة جدوى ولا منفعة، ولكن الجدوى فيه موجودة حين ترون تأثُّر الكثير من المنتسبين للإسلام –من أهل الإسلام وهم مسلمون– يخطئون ويقعون هذه المواقع، ومن غير معرفة جذور العقيدة الباطلة لا يمكن للمرء أن يستوعبها على حقيقتها، ويصبح بعد ذلك عُرضة لدخول البدعة عليه.

يعني مثلًا قبل أشهر الشيخ القرضاوي كتب في مجلة (المجتمع) دفاعًا عن الإخوان في مسائل الأسماء والصفات ونسب إلى السلف ما هم براء منه في الاعتقاد، وقال بالتَّفويض، والتفويض هو آخر عقيدة فاسدة ظهرت في موضوع الأسماء والصفات.

يعني أول من تكلم بفساد الاعتقاد في الأسماء والصفات هم **الجهمية**، وهم أتباع الجهم بن صفوان الذي قتله نصر بن سيَّار، وأول من جاء به هو الجَعْد، ففي الحقيقة الجعد هو أستاذه، والذي قتله هو خالد بن عبد الله القَسْريّ. ثم جاء الجهم ونشرها. ثم بعد ذلك **الأشاعرة** تنشَّقوا نُشُوقًا من اعتقاد **المعتزلة** وقالوا بالتأويل.

فأولًا كان الإثبات وهو مذهب السلف، ثم جاءت الجهمية، ثم جاء التأويل وهو قول الأشاعرة، ثم حدث في مذهب الأشاعرة انحراف بالقول بالتفويض. فآخر قول قاله أهل الملة –أي ابتدعته الملة الإسلامية– بالنسبة لأسماء الله وصفاته هو التفويض. ومع ذلك ترى شيخًا مُعمَّمًا يدافع عن جماعته ويقول: "إن السلف قالوا بالتفويض"!، وذلك في ثلاث مقالات تكلم فيها، أولًا تكلم عن الأسماء والصفات، ثم تكلم عن التصوُّف، ثم تكلم عن التَّكفير. وبعضهم رد عليه، لكنه رد ليس بالكافي.

فالقصد أن طالب العلم ينبغي أن يعرف هذه المعتقدات.

المعتزلة (تتمة)

تكلمنا عن معبد الجهني، وقلنا إنه أول رجل فَتَق في موضوع القدر فَتْق الشر. وللذكر معبد الجهني معبد بن عبد الله أو معبد بن خالد، فهو في ترجمته في (تقريب التهذيب) لابن حجر: معبد بن خالد الجهني، وترجمته في كتب الأسماء الأخرى والتراجم والسير: معبد بن عبد الله بن عُليم أو حُكيم، وهذا معبد قتله عبد الملك بن مروان سنة ثمانين من الهجرة لقوله بالقدر. بالرغم أن معبد الجهني هو من رواة الحديث، وروى له أهل السنة حديثًا، وهو حديث: (لا تنتفعوا من الميتة بإهابٍ ولا عَصَب)[82]، وهو قال عنه ابن حجر في (التقريب): "إنه صدوق"، وكذا قال عنه الذهبي في (الكاشف). صحيح هو أول من فتق بدعة القدرية ولكنه بخبره صدوق، وحديثه مضبوط، لم يأته الوهن ولم يأته الضعف.

ولذلك حديث: (لا تنتفعوا من الميتة بإهاب ولا عصب) حديث حسن، وقال به بعض أهل العلم؛ بل إن الإمام أحمد يقول به وأنه لا يجوز الانتفاع بالميتة لا بإهاب ولا عصب، وبعضهم قال: "لا يجوز الانتفاع ما لم تُدبغ"؛ لأن الإهاب هو الجلد الذي لم يُدبغ، وأما الجلد إذا دُبغ فلا يُطلق عليه الإهاب. المهم إن هذا الرجل مقبول الحديث وهو متقدِّم في الرواية.

وكان يعيش في البصرة، وقلنا أنه قد أخذ عقيدته من رجل نصراني اسمه سوسن أسلم وبقيت في عقله علوقات الشر. ثم جاء غيلان الدمشقي وقُتل على يد هشام بن عبد الملك، وبعد ذلك الذي أخذ هذا المعتقد ورسَّخه وبسطه وقوَّى أمره وذكر أدلته ونشره هو واصل بن عطاء، وكنيته أبو حذيفة، وقلنا هذا رجل كان بليغًا.

الجهم بن صفوان كان خطيبًا ناثرًا شاعرًا، وبينه وبين بشار بن برد الزنديق الأعمى، كنيته أبو معاذ هذا الشاعر، وبعد ذلك آمن بالرَّجْعَة كما هو اعتقاد **السبئية**، فهجره الجهم. وكانت بينهما مودة وكان بشار يمدح كثيرًا واصل بن عطاء، ولكن بعد أن قال بالرجعة هجره واصل بن عطاء الغزَّال وصار بينهما هجاء، ذكر هذه الأشعار الجاحظ في (البيان والتبيُّن).

فواصل بن عطاء هو أول إمام معتزلي. المعتزلة قالوا بالقدر وقالوا بنفي الأسماء والصفات.

---

[82] صححهُ الألباني في صحيح الترمذي: (**1729**).

أول من أتى بهذه الموبقة الكبيرة؛ وهي أن إثبات الأسماء والصفات يؤدي إلى تعدُّد القدماء، أي إلى تعدد الآلهة هو الجعد في الحقيقة، ولكن الذي نشرها وفصلها هو الجهم بن صفوان، نشأ في تِرْمِذ، وقلنا أن الذي قتله هو نصر بن سيَّار. أما الجعد فالذي قتله هو خالد بن عبد الله القسري في يوم العيد، صلى في الناس العيد وقال: "يا أيها الناس ضحوا ضحاياكم تقبل الله منكم فإني مُضَحٍّ بالجعد؛ فإنه يزعم أنه ليس في السماء إله، ولم يُكِّلم الله -عزَّ وجلَّ- موسى تكليمًا"، فنزل وذبحه. وأتى بقضية نفي الأسماء والصفات التي أفرزت بعد ذلك القول بنفي كلام الله وأن القرآن مخلوق، التي فُتن فيها الإمام أحمد.

وإن كانت هذه المسألة كما ترون قديمة، ولكن تبنِّي المأمون لها، والمأمون للذِّكر إخواني ما رأيتُ في باب السياسة وفي باب العقل من غير متابعة الشرع، لا يوجد في تاريخ الإسلام -سوى من هو من الصدر الأول والخلافة الأولى من الأمويين كمعاوية وعمر بن عبد العزيز-، لا يوجد أعقل من هذا الخليفة، رجل باقعة عاقل، ودقيق النظر وحكيم. وهارون الرشيد هو أبوه، وهارون الرشيد جعل الخلافة بعده للأمين ابنه من زُبيدة، لكنه كان فيه بعض النَّزَق ولم يكن حكيمًا كحكمة المأمون. ثم طلب منه أن يولي بعده المأمون، فحاول بعض أصحاب الأمين أن يُزيلوه عن هذا الوعد وقامت الحروب وقُتل الأمين فاستلم المأمون، ونصر القول بخلق القرآن لتأثره بالمعتزلة، وخاصة التأثر الذي حدث مِن قِبل قاضيه وهو أحمد بن أبي دُؤاد.

فهؤلاء أول من أتوا بقضية نفي الأسماء والصفات، وأخذها المعتزلة؛ واصل بن عطاء أخذها وفصَّلها.

يقول عبد القاهر البغدادي: "وكانت فجَّة"؛ أي كان الاعتقاد بنفي الأسماء والصفات لم يكن راسخًا ولم يكن منتشرًا الانتشار القوي، إنما جاء من بعده أبو هُذيل العلَّاف -لأنه كان يسكن في مَحِلَّة بيع العلف-.

وهؤلاء الذين يُقال لهم (معتزلة البصرة).

جاء أبو هذيل العلاف ثم جاء من بعده وهكذا، حتى ترسَّخ موضوع نفي الأسماء والصفات الذي أفرز القول بخلق القرآن وأن الله -عزَّ وجلَّ- لا يتكلم، فإن القول بالكلام يعني أن الحوادث تَحُلُّ في ذات الله.

الركن الثاني: العدل

نرجع إلى الركن الثاني من أركان المعتزلة وهو **العدل**.

العدل عند المعتزلة هو القول بأن الله -سبحانه وتعالى- لا يخلق الشر، طيب هذا المخلوق من الذي خلقه؟ قالوا: الإنسان يفعله، فالشر الذي يفعله الإنسان الله -عزَّ وجلَّ- لم يرضَ عنه.

للذكر سبب قتل معبد الجهني أن مأمون بن مهران حضر عند الخليفة عبد الملك بن مروان وناظره، فانظروا إلى هذه المناظرة كيف جرت. ومهمون بن مهران من أَجِلَّة التابعين، روى له الستة، وله عبارات رائعة، والعبارة التي تسمعونها كثيرًا: "السنة قاضية على الكتاب"، هذه رواها عنه الإمام الدارمي في (مسنده). ولا بأس من تسمية الكتب التي صُنِّفت على الأبواب بالمسند، خلافًا لمن منع ذلك. بعضهم قال: خطأ أن نسمي (سنن الترمذي) بالمسند، وهذا كنت أقول به تقليدًا لهم، لكن انظروا ماذا سمى الإمام مسلم صحيحه، قال: (المسند الصحيح)، وماذا سمى الإمام البخاري صحيحه: (المسند المختصر الصحيح)؛ فإذًا تسمية الكتاب الذي يُبوَّب على الأبواب الفقهية بالمسند ليس غريبًا على الأوائل، لكن الخطأ حين نُعامل كلام الأوائل بما استقرَّ عليه الاصطلاح عند المتأخرين.

فعند المتأخرين صار الاصطلاح أن المسند هو المرتب على أسماء الصحابة. والسنن هي المرتبة على الأبواب كسنن الترمذي، أقدم السنن هي سنن أبي داود، ثم سنن الترمذي، ثم سنن النسائي، والنسائي روى لأبي داوود أحاديث في صحيحه، ثم سنن ابن ماجة وهو متأخر.

فميمون بن مهران هو صاحب الكلمة المشهورة المنتشرة عند أهل السنة بحاجة الكتاب إلى السنة التي رواها الإمام الدارمي في مسنده بسند صحيح أن ميمون بن مِهران قال: "السنة قاضية على الكتاب"، وهي العبارة التي استثقلها الإمام أحمد وأنكرها، قال: "لا يُقال هذا، ولكن يُقال السنة مُفسِّرة للكتاب وليست قاضية"، ولكن مقصد الإمام ميمون بن مهران صحيح.

أنا أذهب بكم وأرجع، لكن حتى تتصوَّروا الصورة والحياة المسلمة. اليوم ابنتي تسألني عن حقيقة فاستغربت وتوقَّفت وأنا في السيارة، قالت لي: كم نحن بعيدون عن النبي ﷺ؟ قلت لها: يا بنتي ألف وأربعمائة سنة، تصور نحن بعيدون عن النبي ﷺ ألفًا وأربعمائة سنة! يعني بعيدون عن الإسلام وعن مصدر الوحي وعن الصحابة ألفًا وأربعمائة سنة.

ولما تتذكر هذا، وأنه والصحابة متوافرون وقعت الفتن؛ حدث الخوارج، حدث الشيعة، حدث القدرية. وفي زمن كبار الأئمة الذين الواحد منهم عقله بمقدار الدنيا، وتحدث البدع! فالآن نحن كم البعد؟ ألف وأربعمائة سنة، فلا تستغرب لما تجد الجهل وتجد البدعة، وتجد التنافس وتجد الهوى، وإعجاب كل امرئ برأيه، ودنيا مؤثرة، لا تستغرب. يعني في

أربعمائة سنة كانت البدع كلها قد استقرَّت، فأنت زِدْ وراءها ألفًا! فهذه حقيقة تصدِم المرء، يعني المرء يُصدم أمام هذا الواقع الذي يعيشه في هذا الزمان.

وهذه المناظرة جميلة جدًا ذكرها الإمام الطبري في (تاريخه) ونقلها ابن كثير في (البداية والنهاية) لكن مأخوذة كلها من الطبري بتفصيل، عبد الملك بن مروان قال لميمون بن مِهران: "ناظره، قال: نعم، وإن من تمام العدل أن تسأل والقوة لك أن تسأل"، يعني لو أن اثنين تناظرا فإن أردت أن تُنصف خصمك فاجعله هو الذي يسألك، إذا أردت، وإلا فأنت تسأل وهو يسأل، هذا هو تمام المناظرة.

قال معبد: "أيُحب ربنا أن يُعصى؟"، فأنتم تقولون أنه لا يُعصى إلا بإذنه، وأن المعصية تقع بالقضاء والقدر، وأن الله -عزَّ وجلَّ- هو الذي خلق المعصية وهو الذي شاءها ولو لم يشأها أ-ي لم يُردها (الإرادة القدريَّة الكونيَّة)- لم تقع، فهم جاؤوا إلى جهة المحبة. فقال له ميمون: "أيحدُث في ملكه ما لا يرضى؟"، فسكت معبد، فغضب عبد الملك بن مروان قال: "قتلني الله إن لم أقتلك، ثم أخذه وقيَّده وذبحه".

غيلان الدمشقي الإمام عمر بن عبد العزيز -رضي الله عنه وأرضاه- سمع أنه يقول بالقول فأخذه ونصحه فأظهر التوبة أمام الصِّديق الثاني عمر بن عبد العزيز -رضي الله تعالى عنه- فتركه، ثم بعد أن ذهب بدأ يرجع إلى اعتقاده.

فهذا هو الأمر الأول في قضية القضاء والقدر.

ما هو العدل عند المعتزلة؟

هم لم يتصوَّروا أن الله -عزَّ وجلَّ- يمكن أن يشاء وأن يرضى أن يُعصى في الأرض، وهذا من باب تنزيه الله -عزَّ وجلَّ-، أرادوا تنزيهه ولكنهم نزَّهوه من باب وأخطؤوا الطريقة والتنزيل.

قالوا: كيف أنتم تزعمون أن الله -عزَّ وجلَّ- يُعصى بإرادته؟! إنما يُعصى ولا يريد ذلك. طيب أنتم أخرجتموه من الرضا إلى الضعف والعجز. فالعدل عندهم أن الله -عزَّ وجلَّ- لم يخلق المعصية، وإنما المعصية بما يقترف الإنسان.

الحقيقة أن المعتزلة في باب القضاء والقدر أسلم بكثير من الجبرية، وإن كانوا قدرية وعلى شر وسوء، وفيهم إساءة للرب -عزَّ وجلَّ-، إساءة الأدب وعدم التقديس والتسبيح لله -عزَّ وجلَّ-، إلا أنهم من جهة الواقع أقرب ممن قال بالجبرية وإن كان الجبرية أقرب إلى التقديس منهم.

الآن المعصية:

هل الله خالق كل شيء؟ الله -عزَّ وجلَّ- خلق كل شيء؛ خلق السماوات، خلق الأرض، خلق هذه الصلاة التي تقوم بها من حركات ومن قدرة فيك، هذه مخلوقة وقدرة، الله -عزَّ وجلَّ- جعل عندك القدرة على الصلاة، وجعل عندك القدرة على الكذب، كما جعل عندك القدرة على الصدق، فخلق هذا كله، لكن أهل السنة يقولون: (والشر ليس إليه)، بالرغم من أن الله هو خالق كل شيء، لكنهم لا يقولون أن الشر يُنسب إلى الله، لماذا؟

ما معنى (والشر ليس إليه)؟ الشر هو غياب الخير، عدم وجود الخير. ما هي الظلمة؟ عدم وجود النور، ما هو الكذب؟ عدم وجود الصدق. فالمعصية هي الشر وغياب الخير، فغياب الخير أمر سلبيّ يفعله الإنسان ويمكن له أن يفعل الخير، ولذلك فالشر لا يُنسب إلى الله لأنه لم يأمر به ولا يحبه، وهو فعل الإنسان بعدم القيام بالطاعة. ولذلك الشر لا يُنسب إلى الله -سبحانه وتعالى-.

ما هو العدل عندهم؟

إن الله -عزَّ وجلَّ- اقتضى العدل عنده ألا يُجبِر أحدًا على فعل، وهذا حق. لكن هل معنى أنه لم يُجبر أنه لم يشأ؟ قالوا: نعم. طيب المعصية وقعت لماذا؟ قالوا: وقعت خلاف مشيئة الله. وهذا كما ترون باطل، فما يقع شيء في الدنيا إلا بإذنه ومشيئته وكل شيء عنده بمقدار -سبحانه وتعالى-، {عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى}، فكل شيء إنما وقع بمشيئته، ولم يكن هناك شيء يقع من الله -عزَّ وجلَّ- إلا بحق.

لكنهم بعد ذلك تابعوا الشر وقالوا: بل إن الله لا يقدر على فعل الشر، -وهذا من باب التنزيه-. هل الله قادر على الشر؟ هل الله يقدر على الظلم؟ نعم. لكن هم قالوا: لا، الله -عزَّ وجلَّ- مقدَّس، فقولنا بالقدرة أنه يفعل الشر هذا ضد التنزيه، ولذلك الله لا يقدر على فعل الشر.

وخرجوا بالنظرية المعروفة بوجوب الأصلح على الله، أنه يجب على الله أن يفعل الأصلح، هل هو وجوب شرعي؟ يعني له خيار أن يفعل الأصلح وألا يفعله؟ لا، الحديث ليس عن الباب الشرعي إنما الحديث عن الباب الكوني، يعني يجب على الله أي أنه لا يقدر الرب إلا فعل الأصلح.

وهذا القول هو الذي جعل أبا الحسن الأشعري يخرج من الاعتزال، ناظر أبا علي الجُبَّائي قال له: "رجل له ثلاثة أولاد، ولد مات صغيرًا وولد كبر وصار كافرًا والكبير صار مسلمًا، يوم القيامة أين يذهبون؟ قال له: الكبير الكافر إلى النار، هل يمكن أن يتعرض للرحمة؟ قال: لا، لا يمكن أن يتعرض للرحمة". ولذلك حتى جهنم عندهم ليست درجات

وإنما درجة واحدة فكلهم كفار. هل يمكن للنبي ﷺ أن يشفع لأحد عندهم بأن يرفعه من قاع جهنم إلى ضحضاح من نار يشفع له؟ لا. لكن هذا يقع، النبي ﷺ يشفع لبعض المشركين منهم أبو طالب، يشفع له فيكون في ضحضاح من نار كما روى الإمام مسلم في صحيحه.

فقال له: الكافر أين يذهب؟ قال له: إلى النار، قال له: والمسلم أين يذهب؟ قال: إلى الجنة، قال: والصغير أين يذهب؟ هو لم يعمل صالحًا ولم يعمل كفرًا؟ قال له: لا جنة ولا نار، قال: أين يذهب؟ قال: فيقول لله: لماذا تُكبرني؟ لو أَكْبَرتَني لصرت مسلمًا وكنت سأذهب مع أخي إلى الجنة، قال له: لا، لقد علمت أنك ستكبر ثم ستكفر فيجب علي أن أختار الأصلح، فأمتك صغيرًا لئلا تكبر.

طبعًا هو غلط هنا لأنه أثبت العلم، والعلم عندهم مشكلة، لكن هكذا تكون البدعة، قال: لقد علمت أنك لو كبرت لكفرت فكان لا بد من إماتتك صغيرًا، قال: حينئذ ينبري الأخ الكافر ويقول: هلا فعلت معي الأصلح وأمتَّني صغيرًا؟ فانقطع أبو علي الجبائي.

إذًا عندهم يجب على الله أن يفعل الأصلح، طيب إيلام الصغير؟ إذا قيل يجب على الله أن يفعل الأصلح فالصغير يتألم. بلا شك أن الله –عزَّ وجلَّ– يفعل كل شيء لحكمة وهي حكمة مقدرة، ولكن أنت عاجز عن فهمها وعن إدراكها، أما أن تجبر الله –عزَّ وجلَّ– أن يفعل الأصلح، هذا لا يجوز لك، لأنه يقع في الدنيا ما يقع من أحداث، والله –عزَّ وجلَّ– يُقدِّر الخير والشر في عباده.

إذًا أولًا ما هو العدل عندهم؟ العدل أن الإنسان له مطلق الحرية، كيف؟ هل الله هدى المؤمن؟ قالوا: لا. ليس عندهم إلا الهداية التشريعية. جاء النبي ﷺ حمل القرآن قال لهم يا قوم هذا هو القرآن فمن اتبعه فهذه هي الهداية، إذًا القرآن هو الهداية، أما هداية القلوب فليست موجودة.

والهداية عند أهل السنة تُقسم إلى قسمين:

الهداية التشريعية؛ يعني أن يأتي الإنسان ويستهدي صاحبه من أي طريق يمر، فهو يهديه هداية الدلالة، يدله ويقول له: امشِ من هنا، وهذا القرآن هو هداية كما قال الله –عزَّ وجلَّ–: {وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} أي تدل على الصراط الصحيح.

والهداية الأخرى وهي **هداية التوفيق**، يعني الله يوفِّق عبده ويهدي قلبه، قال -عزَّ وجلَّ-: {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} هنا نفى عنه الهداية، والآية التي قُرئت سابقًا قال: {وَإِنَّكَ لَتَهْدِي} إذًا هذه الهداية هنا غير الهداية في الآية الأخرى فهذه هداية توفيقية.

وهذا عندهم لا يصح؛ فهم منعوا أفعال الرب في خلقه من الهداية والإضلال، الله -عزَّ وجلَّ- يقول: {كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ}. قد يقول قائل هل الله -عزَّ وجلَّ- يأتي الإنسان ويزيّن له الكفر؟ لا، هذه الآية كما قال ابن القيم -عليه رحمة الله- في (شفاء العليل): "هذه الآية لا تُعمل إلا بعد أن يختار المرء الكفر أو يختار المرء الإيمان".

يعني أولًا أنت تختار إما الإيمان أو الكفر، فبعد أن تختاره يقع التزيين، إذًا الله -عزَّ وجلَّ- يُزيّن للكافر كفره ويراه هو الصواب، بل ربما ينتصر في معركة من المعارك فيظن نفسه الإله. وكذلك المؤمن يُزين له الإيمان في قلبه، ويُحبِّب إليه الإيمان حتى إن المرء ليتمنى أن يُقذف في النار ولا يرجع إلى الكفر.

فإذًا هم نفوا كل هذا، نفوا أن الله -عزَّ وجلَّ- له هداية في القلوب، وله إغواء في القلوب. نفوا أن الله -عزَّ وجلَّ- هو الذي خلق الخير، وأن الله -عزَّ وجلَّ- هو الذي خلق الشر والشر ليس إليه. قالوا لا، الله لم يخلقه، الإنسان هو الذي يخلق فعله. ونفوا أن تقع المعاصي في هذه الدنيا بإرادته، لأنهم لم يتصوروا إلا الإرادة الشرعية.

هل المعتزلة تتصور وجود الخلق القدري لله -عزَّ وجلَّ-؟ لا، لا يتصورون إلا الأمر الشرعي، ولا يتصورون الأمر القدري، وذلك بخلاف الجبرية. فالأمر القدري الله لم يخلقه، إنما نسبوه للإنسان، هو صاحب الاختيار الأول وهو الذي يفعل، فلا يُوفَّق المؤمن لطاعة ولا يُزيَّن للكافر معصية، إلى آخره.

فما هي المعصية إذًا؟ قالوا: المعصية هي مخالفة الأمر الشرعي، هل هناك أمر قدري؟ لا. طيب لو إنسان عندهم قُتل، واحد قتل واحدًا فكيف يتصورونها؟ ما دام أن الأمر القدري لا وجود له، حتى إنهم ينفون الكتابة، فكيف يتصورون موضوع الرزق والحياة والمعصية في هذا؟

يقولون: إن الله -عزَّ وجلَّ- أراد لهذا الإنسان أن يعيش مائة سنة، هذا الذي كتبه الله ولكن هذا الإنسان جاء وقتله وعمره سبعون، فحينئذ هذا خالف أمر الله بأن قطع عليه ما أراده الله -عزَّ وجلَّ- من مائة سنة؛ هم لا يتصورون الأمر القدري، ولذلك عندهم المعصية تقع على هذا المعنى.

ما هو المال الحرام عند المعتزلة؟ الآن هل يمكن في شرعنا أن يأكل المرء مالًا حرامًا؟ نعم، لكن هل هذا الحرام قدَّره الله بمعنى علمه فكتبه فأراده فخلقه؟ نعم، فلا يقع في الدنيا إلا الأمر القدري، لا يقع إلا ما قدَّره الله. لكن هل يمكن في الدنيا أن يقع خلاف الأمر الشرعي؟ ممكن. فإذًا الإنسان لما أكل مالًا حرامًا وافق الأمر القدري، لكن خالف الأمر الشرعي.

واحد رمى نفسه من الطابق العلوي، هذا وافق الأمر القدري، يعني الله علم أنه سيرمي بنفسه، وكتبه، وشاءه {وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ} لا يقع شيء إلا بإذنه. وخلقه، هذا الفعل مخلوق من مخلوقات الله. والذي عمله على الحقيقة وفعله بإرادته هو الإنسان، لكن هذه الإرادة لا يمكن أن تكون إلا بعد أن يأذن الله بالإرادة. هل هذا الإذن أجبرها على الحدوث؟ لا، لم يجبرها لكنها لم تقع إلا بإذنه، {وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ}.

هم لا يقولون: إن الله يريد هذا، بل إن الإنسان حين يأكل الحرام أكل ما لا يريده الله، يعني أراد الله منه (الإرادة الكونية) ألا يأكل هذا الطعام، فأكله ضد إرادة الله، فهنا وقعت المعصية.

فما هو رزق الإنسان؟ هل يمكن للإنسان عند المعتزلة ألا يأكل رزقه؟ نعم. هل يمكن للإنسان ألا يعيش عمره؟ نعم. مثل قصة الحمار التي قلتها لكم سابقًا، قال: اللهم إنك أردت ألا يُسرق فسُرق، اللهم فرُدَّه عليه، فقال له: قبَّحك الله آيستني منه، أراد الله ألا يسرق فسُرق والآن يريد أن يرجع فلا يرجع!

إذًا المعتزلة ما هي المعصية عندهم؟ مخالفة الأمر القدري -الذي هو عندهم الأمر الشرعي-، ولذلك الحقيقة الكونية والحقيقة الشرعية عند المعتزلة متطابقة، فيجعلون الحقيقة واحدة: هي الشرعية.

الجَبْرِيَّة

إذا فهمتم هذا، من هم **الجبريَّة**؟ رجل اطَّلع على رجل يسرق قال له: قبَّحك الله أتسرق؟ فقال له: قبَّحك الله أنا أسرق فأعصي، أما أنت فعلى مذهب ابن عباس؟ يعني مذهب ابن عباس عنده المذهب القدري؛ أراد الله مني أن أسرق فسرقت.

فإذًا المعصية عند الجبري تقع على أي معنى؟ على معنى الحقيقة الكونية. والحقيقة الكونية مع الحقيقة الشرعية عندهما حقيقة واحدة هي الحقيقة الكونية؛ فلا يمكن للإنسان أن يعمل إلا بمشيئة الله. والمشيئة عند المعتزلة المشيئة الشرعية،

وعندهم يمكن أن يقع في ملك الله -عزَّ وجلَّ- ما لا يحبه ولا يرضاه ولا يريده. عند **الجبرية** يقولون لا يقع في ملك الله إلا ما يحبه ويرضاه وهو الذي يريده.

ودائمًا أهل البدع بينهما اتفاق، والآن القدريَّة والجبريّة بينهما اتفاق، أي يجعلون الحقيقة الكونية والحقيقة الشرعية حقيقة واحدة. القدرية يجعلونها الحقيقة الشرعية، والجبرية يجعلونها الحقيقة الكونية. ولذلك عندهم من شرب الخمر إنما شربها بإذن الله، وإذن الله لا يقع في هذه الدنيا إلا لما يريده وما يحبه، هؤلاء هم الجبرية.

ويقولون إن الإنسان مجبور، أما هناك لا، الإنسان عندهم مخيَّر، والله -عزَّ وجلَّ- لا تتدخل مشيئته في شيء، فيُمكن للإنسان أن يخالف مشيئة الله. وهؤلاء قالوا: يمكن للإنسان أن يخالف مشيئة الله، ومشيئة الله هي محبته، مشيئة الله موافِقة لمحبة الله -سبحانه وتعالى-، هذا هو العدل.

طبعًا كل ما تخافه المعتزلة من عدم وجود التنزيه لله هو موجود عند أهل السنة، لأنهم تصوروا أن علم الله السابق لا بد أن يسوق الإنسان فنفوا العلم. ظنوا أن الكتابة يمكن أن تجبر الإنسان على الفعل فنفوا الكتابة. ظنوا أن مشيئة الله بحدوث الفعل هي إجبار لمشيئة الإنسان بالإيجاد فنفوها. ظنوا أن خلق الله للفعل هو إجبار للإنسان، يعني الله يخلق فيك الفعل، قالوا: كيف الله يخلق فيك الفعل وبعد ذلك يكون لك الخيار ألا تفعل؟ إذًا لا يصح هذا، فأفضل طريقة هي أن ننفي أن الله يخلق فيك الفعل. قالوا: كيف الله يريد أن يخلق الإرادة فيك، ولا يمكن أن تفعل؟ إذًا ننفي الإرادة.

وكل هذا باطل لأن هذا كله لا يتعارض، فعِلم الله سابق وليس سائقًا.

قد يقول قائل: هل يمكن أن يقع في الدنيا ما لا يعلمه الله؟ نعوذ بالله. هل يمكن لإنسان في هذه الدنيا أن يقع له شيء في الدنيا دون أن يكتبه الله؟ نعوذ بالله. هل يمكن لشيء في الدنيا أن يقع دون أن يشاء الله؟ نعوذ بالله. هل يمكن لشيء في الدنيا أن يقع دون أن يخلقه الله؟ حتى إراداتك، حتى الصلاة.

ولذلك أنت تدعو تقول: {رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ}، إذًا أنت تدعو الله -عزَّ وجلَّ- أن يجعلك مقيم الصلاة، لكن لما استجاب الله لك وجعلك مقيمًا للصلاة {وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ}؛ هل حدث هذا بإرادة كاملة منك؟ نعم، إرادة كاملة منك، أنت لست مجبورًا عليها، لكن الله زيَّنها في قلبك وأعانك عليها.

زيَّنها لتنشأ الإرادة التي تبتغي وجه الله وأعانك بأن سهَّلها، لأنه لو شاء لجعلها صعبة عليك، فأنت تدعو تقول: {رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ}، كيف للدعاء أن يكون له حقيقة على قول القدرية؟ أنت تقول: ربِّ اجعلني مقيم الصلاة، وهم لا يتصوَّرون أن يحدث الله فيك إرادة الصلاة، أو أن يعطيك قوة أنت لا تريدها في الصلاة.

ومن هنا فالعدل عندهم مُنتَقِض وإنْ نسبوا هذا العدل إلى الله، ولكنه في الحقيقة يناقض تنزيه الله، ويناقض قدرته، ويناقض إحاطته -سبحانه وتعالى- للمخلوقات.

هذا كان موضوع العدل والتوحيد مررنا عليه سريعًا.

نأتي إلى الثالثة وهي: الوعد والوعيد:

أهل السنة يقولون: "إن كل ما أخبرنا به الله -عزَّ وجلَّ- عن أجرٍ لعمل الصالحات لا بد أن يقع ما دام أن العمل الصالح قد اكتملت أركانه فلا يمكن أن يتخلَّف الجزاء. هل يمكن أن الله يقول عن الصلاة من ركع فله أجر كذا، وبعد ذلك يتخلَّف ولا يُعطي الله -عزَّ وجلَّ- الأجر؟ نعوذ بالله، فكل طاعة اكتملت أركانها في شريعتنا لا بد أن يكون لها الجزاء في الدنيا.

ويقولون: إن الله من رحمته وسَّع باب الجزاء فالحسنة بعشر أمثالها، ويمكن أن تكون الحسنة إلى سبعمائة ضعف وهكذا، بل يمكن -وهذا من باب رحمته بشفاعة نبي، برحمة الله الواسعة- أن تكون درجة الإنسان في الجنة في مستوى كذا فترتفع، كأن يُلحق به ذريته {أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ}.

فإذًا العمل الصالح عندنا لا بد أن يقع الجزاء عليه، ويمكن للجزاء أن يزيد. ويمكن أن يُعطى من غير عمل يؤتى يوم القيامة (قومًا لم يَعْمَلُوا خيرًا قَطُّ)[83]، أين يُذهب بهم؟ إلى الجنة.

الجهنَّميُّون كما في صحيح البخاري، (يخرج قوم من النار بعدما مسهم منها سفع، فيدخلون الجنة، فيسميهم أهل الجنة الجهنميين)[84]، ومع ذلك يخرجون منها ويُغمَسون في ماء الحياة ثم تعود نضارتهم فيدخلون الجنة. بماذا دخلوا الجنة؟ بأعمالهم أم برحمة الله؟ برحمة الله.

---

[83] والحديث موجود في صحيح مسلم: (183) وفيه: (فيقولُ اللهُ عز وجل: شَفَعَتِ الملائكةُ وشَفَعَ النَّبِيُّونَ وشَفَعَ المؤمنونَ، ولم يَبْقَ إلا أَرْحَمُ الراحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً من النارِ فيُخْرِجُ منها قومًا لم يَعْمَلُوا خيرًا قَطُّ. قد عادوا حِمَمًا، فيُلْقِيهِم في نهرٍ في أَفْوَاهِ الجنةِ يُقالُ له نهرُ الحياةِ، فيَخْرُجونَ كما تَخْرُجُ الحِبَّةُ في حَمِيلِ السَّيْلِ).

[84] صحيح البخاري: (6559).

ولا يمكن للكافر أن يدخل الجنة، الله حرَّم أن يدخل الكافر الجنة. لكن يُمكن أن يدخل الجنة أناس يخلقهم الله -عزَّ وجلَّ- لها، فإن الله -عزَّ وجلَّ- كما في الصحيح يخلق خلقًا جديدًا، انظر إلى كبر الجنة وكم يُعطى لأهلها ومع ذلك يبقى فيها متسع لأقوام يخلقهم الله ويضعهم في الجنة، يخلقهم للحظتهم ويُدخلهم الجنة، هذا من رحمة الله.

ولذلك الحديث عن رحمة الله -عزَّ وجلَّ- حديث عظيم، الله -عزَّ وجلَّ- رحيم.

الكافر لا يدخل الجنة أبدًا، ويدخل النار، طيب غير الكافر؟ العاصي الذي غلبت شِقْوَته في هذه الدنيا على حسناته مع بقاء اسم الإسلام عليه، أين هذا في المعاصي التي يقوم بها؟ إما أن يغفرها الله، يعني واحد عصى، كذب، سرق، ترك أمرًا من أوامر الله، ماذا يفعل الرب؟ إما أن يغفره له، هل يجب على الله أن يعذبه على هذا الذنب؟ يعني هل الله مجبور أن يُدخله جهنم بهذا الفعل؟ لا، إما أن يغفره له وإما أن يُسقط عنه هذا الذنب في الدنيا، ف(ما يُصيبُ المسلِمَ، مِن نَصَبٍ ولا وَصَبٍ، ولا هَمٍّ ولا حُزْنٍ ولا أذًى ولا غَمٍّ، حتى الشَّوْكَةِ يُشاكُها، إلا كَفَّرَ اللَّهُ بها مِن خَطاياهُ)[85]، وإما بنزعات الموت تذهب هذه السيئات، وإما بضغطة القبر، وإما بأرض المحشر.

وإما أن يكون يوم القيامة موكولًا إلى رحمة الله، حتى لو بقيت هذه السيئات بعد الميزان وبعد العذاب أن يقول له الله -عزَّ وجلَّ-: قد غفرت لك، كما في حديث الرجل الذي يأتي إليه فيُسبِل الله عليه كَنَفَه ويُحدِّثه ويذكر له من النعيم ويُعدِّد عليه سيئاته حتى يظن الرجل أنه قد هلك، يقول الله -عزَّ وجلَّ-: (أما الآن فأنا أستر عليك)، وهؤلاء من غير المجاهرين، ف(كلُّ أمَّتي مُعافًى إلَّا المجاهِرينَ)[86] الذين يجهرون بالمعصية. يقول له: (سترتُها في الدنيا، وأغفرُها لك اليومَ، ثم تُطوى صحيفةُ حسناتِه)[87]. هذا الإله العظيم، سبحان الله، لك الحمد والمنة يا رب، فإذًا هذا واحد استحق النار ومع ذلك عفا عنه حتى يوم القيامة.

فهو موكول إلى رحمة الله إن شاء غفر له، أو إن شاء عذبه، هو مسلم يستحق الجنة بإسلامه وإذا معه معصية فلا بد أن يُعذَّب بمقدار هذه المعصية إن شاء الرب. طبعًا لا يعذبه أكثر مما يستحق فهذا ليس من عدله، ولكنه قادرٌ أن يُعذِّبه فوق ما يستحق، ولكنه برحمته لا يُعذِّب أكثر من المستحق. بل من رحمة الله أن يكون العذاب دائمًا أدنى مما يستحق بالنسبة للمسلم، لكنه إن شاء عذَّبه بمقدار معصيته فيدخل النار وبعد ذلك يدخل إلى الجنة.

---

[85] صحيح البخاري: (5641).

[86] صحيح البخاري: (6090).

[87] صحيح البخاري: (4685)، صحيح مسلم: (2768).

هم قالوا: لا، إذا وعد الله -عزَّ وجلَّ- على عمل صالح أجرًا فلا يستطيع الرب إلا أن يُعطيه هذا الأجر لا زائدًا ولا ناقصًا. وإذا عصا المرء معصية يجب على الله -ولا يقدر أن يفعل غيره- أن يُدخله النار بمقدار معصيته. فقالوا بإيجاب وقوع وتحقيق الوعد الإلهي على الطاعة، والوعيد على المعصية، **فهذا هو الركن الرابع**.

طبعًا القول بالمنزلة بين المنزلتين جرَّهم إلى القول بالوعد والوعيد. يعني الله قال سنُدخله في النار، كقوله ﷺ: (مَن شرِبَ الخمرَ في الدُّنيا، ثمَّ لم يتُبْ منها، حُرِمَها في الآخِرَة)[88]، يعني لن يدخل الجنة حسب ظاهر الحديث، فماذا يُفعل به؟ وفي الدنيا ماذا تُسمَّون صاحب المعصية؟

قالوا: في الدنيا هذا لا نسميه مسلمًا ولا كافرًا، هذا نسميه: فاسقٌ، طيب هل فاسق يعني مسلم؟ أهل السنة يُسمَّون صاحب الكبائر (فاسقًا مِليًّـًا)؛ يعني فاسق من أهل القِبلة. هم قالوا: لا، هذا فاسق لا كافر ولا مسلم، هذا في الدنيا. طيب أين هو في يوم القيامة؟ قالوا: هذا لورود الأحاديث التي توجب على الله عذابه بسبب معاصيه يدخل النار، هل يخرج منها؟ لا. فقالوا بمنزلة بين المنزلتين في الدنيا، وهذه المسألة تسمى مسألة الأسماء، وأما في الأحكام أي في الآخرة فأين مستقره؟ إلى النار، وهي التي دعاهم إليها القول بإيجاب تحقيق الوعد والوعيد.

إذًا قلنا: التوحيد، العدل، منزلة بين منزلتين، الوعد والوعيد.

وبقيت الخامسة وهي: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

عندهم أن الإنسان بمجرد أن يعصي، فلا يجوز لمن عصى أن يحكم المسلمين، إذًا يجب على الأمة أن تخرج على كل العصاة من الحكام، وهذا هو عندهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فالنهي عن المنكر يعني عندهم هو وجوب الخروج على الحاكم الفاسق، وحتى من خالفهم يُسمى عاصيًا عندهم.

فهذه هي الأركان الخمسة للمعتزلة، ولا يكون الرجل معتزليًا إلا بإيمانه بهذه المبادئ الخمسة.

طبعًا القول بالمنزلة بين المنزلتين، أهل السنة لا يقولون به، يقولون: الإنسان في الدنيا فاسق لكنه مسلم، ويوم القيامة هو إلى مشيئة الله كما تحدثنا. وكذلك في الوعد والوعيد، قال الجبرية بقول باطل، وهذا منتشر في بعض كتب المنتسبة للسنة، وهذا كلام باطل. قالوا: إن الوعيد المذكور في الكتاب والسنة على المعاصي إنما قاله الله على سبيل التحذير، وقالوا هذا فرارًا من القول بقول الخوارج، وهو أنه من فعل دخل النار، ففرارًا من هذا قالوا: لا هذا إنما من زنا فيدخل

---

[88] صحيح البخاري: (5575).

النار، من سرق فيدخل النار كقوله -عزَّ وجلَّ-: {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا}، يعني هذا المقصود به التهديد ولكن لا يقع. وطبعًا هذا قول باطل، إن شاء ربنا أوقعه وإن شاء رحم العبد بوجود الإيمان.

وأما القول بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فليس على ما قالوه، نعم الخروج على الأمراء الظلمة جائز وإن منع منه أهل السنة لما جرّ مِن فتن، ولكنه ليس بواجب على الأمة إلا إذا قدرت عليه.

بهذا نختم القول على المعتزلة ولا أريد أن أطيل فيهم، فإذا فهمنا هذا سنفهم بعد ذلك كيف تطور مذهب الاعتزال إلى الأشعرية.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

16

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلله فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى صحبه الغر الميامين، وعلى من تبعهم بإحسان وهدى إلى يوم الدين، جعلنا الله –عزَّ وجلَّ– وإياكم منهم، آمين.

أيها الإخوة الأحبة ليس فقط المهم أن نعرف الفرق؛ إذ بعض الفرق صارت أثرًا بعد عين، لم يعد لها هذا التشكُّل الذي كانت عليه. ولكن كما قال ابن تيمية –عليه رحمة الله– لما ذكرنا لكم قوله في الخوارج إذ قلنا إن الخوارج لا ينتهون، وسيبقى لهم بعض الأثر يدخل على الناس، الخارجيَّة صفة قد يأخذ منها المرء لـمَّة وقد يأخذ لـمَّتين، وقد يزيد وقد ينقص، وكذلك أمر المعتزلة.

المعتزلة (تتمة)

تكلمنا في البارحة عن الأركان الخمسة التي لا يكون الرجل مُعتزليًا حتى يقول بها، وهي: التوحيد، العدل، الوعد والوعيد، منزلة بين المنزلتين، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

لكن أين المعتزلة اليوم؟

طبعًا المعتزلة ككيان وكالتزام بهذه الأسس انتهوا، وإن بقيت لهم بعض الآثار كالقول بالقدر وكالتجهم في الأسماء والصفات وكتقديم العقل على النقل. طبعًا نحن لم نتكلم عن قضايا كثيرة لا بد لطالب العلم أن يعرفها حتى يعرف الحق فيها، لم نتكلم عن الهداية والتوفيق، كما لم نتكلم عن الخذلان، لأن هذا يتعلق بباب النصر. ما هو النصر وكيف تتحقق أركانه وكيف يمكن أن يقع النصر، كما يجب أن يعرف المرء الهزيمة، هذه أمور قدرية كما تعلمون.

الرزق، المنع، التوفيق، الخذلان، الاستطاعة ما هي، ما هي القدرة، ما هو الرزق، ما هو الموت؟ ذكرنا شيئًا من هذه الأمور، ولكن هناك الكثير مما لم نذكره لأنه سيطول، ومثل هذه الدروس العامة ربما لا تصلح لهذا التفصيل.

ولكن طالب العلم إن رجع إلى المظان التي ذكرتها في الدروس الأولى سيجد كلامًا تفصيليًا لمثل هذه المسائل، وأفضل كتاب لهذه الأبواب هو كتاب ابن حزم، أفضل كتاب في موضوع الاستطاعة والقدرة، وفي موضوع الصحة والمرض، وفي موضوع التوفيق والخذلان والهداية، تجدونها في (الفصل) في المجلد الثاني في الجزء الثالث طبعة الخانجي، وكل الطبعات بعد ذلك أخذت منه، وطباعة الحاج أمين الخانجي طباعة رائعة رائقة، والتي هي أي (الفصل في الملل والنحل) مطبوعة في مجلدين، على هامشها (الملل والنحل) لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني.

لكن هل هناك معتزلة اليوم؟ ما هي سمات المعتزلة العامة غير هذه المبادئ؟

كما قلت لكم إن واصل بن عطاء قال قولًا في القدر، لكن عبد القادر البغدادي أبو منصور قال: "وكانت يومئذ فجّة"؛ أي هذه الأقوال في الأسماء والصفات وفي القدر كانت فجة أي لم تنضج، فذهبوا إلى كلام الفلاسفة الأوائل فجعلوا يقرؤونها، حتى شكّلت هذه الكتب في عقول هؤلاء القوم طريقة معينة في البحث، فصار عندهم هُجران ما قرّره النبي ﷺ في سنته، فكانوا من أجهل الناس بالسُّنة.

نعم هم يقرؤون القرآن، فما جاء على مِنوالهم أخذوه، كقوله -عزَّ وجلَّ-: {إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا} هذه توافق مبدأ الاختيار عند المعتزلة، لكنهم لو جاؤوا إلى قوله -سبحانه وتعالى-: {فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ} من الذي هداهم؟ الله، جعلوها على باب واحد وهو الهداية التشريعية. طيب {فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ} كيف؟ كيف هو يهدي وكيف يضل؟ فهل أرسل إليهم شريعة ضالة ليُضِّلهم؟ فهذه توقَّفوا في الحيرة فيها وجعلوا العقل حاكمًا.

قالوا: هذا الخبر القرآني جاء باللغة العربية، -وهذه القضية مهمة لمن يدرس الأصول-، قالوا: القرآن جاء باللغة العربية واللغة العربية عامتها من الظواهر. هناك مراتب للألفاظ العربية للدلالة على معانيها، هناك مرتبة واضحة وهناك مرتبة خفيَّة. فالمرتبة الواضحة أولًا (درجة **المُحكَم**)، وهو الذي لا يدل إلا على معنى واحد ولا يُنسخ. ثم **المُفسَّر** وهو الذي لا يدل إلا على معنى واحد ويمكن نسخه. **والنَّص**: هو الذي لا يدل إلا معنى واحد ويمكن أن يدخل عليه المعنى الثاني ولكن لا يُقام له ولا يُهتم له. أما **الظاهر** قالوا: هذا الذي يدل على معنى أو عدة معانٍ أحدها ظاهر والبقية موجودة فيه يمكن أن يدل عليه.

فقالوا: البيان العربي يمكن أن يدل على معانٍ متعدِّدة، فقالوا: إذًا دلالة القرآن والسنة على مراد الله دلالة ظنية، ما دام إن اللفظ له معنى ظاهر وله معانٍ متعددة أخرى، فدلالة هذا اللفظ على المراد هل هي دلالة يقينية جازمة؟ لا، إذًا

هي دلالة ظنية. قالوا إذًا دلالة القرآن والسنة على المراد الإلهي دلالة ظنية يمكن أن يُؤوَّل، لكن العقل لا يمكن أن يقول إلا بالصواب. ما هو العقل؟ هذه هي التي يجب أن نقف عندها بعد ذلك.

إذًا قدَّموا وقالوا: ما دام أن العقل فيما يقوله لا يدل إلا على قول واحد، فدلالته على المراد يقينية ولا ظنية؟ دلالة يقينية، ودلالة الكتاب والسنة على المراد الإلهي دلالة ظنية، إذًا مَن المُقدَّم؟ المقدَّم هو العقل على الكتاب والسنة. طيب القرآن حمَّال أوجُه أما السنة قاصمة، ذكرنا لكم قول ميمون بن مِهران البارحة: "السنة قاضية على الكتاب" أي: مُفسِرَّة له.

فالسنة مُفصِّلة، دلالة القرآن قلنا ربما لإجمال القرآن بالرغم أنه كما قال سلفنا -وهذا باب في الأصول مهم-: "لا توجد آية في القرآن يحتج بها مبتدع إلا وفيها الدلالة في الرد على بدعته"، كقوله لما قالوا {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} أخذوا هذه اللفظة القرآنية للدلالة على نفي مشابهة الله -عزَّ وجلَّ- لخلقه لا في الذات ولا حتى في الاسم، فماذا يُرد عليهم؟ بقوله: {وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}. وإذا قالوا: سَمْعٌ كسَمْع البشر ردَّت الآية: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}، فالآية بذاتها ترد على الفريقين. لكن هذا يحتاج إلى غوص، أما السنة فواضحة.

لذلك ذهب المعتزلة إلى سبِّ الصحابة واتهموهم، حتى إن بعضهم اتَّهم الصحابة بأنهم من الحشويَّة. ما هو الحشو؟ لغة يُطلق على معنين: الحشو أي الرَّذالة والشيء السيء، حشو الشيء لا قيمة له. لما يصنعوا عندكم وسادة ماذا يضعون فيها؟ يضعون فيها شيئًا جيدًا أم رديئا؟ فحشو الشيء رذالتُه. وحشو الشيء إلى حاشيته، يُقال حاشية الشيء يعني إلى طرفه، فهناك أصل وهناك حاشية وهي دالَّة على نفس المراد. فقالوا: إن بعض الصحابة حشويَّة، قالوا: بعض الصحابة بوَّالٌ على عقبيه، فلا يفهم. واتهموا أبا هريرة بالجهل، واتهموا أنسًا. بل كما تعرفون المعتزلة منهم من كفَّر الفريقين كالخوارج، واصل بن عطاء كان يكفِّر عثمان وعليًا ومعاوية. إذًا جاءوا إلى السنة فاتَّهموا الصحابة حتى لا يلتزموا بما رواه الصحابة من أحاديث.

فقدَّموا العقل، وأي عقل يقصدون؟ العقل الذي حسبوه يقينيًا، مما قاله أهل العقل الأوَّل عندهم وهم اليونان، ولذلك ترجموا كتب اليونان. ولذلك يقول شيخ الإسلام عن المأمون: "ما أظن أن الله سيسامح هذا الرجل أو يغفل عمَّا فعل لما فَتَق من ترجمة كتب اليونان إلى دار الإسلام".

طبعًا أهل الإسلام يذكرون في التواريخ أخبارًا عجيبة في باب الترجمة، وهو أن المسلمين طلبوا من النصارى الكتب التي عندهم، فرفض النصارى في بداية الأمر أن يرسلوا هذه الكتب إلى المسلمين، فقال دهاقنتهم وكبراؤهم: "هذه الكتب نزلت في أقوامنا فتحاربوا بسببها واقتَتَلُوا وافتَتَنُوا، فأرسلوها لهم فَلْيَفتِتِنوا"، وهذا الخبر ذكره البخاري في (خلق أفعال العباد)، وذكره الإمام أحمد في (الرد على الجهمية والزنادقة)، فدخلت هذه الكتب وتُرجمت، فصار ما قاله هؤلاء.

كيف حصلت الفتنة؟ حصلت الفتنة أنهم وجدوا لهؤلاء الفلاسفة اليونان كلامًا في الطبيعيَّات صحيحًا، وجدوهم يتكلمون عن الطول وعن العرض، ويتكلمون عن الخط المستقيم وعن الهندسة، وهو كلام صحيح. يعني نظرية أرخميدس هذا الذي قال: "وجدُّتها وجدُّتها"، نظرية صحيحة، وهذه نظرية معروفة وهي التي تعبِّر عن الحجم، فهذه نظريات صحيحة في الطبيعيات، كما قلنا سابقًا إن الفلاسفة في باب الطبيعيَّات أسلم من المتكلمين، والمتكلمون أسلم من الفلاسفة في باب الإلهيَّات.

فلما وجدوا هذا الكلام موافقًا لما يروه في الطبيعيات ظنوا أن الكلام في الإلهيات يجري على هذا المجرى فالتزموه، وصاروا يحاولون التَّوفيق بين ما أخذوه من اليونان وبين ما جاء به الكتاب والسنة. وكل خبر عارض ما استقل به العقل اليوناني ردُّوه وزعموا أنه مكذوب، أو أنه لم يُنقل بالطريقة الصحيحة. وأتوا ببدعة جديدة؛ حتى لو صحَّ الحديث، لو جاءهم من أبي بكر الصِّديق، وهذا متَّفقٌ عليه ولا يُقال عنه حشوي ولا يُقال عنه شيء. فماذا صنعوا؟ أتوا ببدعتين:

<u>البدعة الأولى</u>: وهي أن هذا من أخبار الآحاد، وخبر الآحاد هل يمكن أن يَهِمَ الراوي فيه؟ نعم ممكن، فيمكن أن يهم إذًا هذا تمام صدق الخبر فيه إلى المُخبِر وهو النبي ﷺ دلالة ظنية، فممكن أن يغلط الراوي، فلا يمكن أن نقبل الحديث إذا جاء من طريق الآحاد، لا بد أن يكون الحديث حتى نقبله متواترًا، فأتوا بالبدعة الثانية.

طيب حتى لو جاء متواترًا، قال عمرو بن عُبيد خذوها مني صريحة: "إذا جاءني حديث من طريق ابن جريج عن الزُّهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة، سأقول: إذا سمعته من ابن جريج، سأقول له: أخطأت في السمع، فإذا سمعته من الزهري مباشرة أقول: أخطأت السمع، فإذا سمعته من أبي سلمة أقول له: أخطأت السمع، فإن سمعته من أبي هريرة سأقول: أخطأت السمع، فإن سمعته من رسول الله ﷺ لأقولن: لا آخذه منك، فإن سمعته من الله مباشرة قال: ليس على هذا أخذتَ العهد والميثاق مني!" لهذه الدرجة! يعني أريحوا أنفسكم ما في عقولنا هو الحق.

هذا المنهج، ولا أريد أن أطيل فقد تبيَّن لكم عُمد المنهج وهو تقديم العقل على النقل، النقل جعلوه ظنيًا في دلالته، وقسَّموه إلى قسمين في طريقة ثبوته: متواتر وآحاد. ثالثًا: سبوا الصحابة بعدم قبولهم، هذا كله بالنسبة لقبول الأثر إذا خالفهم، وبعد ذلك قالوا: حتى لو ثبت لن نقبله فالمقدَّم هو ما قلناه.

هذا المنهج موجود هذه الأيام أم غير موجود؟ هؤلاء يملؤون السهل والواد، وهذا الذي يهمنا.

أين فراخ المعتزلة اليوم؟ أين ما ترمي يدك يخرج لك أصلع!

طبعًا الطريقة هي نبذ السنة، الطريقة هي نبذ الكتاب، الطريقة هي تحكيم الأمزجة. ومن أجل ذلك أول ردّ نردُّه على هؤلاء نقول: أنتم تقولون أن العقل يُقدَّم على النقل، نقول لكم كلمة: أعطونا مسألة واحدة اتفقتم عليها أنتم، ألستم تقولون: "دلالة العقل على المراد دلالة يقينية ولا يختلف فيه العقلاء"، أعطونا مسألة واحدة اتفقتم عليها!

لا يوجد ثمة مسألة إلا اختلفتم فيها، حتى ما ذكرناه لكم من تفسير الوعد والوعيد والمنزلة بين المنزلتين والقول بالتوحيد هذه اختلف فيها المعتزلة -في أفرادها وفي تفسيرها- اختلافًا عظيمًا جدًا.

فما هو العقل المقدَّم؟ قالوا: من العقل المقدَّم خمسة أكبر من اثنين! وهل جاء حديث يقول لكم إن خمسة أصغر من اثنين؟!

نحن نتحدث عن أمرين:

الأمر الأول: ما هو من عالم الغيب، فمن الذي أنبأكم أن عالم الغيب مفروض مِن قِبل عقولكم؟ هذا من باب باطل سماه علماؤنا (**باب قياس الغائب على الشاهد**)؛ عالم الغيب عالم له سُنَّته، له ميزانه، له حكمه، لا يلتقي مع عالم الشهادة في شيء.

رسول الله ﷺ لما أُسري به رأى موسى -عليه السلام- وهو قائم على الكثيب الأحمر يصلي في قبره، تصور! أين رأى موسى؟ قائمًا يصلي في قبره، ثم أمَّ به في بيت المقدس، ثم رآه في السماء عندما عُرِج به. كيف؟!

نحن نؤمن -سوى من شذَّ من المعتزلة وابن حزم أيضًا أخطأ فيها-، نقول: إن عذاب القبر بالروح والبدن، ابن حزم قال: لا، نحن نرى القبر وفيه البدن عظام ومكاحل فكيف هذا يُعذَّب؟ هذا باطل. فهل يُنعَّم البدن في القبر؟ نعم،

يُنعَّم، وهل يُعذب؟ نعم، يُعذَّب. لكن أنت لا تراه ولا تدري كيف، هذا عالم الغيب. ما هو عالم البرزخ؟ قالوا يُفتح له طاقة إلى الجنة، المؤمن في قبره أين؟ هذا عالم الغيب.

ولذلك لا يجوز أن تقيس غائبًا على حاضر، وأعظم الغيب هو الله؛ كيف تقيسه على عقلك؟!

لكن هناك قياس واحد صحيح وهو قياس الأَوْلى؛ يعني إذا كان المخلوق قويًا فمن باب أولى الذي خلقه قوي، إذا كان المخلوق يرى فمن باب أولى أن الذي خلقه عنده قدرة على الإبصار، هذا يُسمى قياس الأولى. أما قياس الغائب على الشاهد فهذا باطل.

ولذلك كما قال ابن الشيخ الحَزَّاميين صاحب كتاب اسمه (الوصية)، وكان رجلًا معتزليًا متكلمًا فقال: "وإن زعم المعتزلة والمتكلمون أنهم فروا من التشبيه لكن أساس اعتقادهم في الله هو التشبيه"، كيف؟ هم أولًا شبهوا الله، فلما خافوا التشبيه نقضوا الصفة. يعني عندما نحن نقول: "إن الله سميع بصير"، القضية واضحة عندنا؛ الله سميع بصير وبصره لا يشبه بصر المخلوقين وسمعه لا يشبه سمع المخلوقين، القضية محلولة. لكن هم لما حصل التشبيه ولم يتصوروا إلا سميعًا يُشابه المخلوقين؛ ذهبوا ونفوا الصفة، فما هو الأساس؟ التشبيه؛ فقاسوا الغائب على الشاهد، وهذا باطل.

فنحن نتكلم عن الغيب، والغيب له أسلوبه، له حياته. لما يأتي في الحديث: (سَيحانُ وجَيحانُ، والفراتُ والنِّيلُ، كلٌّ من أنهارِ الجنَّةِ)[89]، يأتي واحد يقول لك: كيف الجنة أنا أنظر وأراها تخرج من باطن الأرض؟ ما دام أن الكلام دخل شق الغيب فيجب أن تصمت، فلا ندري.

فعالم الغيب لا يجوز لك أن تقيسه على عالم الشهادة، **هذا واحد.**

الشيء الثاني: أن الأمر متعلّق بالتشريع: حلال حرام، يحبه الله، لا يحبه الله. الأصل أنك عبد، هل حين يأتي الأمر تفكِّر كم يُحصِّل هذا الأمر من منفعة لك؟ يعني كان الصحابة إذا قيل لهم صلوا هل أول ما يخطر على بال من صدر له الأمر كم تُحصِّل له هذه الأوامر من منافع، أم ينظر إلى امتثال الأمر أولًا؟ إلى امتثال الأمر، بعد ذلك ينظر إلى ما يُقال له، بعد ذلك يرى المصلحة، يرى أن الصلاة حلَّت له المشاكل: {اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ}، وجدها تضيع الهموم، وجدها تزيد الثقة بالله، وجدها تفتح له أبواب الخير، تحصل له التنزُّلات، كما قالوا: كان عمر –رضي الله

[89] صحيح مسلم: (2839).

عنه- يفُكّ مشاكل الجيوش وهو في الصلاة. وهذا من تمام العبودية، يجمع بين الأمرين: بين عبودية الله وبين قيامه بما يجب عليه من الإمامة، كما فعل النبي ﷺ بالناس إمامًا ويرقب شِعب الجبل ينتظر رسوله أين يأتيه، فجمع بين الأمرين: عبودية الله التي وجبت في حقه، وقيامه بإمامة المسلمين.

الآن قلبوا القضية، قالوا: أولًا نحن ننظر للتشريع ماذا يحقق لنا من منفعة، وفتحوا باب المصلحة. ونظروا إلى أحاديث لم تعجبهم وقالوا: هذه لا توافق العقول، فردوها، ردوا السنة. القرآن تلعبوا به -أي أفراخ المعتزلة- ولما فتحوا هذا الباب فتحوا إمكانية أن الأمر القرآني لا يدل على المراد، فيمكن أن نؤوّله، والحقيقة أنهم يتلاعبون به.

والتأويل لا بد له من صوارف:

1. إما صارف **لُغوي** اللغة تحتمله كقوله ﷺ مثلًا: (الجار أحقُّ بِصَقَبِهِ)[90]، والجار هنا الشريك، احتملتها اللغة.
2. وإما صارف **عُرفي** كما في القرآن: {يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ} سماهم الأولاد، والناس لا يُسمُّون الأولاد إلا للذكور.
3. وإما صارف **عقلي**. هذا الصارف العقلي ما هو ضابطه؟ كل واحد حسب ما يحلو له، ولذلك فتحوا الباب للتلعُّب بالقرآن وتفسيره كما يشاؤون.

وأتوا إلى ما يتعلق بالإيمان، وأصل باب الفتنة هو الابتلاء بقضايا الغيب.

انظروا حتى تروا الأمر ببصيرة: قوم لوط هل فتنتهم متعلقة بتوحيد الرب وعدم توحيده، أم متعلقة بشهوة تتعلق بتشريع؟ ما هي فتنة قوم لوط؟ متعلقة بالتشريع؛ يعني الله -عزَّ وجلَّ- أمرهم ألا يأتوا الذُّكران من العالمين، ليس هناك نقاش مع قوم لوط في قضية الإلهية ولا في قضية صدق المُرسَل.

إذًا كما ترون أن فتنة قوم كاملين تعلقت بتشريع واحد، وهذه فتنة لاتباع الرسول. كما أن قومًا آخرين فُتنوا بالمكيال، وهم قوم شعيب، قال لهم: {فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ} فإذًا هي فتنة متعلقة بالتشريع.

---

[90] صحيح البخاري: (**6980**).

انظر إلى هذا الأمر القرآني وانظر إلى شيخ الآن يقول: "علينا من أجل أن نقبل إيمان الناس لدخولهم في الشريعة ألا نفتنهم بالتشريع الذي يخالف أهواءهم"، رأيتم الفرق؟!

يعني يأتي شيخ يقول: كيف لكم أن تُقدِّموا الإسلام إلى بريطانيا، والنبي يقول ﷺ: (ما أفلح قوم ولُّوا أمرهم امرأة)[91]، فأحسن نترك الحديث ويدخلوا في الإسلام! والأصل أن الفتنة تكون بالإلهيَّات بما يتعلق بالرب وبما يتعلَّق بالرسول، حتى بعض الناس ما أسلموا لأنهم متضايقون من النبي، يعني الآن أبو جهل لماذا لم يُسلم؟ حقدًا على هذا الشخص، نحن نريد نبيًّا له عِزوَتُه {رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ}.

ويمكن أن تقع الفتنة بشيء آخر، يعني أنا موافق لكل شيء، كما وقع مع الأعشى الشاعر، هذا رجل أحبَّ الإسلام والنبي ﷺ في المدينة فذهب مسلمًا، فمرَّ على قريش، قريش فكَّرت قالت: إذا أسلم هذا الرجل بشعره يفتن الناس، فثبِّطوه عن الذهاب إلى محمد ﷺ، فجاؤوا إليه ليثبطوه، وهو كان يحب الخمر كثيرًا ويعشقها، فقالوا له: محمد ﷺ يسوِّي بينك وبين النساء، قال: إنما هي أمي وأختي. انظروا! ما دخلوا في باب الإلهية، ولا قالوا له: كيف تتَّبع واحدًا يتيمًا؟ لأنه انتهت قصة يتيم وصار زعيمًا، حتى قال أبو سفيان: لقد صار ملك ابن أخيك عظيمًا، لكن دخلوا إليه في التشريع، قالوا: يُسوِّي بينك وبين العبيد، قال: لا يهمُّني، قالوا: لكن هذا يمنعك من الخمر، قال: أما هذه فلا، فبقي يسكر ورجع عن الذهاب إلى النبي ﷺ فرجع في الطريق دبَّت الناقة على بطنه، فمات وهو مشرك.

فما الذي منعه من الدخول؟ فتنة باب من أبواب التشريع.

فالآن هؤلاء لا يُحبُّون هذا الشَّرع فيقول لك: نُؤوِّله، تعال إلى حديث النبي ﷺ: (ما أفلح قوم ولُّوا أمرهم امرأة) ونقول: هذا قاله في ظرف، بالرغم من أن "ما" في الحديث نافية، و"قوم" نكرة يعني أفضل دلالةً على العموم، قالوا: هذه قالها ﷺ للفُرس فقط.

فهذا لم يعجبهم لأنه خالف العقل، قالوا: والدليل أنه ممكن أن يُفلح من تولتهم امرأة؛ بريطانيا أفلحت عندما تولتهم تاتشر، والهند أفلحت عندما تولتهم أنديرا غاندي وهي امرأة!

[91] صحيح البخاري: (4425).

طبعًا لا أن نريد نناقش ما هو الفلاح، هذه قضية أخرى. ولكن نحن نرى أن هؤلاء يردُّون على النص بالواقعة! فهي وقعت كثيرًا وممكن تقع عشرات المرات أيضًا، وفي تاريخنا وقع ذلك -مثل حكم شجرة الدر-، والملكة أروى في الدولة الصُّليحية في اليمن التي ذكرتها لكم.

والنبي ﷺ قوله حق، النبي ﷺ يقول عن الخمر: (إنَّها ليسَتْ بدواءٍ، و لكنَّها داءٌ)[92]، لكن أهل الطب يُقرِّرون أن بعض الأمراض يمكن أن يُستشفى فيها بالخمر، كيف؟ أنت بعد ذلك إما أن تُسلِّم وتستريح، وإما أن تبحث وأنت مُسلِّم -وهذا الأَوْلى-، وهذا باب واسع.

انظروا إلى تفسير النص، هؤلاء صاروا مشايخ معمَّمين، قالوا: أهل أوروبا وأهل إفريقيا يحبون الغناء، فلما تأتي تقول له: أسلم والإسلام يحرِّم عليك الغناء لن يُسلم، فقل له: إن الغناء حلال، وابن حزم أحلَّه!

هل ابن حزم أحلَّه لأنه خائف ألَّا تُسلم أفريقيا؟ هل سبب قول ابن حزم أن الغناء حلال بسبب ضعفه وهزيمته وهزيمة دينه في نفسه أمام أقوام يترفَّعون عن قبول التشريع؟؟

النبي ﷺ قال: (لا يُقتل مسلم بكافر)[93]، وهو حديث في البخاري ومسلم من حديث علي -رضي الله عنه-، فقالوا: كيف هذا؟ الإسلام لا يؤمن بالسواسية والمذهب الإنساني؟ وكيف الإسلام يفرق بين الناس؟ قالوا: هذا حديث رده بعض أهل العلم، وهو مناقض لظاهر القرآن في الآية القرآنية: {النَّفْسَ بِالنَّفْسِ}! فصار دورهم إبطال النصوص مقابل العقول.

المعتزلة ليسوا منهزمين من الكفار، لكن فراخ المعتزلة صاروا يُبطلون الشريعة مقابل أهواء؛ مثل الذي أفتى قبل مدة في قضية مرسيل خليفة الذي غنى قصيدة لمحمود درويش فيها مقاطع جعلها من سورة يوسف صاغها فغناها، فخرج هذا الرجل وقال: نحن المسلمون ما عندنا عقدة نفسية من الغناء، وقدَّم مقدمة طويلة أخذت تقريبًا ثلث المقالة، وقال: "لما ذهبت إلى بيروت لحضور المؤتمر القومي الإسلامي سألتُ ابنتي: ماذا أحضر لكِ من بيروت؟ قالت: أحضر لي أشرطة مرسيل خليفة، يقول: وأنا ذهبت ولا أعرف من مرسيل خليفة فذهبت واشتريت الأشرطة، ثم لما رجعت اجتمعت أنا والعائلة ووضعت الشريط فوجدت صوته بالفعل جيدًا والأغاني وطنية، والآن ندخل في البحث. كان هذا مقدمةً لجواز

---

[92] صححهُ الألباني في صحيح الجامع: (2436).
[93] صحيح البخاري: (6903).

إمكانية أن يُغنى القرآن!! أنت تتكلم عن مزاج بنتك، ما دخل مزاجها وأنت تتكلم عن الشرع؟! لكن هكذا تكون المقدمات.

كما ذكر الغزالي في كتاب (السنة النبوية بين أهل الفقه والحديث)، يقول: "كان هناك طالب كنت أشرف عليه في الدكتوراة وكنت واضعًا أغنية لأم كلثوم -وكلهم يحبونها!-، فدخل عليَّ فوجدتُ في نفسه الكراهة". طبعًا هو كان يشرف على رسائل الدكتوراة والماجستير في مكة حيث كان يدرس في جامعة علوم القرآن. قال: "فوجدت في نفسه الكراهة، فقلت له: دعك من الفقه البدوي!".

الإمام أحمد لما حرَّم الغناء أو الشافعي حرَّم الغناء، هل لأنه بدوي؟! ثم من قال لك أن البدوي لا يفهم في الغناء؟! أهل البدو ما عندهم غناء؟ يعني ما يطربون؟ هم يطربون للصوت الجميل.

ونقول كما قال أبو حامد الغزالي: "من لم يُطربه خرير الأنهار وحفيف الأشجار فهو حمار"، فأي إنسان يَطرب، لكن القضية ليست متعلقة بهل طربت أم لم تطرب، بل هي متعلقة بهل هي حلال أم حرام؟

طبعًا هؤلاء توسَّع عندهم الباب بأن تلعَّبوا بالقرآن، كانت الثمار عظيمة جدًا، ثمار فاسدة. مثل محمد عبده لما أتى إلى قوله -عزَّ وجلَّ-: {طَيْرًا أَبَابِيلَ}، قال: إنما هي الجراثيم، من أجل أن توافق العقول. لا يتصور أن الله -عزَّ وجلَّ- يخلق طيرًا أبابيل يرسلها عليهم.

هؤلاء يأخذون السنة التي توافقهم، ويردُّون منها، إما تحت: حديث آحاد، وإما تحت باب: حديث اختلف فيه العلماء، أو تحت باب: هذا قول المتنطِّعين، أو تحت باب: إن العلماء قد اجتهدوا لزمانهم ونحن علينا أن نجتهد لزماننا كما قاله الزنديق، وطبعًا الزنادقة كثر، يملؤون السهل والوادي، والآن دخلت الزندقة على المشايخ، التحالف صار ما بين المفكِّر الذي لا يتقيد بالشرع وبين الفقيه، وقد ذكر هذا التحالف محمد سعيد رمضان البوطي في كتابه (الجهاد كيف نفهمه وكيف نمارسه)، قال في بداية الكتاب: "أنا شكا لي جودت سعيد قال: أنا مقتنع أنه ليس هناك جهاد هجومي -جهاد الطلب غير موجود- ولكني أعجز عن بيان أدلة هذا القول من كلام الفقهاء!".

هو مقتنع، لم يقرأ المسألة ماذا يقول الله، هو فقط مقتنع، رأى في المنام أن جهاد الطلب لا وجود له! فأين فزع هذا المفكر الذي لا يعرف طريقة الفقهاء ولا يعرف كيف يقرأ الكتب الفقهية؟ فزع إلى الفقيه، والفقيه ضبطها له!!

الحديث هذا العلماء تكلموا فيه، هذا فيه رجل ضعيف إلخ، وبعد ذلك أدخل في الخلاط؛ يخرج في النهاية خلقًا مشوَّهًا، الرأس مكان الرجل، والحذاء في الرأس، والطربوش والعمامة في الرجل، وهكذا. فهذا نقل من ابن حجر، وهذا من ابن حزم، وهذا من ابن تيمية، -مع كرهه لابن تيمية؛ فكيف يأتي بكلامه؟! لا يهم-، وهكذا حتى تخرج المسألة.

فهناك زنديق لا يعرف يفكر، يحترم الدين ولا يريد أن يخرج من الدين، ولكنه غير مقتنع! هؤلاء مجموعة المفكرين هم أفسد خلق الله، هم أفسدوا الحركة الإسلامية. أنتم ترون الحركات الإسلامية من قادتها؟ إما مستشار قانوني، إما محامٍ، إما دكتور، إما فنان، وهكذا. فهؤلاء يخرجون يجلسون مع النصارى يقول لهم النصراني: يا شيخ، أليس الإسلام دين العدالة؟ يقولون: نعم الإسلام دين العدالة ودين المساواة -هم عندهم عبارات عامة-، فيقول لهم النصراني: فكيف لا يُقتل مسلم بكافر؟ فيقولون: انتظر قليلًا، يتصلون بالشيخ يقول: هذا قول ضعيف! وأبو حنيفة يقول: يُقتل المسلم بكافر. وبعد ذلك يصبح هذا القول هو المتبنَّى.

فالفقيه دوره أن يُرقِّع للمفكر، بعد ذلك الناس قالوا -مثل محمد شحرور ومحمد أركون-: قضية الفقه أصلًا متخلفة، الفقه هذا نشأ في عصر التخلف! تقول لي الآن: قال ابن حزم وقال ابن تيمية وقال الشافعي! هذا فقه متخلف، الآن هناك فقه حضاري عليه أن يُساير الواقع!

فأتوا إلى القرآن والسنة -وطبعًا لا خبرة لهم بها ولا يلتفتون إليها-، وصاروا يستخرجون منه أقوالًا غريبة، اسمعوا ماذا قالوا:

الآية: {وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ} نزلت لنساء عربيات يُغطين رؤوسهن قليلًا، ويكشفن وجوههن، وتمشي ودِرعها مفتوح من جهة صدرها، كانت متسترة ولم تكن العربية تمشي بـ"النص كوم"! لكن كُنَّ يخرجن ويغطّين شعورهنّ لكن تخرج وهي فاتحة الدرع، فقال لهم القرآن وليضربن بخمرهن، يعني الخمار الذي يُغطي رأسها يغطين به الجيب.

قالوا: هذا تفسير قديم وانتهى، الآن {وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ}، نرجع ما هو الجيب؟ قالوا: الجيب هو الشيء المستتر بين شيئين، يعني هذا بين الإصبع والإصبع جيب، وسُمي هذا جيبًا لأنه يكون بين الثدي والثدي، فهو كالنحر يُسمى جيبًا. قالوا طيب ما هو الشيء الذي بين شيئين؟ بين الأصابع، وتحت الإبط، وراء الأذن، وتحت الثدي، وبين الشفرتين، وانتهى الموضوع، وهذا الذي عليها أن تستره.

وقالوا: النبي ﷺ كان يتوضأ خمس مرات، وقديمًا كانت المياه قليلة والناس رائحتهم كريهة، أما اليوم فالمياه كثيرة، والناس كلهم في الصباح يستحمون؛ فأيهما أفضل: كل مرة يذهب يتوضأ ويغسل يديه ووجهه أو يستحمم في الصباح مرة واحدة؟ فقالوا أنه لا ضرورة للوضوء ما دام أنك تغتسل كل يوم! هذه قالها المجرم شحرور.

أين سيفك يا عمر؟ هؤلاء لا ينفع معهم حكيم، هم مِن أحقر خلق الله، محمد شحرور أعطى محاضرة لم يستطع أن يقرأ القرآن، ومع ذلك يفسر!

هناك واحد ثاني في مصر ابن أحمد أمين اسمه حسين أحمد أمين، له كتاب اسمه (دليل المسلم الحزين)، قال في قوله –سبحانه وتعالى–: {إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ}: هذا لما كان هناك قطاع الطريق بكثرة والناس لا يأمنون، أما الآن انتشر الأمن فما من ضرورة لهذا. وهكذا تغيَّرت الشريعة وكلما جاء حديث قالوا أصلًا الحديث مكذوب ودخل عليها ما دخل.

رتبَّها لهم محمود أبو ريَّة، وقال: "أحاديث البخاري ومسلم كلام فارغ وفقط علينا بالقرآن"، وكما قال بعضهم: "القرآن دستور أخلاقي أتى بالقيم العامة، أما القضايا المحددة الفرعية فهذه الناس يجتهدون بها".

طبعًا واحد يقول لي: أنت أسأت للمعتزلة بهؤلاء. الحقيقة هذا صحيح؛ بالفعل المعتزلة ما كانوا بهذه الدرجة وإن وُجد فيهم، كما قلت لكم عمرو بن عُبيد الذي قال هذه المقالة المجرمة، لكن في الحقيقة هؤلاء لا دين لهم، والمعتزلة كانوا يصلون وتجد أغلب هؤلاء لا يصلون.

نيازي مصطفى وهو على دين محمد شحرور، ألف ثلاثة كتب اسمهم: (إنذار من السماء)، (دين السلطان)، والثالث نسيته. ابنه اتصل بي، وابنه رجل من الخيار وهو يُهدي الكتب إليّ، وابنه –بفضل الله– يكفّره لأنه زنديق. فسألته أنا وقلت له: هل هو ملتزم يصلي ويصوم؟ قال: لا يصلي ولا يصوم. فهؤلاء أصلًا لا دين عندهم.

لكن الغريب في الأمر أن ما يقولونه يرتكزون فيه على كلام فقهاء التلفيق، هنا الخطورة، يرتكزون على ما يقوله يوسف القرضاوي –يوسف القرضاوي حبيب إليهم–، ويرتكزون على ما يقوله محمد الغزالي –وهو حبيب إليهم–، ويرتكزون على ما يقوله محمد سعيد رمضان البوطي –وهو حبيب إليهم–، وهؤلاء يرون أن الخلاف يسير.

ولذلك جودت سعيد في رسالة له يقول: "حتى لا تُسمُّوا المخالفين كفارا: {وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ}، الله أعلم من على الصواب، أنتم لا تسموهم كفارًا". وهكذا نسخوا الشريعة وبدلوا الدين، والخطورة -كما أقول- أن أفكارهم دخلت بتقنين يسير باحترام الشريعة على المشايخ وعلى ما يُقال لها الحركة الإسلاميةّ؛ فالآن محمد عمارة ومحمد سليم العوا تجدونهم مع من؟ مع قادة الحركة الإسلامية.

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

17

إن الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلله فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى صحبه الغر الميامين، الذين نصروا هذا الدين ورفعوا منارته، وعلى من تبعهم بإحسان وهدى إلى يوم الدين، جعلنا الله -عزَّ وجلَّ- وإياكم منهم، آمين.

هناك مسألة مهمة، وهي:

من أحيا فكر المعتزلة ولماذا؟

لماذا صار الاهتمام به؟ ربما أهل المساجد لا يعنيهم هذا الحديث، فهم مطمئنون بإيمانهم ومطمئنون إلى فطرتهم، والفطرة دليل يقيني وتتغيَّر بفعل عوامل داخلة عليها، كقوله ﷺ: (فأبواه يُهوِّدانه أو يُنصِّرانه أو يُمجِّسانه)[94].

فأهل المساجد لا يهتمون، وإنما الخوف من أئمة المساجد ومن أئمة الحركات أن يلموا بهذه المعتقدات لمة أو لمات فيبثُّوها في دروسهم. وهذا الذي وقع في التاريخ، فالمعتزلة خطابهم عقلي لا تقبله الفطرة، هم زعموا أن خطابهم خطاب أهل الحكمة وأن العوام لهم الخطاب الإخباري الذي في القرآن والذي فيه التخويف وفيه الترغيب والترهيب، قالوا: هذا لا ينفع للحكماء، الحكماء لا يضرهم ولا يهتمون لتخويف ولا ترغيب، وإنما خطابهم عقلاني بحت.

بالرغم أنهم اعترفوا بعد ذلك -أي المتكلمون- أنهم لم يصلوا إلى اليقين إلى عن طريق برد الطاعة على القلوب، وحدثت في ذلك قصص منها من وصل في لحظة موته، وقال: "ليتني أموت على دين عجائز نيسابور" كما قال الجويني، وبعضهم مثل الرازي قال: "أنام فتأتيني الفكرة فأرد عليها، ويأتي رد الرد وهكذا أُقلِّبها حتى ينبلج الفجر ولم أصل فيها إلى قول"، فهو مضطرب.

فالعبادة التي عليها الصحابة وعدم الانشغال بالتعمُّق الفكري الذي لا ضرورة منه، فالتعمق الفكري والتفكير دين يستغرق جميع العبادات كما قلت لكم مرة، إن التفكير هو أعظم عبادة في الإسلام، تقول أم الدرداء الصغرى: "إن

---

[94] صحيح البخاري: (1358).

أعظم عبادة لأبي الدرداء كانت التفكر"؛ فالفكر مهم ولكن التفكير الفلسفي المنطقي -كما قال شيخ الإسلام عنه-: "كلحم جمل غثّ على رأس جبل وعر؛ لا سهل فيُرتقى ولا طيّب فيُنتقى"، يعني ليس سهلًا ولا طيبًا.

فالتفكير المنطقي يورث الخصومات التي تُشتِّت الأمة، ولذلك ما انتشرت البدعة الكلاميَّة في الأمة إلا وكانت الغلبة للكفار ولأهل البدعة على أهل الإسلام. انظروا لما حدثت الفتن الأولى وغلب أهل البدعة؛ جاء التتار والصليبيون وحدثت الفتن والحروب بين أهل الإسلام، وقد فصَّلنا شيئًا يسيرًا عن غلبة الباطنية على الأمة، كيف غلبت على مصر وعلى الجزيرة العربية حتى وصلت ودخلت دمشق، كيف غلبت على المشرق الإسلامي فيما يُقال له وراء النهر، حتى في خراسان التي هي الآن أفغانستان، وما وراء النهر حتى يُقال لها الجمهوريات الإسلامية المستقلة عن روسيا. من الذي جعل هؤلاء الزنادقة يحكمون الأمة؟ هو غلبة الكلام، انتشار الكلام لا قيمة له.

الآن أنت مطمئن، أنا عبد لله، الله -عزَّ وجلَّ- قادر على كل شيء، ولا يُعجزه شيء، وأني أعمل بتوفيق الله إن عملت طاعة، وأن الله خلَّى بيني وبين المعصية وحُرمت العصمة والتوفيق، وأنا أدعو {رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ}، فأنت تفهم هذه فهمًا فطريًا، وهذا هو الدين.

وبعد ذلك يكون انشغال المسلم بمثل هذه المسائل يسير، وانشغاله الأكبر بالعمل، وينشغل بالعبادة كالصلاة، وذكر الله، تكون له الأوراد في ليله ونهاره، تكون له الصلاة على النبي ﷺ، تكون له قراءة القرآن، تكون له الصدقة، يكون المسلم الفاعل أو كما أسميه دائمًا يكون المسلم الصحابي الذي يعمل.

ولذلك علاج عمر لأصحاب الكلام المتعمِّق النظري الذي لا يورث إلا كثرة الكلام وبالنتيجة كثرة البدع، عالجهم بأي طريقة؟ ما عقد المناظرات ولا مجالس العلم، فإن صبيغ بن عسل -على خلاف في اسمه ابن عسل أو ابن أسيل، لم يضبط الرواة اسم هذا الرجل- بدأ يسأل أسئلة في المتشابه في القرآن فجاء إلى عمر وعمر عالجه بأفضل طريقة، أخذه وأقامه في الشمس وضربه، يمر عليه في الفجر يضربه، يمر عليه في الظهر يضربه، وهو يقيم في الشمس. فبعد ثلاثة أيام قال له: "يا عمر إن أردت قتلي فأحسن قتلي، أما إذا أردت أن يخرج الشيطان من رأسي فوالله قد خرج".

ولذلك هذه التُّخمة في البطن تصنع التُّخمة في العقل، أما المسلم العامل والصحابة لم تعقد بينهم جلسات المناظرة والحديث المطوَّل الذي لا قيمة له؛ هل الإرادة سابقة على الفعل؟ هل الاستطاعة تكون قبل الفعل أم مع الفعل؟ أنت حتى تُفهمها للإنسان العادي تحتاج إلى دروس متعدِّدة وأيام وهو ينشغل بها، في النتيجة ما هي ثمرتها؟ ثمرتها الوصول

إلى تلك العبارات الرائعة التي قال بها القرآن: {وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ} انتهى، {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ}، {فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ}، عبارات جامعة عميقة واضحة المعالم لا لبس فيها ولا غموض. فهذه القضايا الكلامية حقيقة أفسدت الأمة.

وتصوَّروا؛ ذكر الرواة والإخباريون أنه كانت تُعقد مجالس المناظرة في المآتم، وحتى أفتى بعض الحنفية في خراسان بجواز الإفطار في رمضان من أجل التَّقوي على مناظرة الخصم في هذه المسائل!

من الذي أحدثها؟ أنتم رأيتم أن معبد بن عبد الله بن عليم الجهني أول من أتى بالقدر، من شيخه؟ سوسن النصراني. من الذي أحدث السبئية والقول بالإمامة والعصمة؟ رجل يهودي. فهذه أفكار ليست من أهل الإسلام، الإنسان المسلم الصحابي هو الإنسان العامل.

تصوروا ماذا أحدثت قضايا القدر؟ عندما قالوا: "إن الكون مكوَّن من شيئين" وهذا حق، قالوا: مكوَّن من جواهر وأعراض. طبعًا هل هم أخذوا الذرة وأخذوا الشيء وذهبوا به إلى المختبر وحلَّلوه حتى اكتشفوا من ماذا تتكون الأشياء؟

لا، جلسوا هكذا وتأملوا من ماذا يتكون المعدن، من ماذا يتكون الهواء، من ماذا يتكون التراب، ويتأملون. لكن هل أنشؤوا معامل لتحليل هذا؟ لا.

تصور أنهم قالوا بنظرية (الذَّرة) أو التي كانوا يسمونها قديمًا بنظرية (الجوهر والعرض)؛ الجوهر هو الشيء الحامل، العَرَض هو المحمول. العَرَض مثل: اللون أو الطعم أو الطول أو العَرْض، هي الصفات. أما الجوهر فهو: أصل الشيء الذي يحمل هذه الأعراض. قالوا: إن كل الأشياء مكوَّنة من جواهر وأعراض، وهذا صحيح وثبت أن كل شيء يتكوَّن من الذرات، لكن بعد ذلك بالتأمل وليس بالاختبار، قالوا: إن الجواهر هي أصغر شيء ولا يُمكن أن يصغُر الجوهر الواحد وأن ينقسم. وهذا غير صحيح فقد ثبت أن الذرة قد انشطرت، قذفوا النواة وخرجوا بهذه الطاقة الكبيرة التي يستخدمونها لأمور سلمية كتصنيع الكهرباء وغير ذلك، وأمور من أجل الحروب وما يُسمى بالقنبلة النووية.

ثم قالوا: إن النواة أو الذرة أو الجوهر متشابه في كل شيء، كيف؟ قالوا: ذرة الأكسجين هي عينها ذرة الحديد وهي عينها ذرة الذهب! فقالوا: إن الذرات متشابهة في كل شيء، والجوهر شيء واحد. وهذا أدى بهم للقول بأنه لا يوجد

شيء قبيح وشيء حسن وأن الأشياء لا تحمل في ذاتها حسنًا ولا قبحًا، حتى يهربوا –كما يقولون– من المذهب الطبيعي، فهربوا إلى شيء باطل.

ما الفرق بين البول وبين الماء؟ لا يوجد ثمة فرق في الذات وإنما الفرق في الصفات. ولذلك قال الغزالي في (المستصفى): "هي أمارات وليست حقائق". وهذا باطل، هل ذرة الأكسجين مثل ذرة الذهب؟ بل ذهبوا إلى أكثر من ذلك مما يُقال له الكيمياء قديمًا (البحث عن الذهب)، ولذلك قيل: من انشغل بالكيمياء أفلس، ضيع أمواله دون أن يصل إلى ذهب ولا لشيء.

طيب كيف تُفرِّق بين الذهب والفضة؟ قالوا: للعلاقة بين الجواهر لا لذات الجواهر، فإن العلاقة بين الجواهر ليست علاقة تفاعل ولكن علاقة تجاور؛ فالذرات بين الذهب قد تكون متباعدة أكثر من الذرات التي تكون في النحاس فقط. إذًا كيف يكون هناك فيل ويكون هناك قرد؟ قالوا لكثرة الذرات وإن كانت الذرات واحدة. وكل هذا ثبت بطلانه، وكل هذا الذي قالوه حديث عن أمور قدريَّة كان ينبغي أن يتعاملوا معها وأن يكتشفوها: {أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا}.

فإذًا أيها الإخوة التعمُّق في العقليات لا يُوصل إلى خير، الصحابة عباراتهم قليلة لكنها مُفعمة بالحكمة وكلها فيما يكون فيه العمل؛ كيف نُطبِّق أمر الله؟ فهنا كانت الفاعلية في العمل، القليل في الكلام، والعقل منشغل في تطبيق الأمر الإلهي، **فصار الإبداع في تطبيق الأمر الإلهي**: أبدعوا في تسيير الدولة، انظروا إلى ما أحدث عمر –رضي الله عنه– في الدواوين وتنظيم الدولة والجنود والعطاءات، كيف انشغلوا بصناعة الجيش، نحن عندنا جهاد فكيف نتقن هذا الأمر الإلهي بحيث يصل إلى المقصد بتحقيق العزة؛ لأن الجهاد ليس عملًا لا مقصد له لكن هو عمل لتحقيق النصر فكيف نحقق النصر. هذا القرآن أمرنا الله بحفظه الآن مشتت، صار خلاف كيف نحفظه. فصار ما يُقال له الإبداع من أجل تحقيق الأمر الإلهي.

انتشر الصحابة في البلدان ولا بد أن يكون لهم أمصار خاصة بهم، ينشئونها بأصول التقوى: {أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ}، خططوا المدن تخطيطًا خاصًا لأهل الإسلام، في الوسط يكون المسجد ودار الإمارة ودار الجند، وبعد ذلك الأسواق وبعد ذلك البيوت، ويقسمونها أرباعًا حتى يُسمى الرَّبْع، رَبْع بني فلان، ولذلك لما قال: "هل ترك لنا

عقيل من دار أو رباع"، لأنهم كانوا يقسمون المدن إلى رباع. ويُقال: الرَّبْع لأنهم كانوا يُربِعون فيها أي يقضون الربيع فيها، فتجد أن المدن التي بناها أهل الإسلام مدن رائعة، تجد الأعمال العظيمة.

لكن تجد في الجانب الآخر من انشغلوا بالكلام فأفسدوا الأمة وعطَّلوا عليها طاقتها، والإنسان له طاقة إما أن يبذلها في العمل وإما أن يبذلها في الكلام، والكلام لا يأتي منه خير إنما الخير في العمل، والكلام لا يكون فيه خير إلا فيما يُنتج عملًا: فيما يُنتج عملًا، كيف أنت تصلي، كيف تتصدَّق، كيف تجاهد، كيف تحسن إلى إخوانك، كيف ترفق بالصغير، كيف تحسن إلى زوجك، كيف تعلم أبناءك، وهكذا. فالإنسان مشغول وهذا هو العابد.

ولذلك أيها الإخوة الأحبة الحديث في الكلاميات يُفسد، والكتب الكلامية أفسدت الأمة، لكن: من أحياها في هذا الوقت المعاصر؟

الآن لو سألتكم هل هناك بيت من بيوت المسلمين يخلو من (إحياء علوم الدين)؟ لا، لا تجد بيتًا يخلو منه، من أوائل الكتب التي طُبعت، حتى شرحه (تحفة المتقين) للمرتضى الزبيدي كذلك من الكتب التي طُبعت قديمًا، وكتاب (اللُّمع) لأبي نصر الطوسي من الكتب القديمة، لكن هناك كتب في السنة اليوم فقط تُحقَّق! المسانيد والأجزاء الحديثية، بل إن صحيح البخاري لا يوجد بين يدي الناس منه إلا روايتين فقط! وله روايات متعددة الناس بحاجة لها، والناس لا يعرفون إلا رواية خليط بين هذه الروايات التي حقَّقها الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد.

إذًا أين الاهتمام بالسنة؟ الاهتمام المتأخر، الاهتمام الأول كان الاهتمام بكتب الصوفية وبكتب المتكلمين –تحت أبواب الاهتمام بالعقائد–، بل إن الجامعات والمدارس والمحافل تهتم بكتب المتكلمين كالأشاعرة، الأزهر تجد الرجل في الحديث يقول لك: رواه البخاري والمرجع (نيل الأوطار)، دكتور هذا! يقول لك: رواه البخاري والمرجع (المغني) في فقه الحنابلة، لا يستطيع أن يرجع للحديث في البخاري. لكنه في الكلام يدرس المنطق ويدرس شرح (جوهرة التوحيد) ويدرس شرح (المقاصد) للتفتازاني، يدرسونها ومن أبصر الناس بها، مع أنهم من أجهل الناس في الحديث وما يحتاجه المرء المتدين.

فأول من قام بنشر التصوف وعلم الكلام هم المستشرقون؛ لوجود الأرضية من التخلُّف في داخل الجامعات –كالأزهر وكالزيتونة– بالنسبة لهذه الأبواب التي أتكلم عنها، وإن كانت هذه الجامعات اهتمَّت ورعت علوم اللغة واعتنت بها اهتمامًا جيدًا وحفظتها، كذلك بالنسبة لجامعة الهند قديمًا –لا يوجد باكستان وقتها–، كان يُقرَّر فيها

(العقائد النَّسفيَّة)، وفي المغرب الإسلامي كانت (السَّنُوسيَّة) المتن الذي كتبه محمد بن علي السنوسي الذي أنشأ الفرقة أو المذهب السنوسي الصوفي.

فكانت هذه الاهتمامات ونشروها في الناس. وصار الرجل يتعلم: "وأول واجب على المكلف هو النظر أو الشك أو السبيل إلى النظر، وأول واجب على المكلف أن يعرف ما يجوز في حق الله وما يجب وما يستحيل"، ولو سألته عن أدلة ذلك في الكتاب والسنة لما استطاع، فشغلوا الناس بهذا، بالنسبة للمساجد وبالنسبة للمراكز العلمية في العالم الإسلامي.

لكن الخطورة جاءت مِن قِبل ما يُسمى **بدارسي الفلسفة الإسلامية**، والإسلام ليس فيه فلسفة في الحقيقة، الفلسفة إنتاج فكري عقلي بشري، ولكن القرآن ليس كذلك. ولذلك لا يُقال: ما رأي القرآن، ولا ما رأي الإسلام، ولكن الصحيح أن يُقال: ما حكم القرآن، لا يُقال ما رأي الدين يا شيخ؟ الدين ليس رأيًا، الدين حكم: قال الله وقال رسوله وقال الصحابة.

فلماذا اهتمت المحافل الجامعية ودارسو الفلسفة بما يُقال له بنتاج المعتزلة؟

قلنا أنهم اهتموا بذلك أولًا لأن المعتزلة يُقدِّمون العقل على النقل، وهذا الذي يريدونه، وهذا هو الباب لينفتح باب إلغاء الشريعة، إما بردِّها باتهام الرواة لها وإما بعدم ضبطهم وإما بجهل ما يروونه، وإما بعدم دلالة اللفظ على المراد دلالة يقينية إلى آخر ما تكلمنا عنه.

لكن الأمر الذي اهتموا به جانبًا وهو جانب القضاء والقدر، وهو الباب الذي جعل المتكلمين يهتمُّون بهذا الأمر، وهو باب الإرادة الإنسانية وباب النظر إلى الأشياء.

انتشر أن أهل السنة دينهم هو الجبر، حتى أن بعض المشايخ مثل تقي الدين النبهاني في كتابه (الشخصية الإسلامية) في المجلد الأول للأسف نسب لأهل السنة ما هم براء منه لأنه خريج الأزهر، والأزهر يُدرِّس مذهب الأشاعرة تحت شعار أهل السنة والجماعة. وبعض الدارسين المتعمقين في باب القضاء والقدر كانوا لا يظنون أن أهل السنة يخالفون الأشاعرة في باب القضاء والقدر وهي باب الإرادة الإنسانية.

انتشر في مطلع هذا القرن **المذهب الإنساني**، وأن الإنسان هو سيد هذا الكون، وأن العقل لا يحُدُّه شيء، حتى إن بعضهم كما يقول أركون -وهو متأخر لكنه يعبر عما قاله الأوائل-: "إن الله خلق ثم استراح وترك الناس يقودون أنفسهم بأنفسهم وانتهى عصر الوحي وجاء عصر العقل". طبعًا الاكتشافات الحديثة غرَّت الإنسان، بدأ يكتشف ويبحث فأصابه الغرور من جهة عقله بالنظر إلى أنه يستطيع أن يقول كل شيء، وأن عقله ليس هناك ما يحدُّه، كل شيء يستطيع أن يفكر فيه، فالمذهب الإنساني يقوم على تأليه الإنسان.

طبعًا ظهرت بعض الفلسفات التي تؤلِّه الإنسان مثل (نظرية نيتشه) الذي يقول بالإنسان السوبر، الإنسان المطلق الذي لا يحُدُّه شيء، وطبعًا هذه النظريات مثل نظرية نيتشه وشوبنهاور أخذها النازية وجعلوا أن الإنسان السوبر هو العِرق الآري، ومن أجل ذلك هم يُعظِّمون العرق الآري، وهذا هو أساس مبدأ الحزب النازي وهو: الإنسان الذي فوق الكون لا يحده شيء.

هذا التعظيم للإنسان أنه هو الذي يقرر مستقبله وهو الذي يصنع حياته، قال بعضهم: "أعطني أنت عشرين طفلًا وأعطني من الإمكانيات ما أريد واطلب مني، هذا الولد سأُخرجه طبيبًا وهذا الولد سأخرجه مهندسًا وهذا سأخرجه فيلسوفًا، إذًا أنا الذي أصنع"، والإنسان إذا قرَّر لا يحجُزُه شيء.

ولذلك قال أبو القاسم الشابي:

إذا الشـــــعب يومًـــــا أراد الحيـــــاة فـــــلا بـــــد أن يســـــتجيب القـــــدر

إذًا الإنسان هو الذي يصنع حياته، ليس هناك أي علاقة بما يُسمى بالغيب، الغيب حتى ولو كان كما تقول الوُجوديَّة الإيمانية، **فالوجودية** تُقسم عندهم إلى قسمين: وجودية ملحدة، وهي التي سيطرت مطلع الخمسين والستين إلى أوقات متأخرة، وإن تلاشت قليلًا، التي نشرها جان بول سارتر وغيره من **الوُجُوديِّين** مثل أندريه جِيد وهو نشرها عن طريق القصص والمسرحيات. فهناك من الوجوديين من يُنكر الغيب. لكن الوجودية ما معناها؟ هي في الحقيقة ترجمة لقضية الأنا، الذات، ليس هناك شيء سوى أنت، وبمعنى هو تأليه الإنسان، حتى قالوا: "لو كان هناك إله فقد انتهى دوره"، خلاص خلقنا وما له دخل بنا، تركنا نصنع تاريخنا وحياتنا وما نريد.

طبعًا هذا ربما ارتداد عن الكنيسة، ربما تألُّه، كل هذه الاحتمالات موجودة، أنه غرَّ الإنسان أنه وصل إلى هذا وتكلم في كل شيء.

هذه المبادئ سُميت بالإنسانية، وحتى العلوم سميت بالعلوم الإنسانية وصار الحديث عن الإنسان، طبعًا هناك تأثُّر من المسلمين بهذا المبدأ -حتى المشايخ-، وقد أخرج مجموعة من المسلمين ينتمون إلى حزب "النهضة" التونسي (جريدة الإنسان)، وعنوانها يدل عليها، فصار النظر إلى الإنسان.

طبعًا هم اختلفوا هم هل الجمع هو الأقوى أم الإنسان الواحد هو المقدَّم، هل الفرد أم الجماعة؟ بين النظرية الليبرالية للحرية وبين الشيوعيين، والأغلب هي نظرية الحرية؛ أن الإنسان لوحده هو الذي يقرر، من أجل ذلك أفرزت ما يُسمى بالنظام الاقتصادي الحر، وأفرزت حرية الإنسان.

لا توجد حدود تحدك، أنت تصنع قانونك والشرع الذي تريده، لا يحدك شيء، أنت لما خُلقت خُلقت حرًا وليس لأحد أن يفرض عليك شيئًا! وأنت تصنع مستقبلك وتاريخك وأنت الذي تقرر الشرع الذي تريد!

هذه الفكرة كما ترون تخالف شرع الله من كل وجه، طبعًا وجدوا عبارات تناسبهم في الشرع كقول عمر: "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا"، لأنه حتى من يريد أن يكفر لا بد أن يجد عبارات في القرآن! حتى الذي يشرب الخمر ممكن يجد له دليلًا على شرب الخمر! مسألة الاحتجاج بالقرآن والسنة هذه مشهورة، الآن الذي يدخل البرلمان يحتجُّ بابن تيمية، والذي يُكفِّر داخل البرلمان يحتج بابن تيمية، والذي يرى الجهاد يحتجُّ بابن تيمية، والذي يرى حرمة الجهاد يحتج بابن تيمية، يعني التلاعب بالعبارات سهل حين لا يكون هناك الدين ومقصد التعبُّد، سهل جدًا أن يُتلعَّب باللفظ وأن يُلوى عنق النص، كما قال سيد -عليه رحمة الله-: يلوون أعناق النصوص.

فانتشر المبدأ الإنساني، نظروا إلى نِتاج المسلمين فلم يجدوا إلا النِّتاج **الأشعري**، والنتاج الأشعري هو نتاج الجبر، الأشعرية تقول **بالكَسْب**، ما هو الكسب؟ قالوا: الإنسان له إرادة لكن غير مؤثرة، نعم له إرادة لكن هي فقط علامة ليست لتحقيق الفعل ولكنها علامة من أجل تحصيل الجزاء والثواب، وأما هي فلا تُحدث الفعل.

فالكسب عند الأشاعرة أنه موجود للإنسان إرادة. طبعًا المعتزلة قالوا: إرادة مستقلة لا يتأثر بها لا خلق لله فيه ولا إيجازه بالفعل كما شرحنا، كما تناظر ميمون بن مِهران مع معبد الجهني، معبد الجهني قال له: أيحب ربنا أن يُعصى؟ فقال له: أيكون في الأرض ما لا يريد؟

فإذًا نحن عندنا أن الإنسان هو الذي يفعل، وهذا الفعل حقيقي، وهذه الإرادة مؤثّرة بوجود الشيء.

ما هي الاستطاعة؟ باختصار الاستطاعة هي سلامة الحواس مع عدم وجود المانع كما يقول ابن حزم، فإذا أنت فعلت فعلًا، أنا الآن أتكلم، هذا الكلام حدث بماذا؟ حدث بشيئين: بإرادة مني، وهذه الإرادة مؤثرة، وبقوة مني. بقوة وإرادة.

ولذلك جِماع حصول الفعل: لا بد من إرادة جازمة غير مترددة، ولا بد من قوة كاملة، القوة هي سلامة الحواس وعدم وجود المانع.

المعتزلة قالوا: لا، الإنسان يفعل والإرادة الكونية غير موجودة، والله -عزَّ وجلَّ- لا يخلق فيك الفعل، أنت الذي تُوجده، لو أراد الله منك ألا تصوم وأنت أردت أن تصوم يقع فعلك! تصور! تعظيم للإنسان.

فأتوا وقرؤوا النِّتاج الأشعري فوجدوا أن هناك إرادة لكن إرادة لأجل تحصيل الثواب والعقاب، لكنها غير مؤثرة بوجود الفعل. فالإرادة لا تُنتج فعلًا عند الأشاعرة لكنها محل العقاب والثواب، يعني أنت تريد فالإرادة من أجل حصول الأجر أو الإثم، لكن الفعل لم يحصل بإرادتك، فقالوا بإرادة غير مؤثرة. وهذه طبعًا فهمها صعب، حتى قالوا:

مما يُقال ولا حقيقة عنده معقولة تدنو من الأفهامِ

الكَسْبُ عند الأشعري والحال عند البهشمي وطفرة النظامِ

ولذلك حاول الرازي أن يفسرها كما في كتابه (التقديس) قال: الطريقة حتى تفهموها أن هناك رجلًا كبيرًا عملاقًا وحمل طفلًا وصعد به من أول الجبل إلى قمته، فهل الطفل صعد؟ تقول: نعم صعد، لكن هل تقول هو لم يفعل الصعود؟ نعم. قال: وهكذا نقول للفعل، الذي فعله هو الله لكن بصورة حدوثه في الإنسان، فقط هو جرى على الإنسان، لكن هو لم يفعل. وهذا هو الجبر في النهاية، هذا هو الكسب عند الأشعرية.

فنظر هؤلاء الدارسون الذين تأثروا بالدراسات الغربية وبالمبدأ الإنساني إلى النتاج الإسلامي فوجدوا أن الأشعرية هي الغالبة، حتى وجدنا مشايخ يُخطِّئون مذهب أهل السنة، كما قلت لكم تقي الدين النبهاني يُخطِّئ أهل السنة بالنظر للقضاء والقدر، لأنه لا يعرف مذهب أهل السنة في هذا الباب، فهناك أناس من المفكرين كانوا يحترمون الإسلام.

نعم هناك ناس أعرضوا عن الدين وكفروا به، وبدؤوا يبثُّون الزندقة بطريقة مُغلَّفة -بخلاف المتأخرين الذين بثوا زندقة صلعاء بلقاء لا ساتر لها-، لكن المتقدمين كما قال أحمد أمين يومًا: "عليك أن تهدم الدين من داخله، عليك أن تهدم الدين بخطاب أهل الدين".

لكن هناك بعض الدارسين يحترمون الإسلام لكن يرون أن النِّتاج لا يتلاءم مع العقل، وبدؤوا يدرسون نتاج الإسلام من الأشعرية بنظرة ناقد.

أضرب لكم مثالًا؛ هناك رجل اسمه علي سامي النشار، وهو رجل حقق بعض الكتب -أول من حقق الرسائل المشهورة مثل (السنة) للإمام أحمد (والرد على المريسي) للدارمي-، وفي كتاب منشور هو له أو لعمار الطالبي أظنه جزائري اسمه (عقائد السلف)، وله كتاب جيد اسمه (مفكرو الإسلام)، يصف لنا أحد تلاميذه قصة، وهذا حتى تعرفوا البيئات العلمية، عبد الرزاق السنهوري وهو الذي وضع القانون المصري والقانون الكويتي ووضع القانون العراقي والقانون اليمني وشارك بوضع القانون الأردني، ويُقال له أبو القوانين.

يقول لي أحد الإخوة ممن درسوا على يديه، مرة واحد قال له -وهو كان يُحدِّث عن الإجارة-: لكن يا أستاذ، هذا يخالف ما جاءت به الشريعة، فوقف له عبد الرزاق السنوري، وقال له: وهل يوجد في الشريعة باب في الإجارة؟! ومرة قيل له: لكن هذا يخالف ما جاء في الحدود، قال: في الشريعة هناك حدود؟!

تخيَّل رجلًا وضع هذه القوانين ولا يعرف أن في الشريعة هذه الأحكام! طبعًا بعد ذلك بدأ يدرسها وخرج بكفر جديد، من كفر إلى كفر، وهو الموائَمَة بين القانون المدني الفرنسي والألماني وبين الشريعة الإسلامية، على كل حال لما خرج من هذا خفَّ كفره لا بأس! فعلي سامي النشار أستاذ كبير، وكان مرجعًا، وتخرَّج من تحت يديه الآلاف، تصوروا الأسماء التي تسمعونها تخرجوا من تحت أسماء معدودة فقط.

فاروق أحمد الدسوقي -وهو له كتاب من أجود الكتب التي خرجت في هذا العصر اسمه (القضاء والقدر في الإسلام) في ثلاثة مجلدات، طُبع عدة طبعات وهو كتاب رائع جيد- حدث له أنه تعرَّف على الجمعية الشرعية، والجمعية الشرعية كانت قد اتفقت مع أنصار السنة، لأن عدو الله جمال عبد الناصر منع أنصار السنة فاضطروا أن يعملوا تحت باب الجمعية الشرعية، والجمعية الشرعية هي التي أنشأها الشيخ السبكي صاحب كتاب (الدين الخالص)، رجل إمام عظيم كان ثريًا وأنشأ التلاميذ وأنشأ ما يُسمى بالجمعية الشرعية -وهي سلفية إلا في باب الأسماء والصفات، ليست على طريقة أهل الحديث لكنه رجل فاضل إمام-.

أنصار السنة أنشأها محمد حامد الفقي مع أحمد شاكر، لكن أحمد شاكر خالفه وتكلم عليه كلامًا كما في كتاب (كلمة حق) واختلفوا، فبقيت أنصار السنة التي كونها الشيخ محمد حامد الفقي -رحمه الله-.

فالدسوقي اقترب من هؤلاء، فبدأ يقرأ في كتب ابن تيمية، فعرف ما هو القضاء والقدر، أهل الحديث في القضاء والقدر أقرب إلى المعتزلة منهم إلى الأشاعرة، يعني هم يُثبتون للإنسان إرادة ويُثبتون لله إرادة، لكن الأشاعرة يثبتون للإنسان إرادة والإنسان لا إرادة له. ففي أمر الواقع من أقرب؟ المعتزلة أفضل، لكن من باب تعظيم الله الجبرية (الأشاعرة) أفضل.

فهو قدَّم رسالة في الماجستير من مُتطلَّبات الدراسة مدروسة في القضاء والقدر في الكتاب والسنة، لم يرجع إلى كلام أحد، قال: لما سامي النشار قرأها ناداه، قال له: أول شيء أحضر المصحف، قال له: أقسم بالله أنك ما أخذت هذا الكلام من أحد، وفقط رجعت إلى الكتاب والسنة، فأقسم له، قال: هذا موجود في الكتاب والسنة؟ قال له: نعم، قال: أنا لا أعرف مذهب المسلمين في القضاء والقدر إلا مذهب الجبرية الذين ينفون إرادة الإنسان، فأحضر له بعض كتب ابن تيمية في هذا الباب التي تُبيّن، فسمح له أن يكتب رسالة الدكتوراه في القضاء والقدر على طريقة أهل السنة.

فإذًا الذي جعل الاعتزال ينتشر هو تعظيم المذهب الإنساني في هذا العصر مع غياب الدين الصحيح.

علينا أن نعترف بكل أمانة: إن غلبة الزنادقة والكفار في أمتنا لغياب أهل الدين الحق شئتم أم أبيتم، أهل الدين إما مبتدع وإما جاهل وإما ضعيف مستتر يخاف أن يظهر.

لما درسنا في الجامعة العقيدة، قاعدة المدرسين تقول: "سأتكلم كلامًا لا أفهمه أنا، ولا تفهمه أنت حتى يُقال عالم"! فكُتُب العقيدة التي تبحث هذه الأبواب عويصة لا تلتقي مع سهولة ما طرحه السلف وما قاله القرآن وما قالته السنة.

وجاء المذهب الإنساني؛ فأعرض الناس عن الدين وقالوا: هذا هو المذهب الصحيح، وبدأ انتشار هذا الأمر. وبعض الدارسين الذين قرؤوا في المخطوطات وبدؤوا يبحثون فيها وجدوا خلال الدراسة أن هناك فرقة من أهل الإسلام تقول إن الإنسان له إرادة مستقلة لا يحكمها شيء، وهي التي تصنع حياته وإذا خالف حتى القرآن والسنة فالعبرة بالعقل، وهي المعتزلة.

بحثوا عن تراث المعتزلة وبدؤوا يُخرجونه وبدأ ينتشر بين الناس، فقاموا بتحقيقه، ووجدوا أن فرقًا موجودة عندها هذه الكتب، وجدوا مثلًا كتب عبد الجبار الهمداني (المغني في العدل والتوحيد)، و(شرح الأصول الخمسة)، (إعجاز القرآن)، هذه الكتب الثلاثة له وُجدت في مكتبات اليمن لأن زيديَّة اليمن معتزلة، ووجدوا عند الإباضية هذا. وبدأ انتشار مثل هذه المذاهب الإنسانية بسبب انتشار المذهب الإنساني في أوروبا من أجل صدمة الكنيسة، وكذلك بسبب غياب الدين الحق من قبل المشايخ ومن قبل العلماء؛ إذا حدَّث المرء حدَّث بجبرية: الإنسان لا يُغيّر قدره، الإنسان لا يستطيع أن يفعل أي شيء، وهو محكوم من قِبل الله، حتى صارت هذه النظرة هي الإسلام وهذا هو القرآن، مع أن القضية ليست كذلك. والناس يُخطِئون في بابين ويغفلون عنها كما قال شيخ الإسلام في (الرسالة التدمرية): "أخطأ الناس في أمرين وبُعث النبي بهما: أولًا توحيد الشرع، وهذا الذي عليه القتال الآن، من أجل أن يكون الشرع كله لله {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ}".

والأمر الثاني الذي الحديث عنه ضعيف بين أهل الإسلام هو **توحيد القدر**، توحيد القدر يجب أن نهتم له لأن فهمه لديك أيها المسلم يعطيك الفاعلية في الأرض، يعطيك القوة ويفك لديك العِقال. والإرجاء والجبر بينهما تزاوج، الجبر يقول: لك إرادة غير مؤثرة، والإرجاء يقول: العمل ليس من الإيمان، ففي النهاية تبقى قضية المشاعر القلبية والموجودة عند المسلمين، يقول لك: يكفي أن قلبي معك، يقولون: يا عمي أقم الدولة ولما تُقيمها نحن أول من سيكون معك، كما قالوا: سيوفنا عليك وقلوبنا معك، يا شيخ ماذا تريد أن تغير وماذا تريد أن تفعل والعالم مسيطر؟! وهذا عدم فهم للسنة الإلهية في التغيير.

ويأتي مثل ماركس -مجنون مخبول وكان عاطلًا عن العمل وكان يضحك على أخته يأكل منها- بمبدأ، ويأتي واحد ذكي مثل لينين يأخذ هذا المبدأ ويُعطيه الفاعلية، وتصوَّر تقوم له دولة ويهز العالم! وهكذا يخرج واحد اقتصادي اسمه آدم سميث يقول: "دعه يعمل دعه يمر" فتنتشر.

إذًا لا تقل: أنا لا أستطيع أن أفعل شيئًا، الفاعلية في الأرض تبدأ من أن تأخذ هذا الدين وتعمل به حق العمل، أما "يا شيخ المهم الإيمان"! فدعها.

الآن يأتي شيخ في هذه القاعة يقول لكم: "اسمعوا أنتم صليتم التراويح، هذا غير كافٍ، والله لن تدخلوا الجنة حتى تموتوا! لن تدخلوا الجنة حتى تنفقوا مما تحبون، لن تدخلوا الجنة حتى تستشهدوا، لن تدخلوا الجنة حتى تجاهدوا، لن ينفعك إيمان حتى تكفر بالطواغيت وتُعلن"، فأنت جالس ترجف تقول: إيش هذا!

لكن تذهب على الجانب الآخر الشيخ واقف، ومعه "عدة النَّصْب" كما أسميها، يقول: "أيها المؤمنون بارك الله فيكم، أنتم هنا في لندن، انظروا إلى الناس كفرة، أنتم صليتم، إذا في الأرض مؤمنون فهم أنتم، الجنة مشتاقة لكم"!

بالله عليكم الإنسان صاحب الهوى الذي يريد الدنيا يأتي هنا أم يذهب إلى الأول؟! الشيخ يُدخله الجنة مجانًا. وهذا دين يشدُّك إلى الأرض ويسقط فاعليتك، يعطي صورة المسلم الشاذ، المسلم الضعيف، المسلم الجاهل.

لما جاءت صورة الشيخ المعمم والذي دوره أن يعيش على أقوات الناس، ويعيش على أموالهم وليس فيه فاعلية، وُجد الإسلام الرسمي. طبعًا هذه صورة ليست في باب الاعتقاد لكنها في الحقيقة مُكمِّلة لقضية صورة الفساد أو نهاية الفساد، الإسلام يصبح رسميًا، هناك واحد يُسمى "الشيخ"، هناك من يُسمى "إمام مسجد"، وهذا له الحق أن يقول في دين الله وأن يتكلم، يأتي يقرأ قرآن فيتكسَّب مالًا بقراءة القرآن، يؤم الناس ويتكسَّب، صورة الإسلام الرسمي. طبعًا للأسف الإسلام الرسمي صار جزءًا من النظام الطاغوتي، وصار جزءًا من تكميل صورة الدولة الخبيثة المعاصرة، لكن الأساس الذي نشر فكر المعتزلة هو الغلبة على أهل الملة، وأن الإرجاء هو دين القرآن والسنة، وانتشار المذهب الإنساني.

وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

18

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلله فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى صحبه الغر الميامين وعلى من تبعهم بإحسان وهدى إلى يوم الدين، جعلنا الله -عزَّ وجلَّ- وإياكم منهم، آمين.

تكلمنا عن بعض الفرق في الدروس الفائتة؛ فتكلمنا عن الخوارج ثم تكلمنا عن الشيعة بأقسامها، ثم تكلمنا عن القدرية التي ساقنا الحديث عنها إلى الحديث عن المعتزلة، وأنا أعطي لمحات وفي كل باب من أبواب هذه الفرق أترك لطالب العلم أبوابًا متعددة ليرجع إلى الكتب المعنية في البحث والباب، ولكني أنبه على بعض الأخطاء المهمة وأحاول أن أبين الآثار التي بقيت بصماتها على وجود الأمة وواقعها وعلى قلب العبَّاد والعاملين لدين الله -سبحانه وتعالى-، والآن نصل مضطرين إلى **الأشاعرة**.

الأشاعرة

الأشاعرة هم ثمار لفرقة لا وجود لها في واقعنا، لكنها موجودة في كتب أهل العلم الذين تحدثوا عن الفرق وخاصة كتاب (الفصل) لابن حزم، وكتب شيخ الإسلام ابن تيمية فإنها تربط بين الأشاعرة وبين **الكُلَّابية**، محمد سعيد بن كُلَّاب، أو سعيد بن كلاب، واختلفوا في سبب تسميته بهذا الاسم فقال الأكثر: إن سبب تسميته بالكلابي أنه مناظر شديد، فإذا انقض على خصمه في المناظرة كالكلب الصائد، لا يُفلت صاحبه حتى يأخذ منه أخذة.

وابن كلاب نشأ في خراسان، وفي ذلك الوقت نشأت فرقة لا وجود لكتبها بين أيدي الناس ولا لكلام رجالها وبعض أهل العلم يُكّذب الأخبار المنسوبة إليها، أنبه عليها تنبيهًا لأن القارئ في كتب الفرق يجد كلامًا منسوبًا إليها لكنه لا يجد هذه الفرقة، وهي فرقة **الكرَّامية** لمحمد بن كرام السجستاني. هذه ينسبُها أصحاب الفرق إلى التَّجسيم، يقولون إنها تقول بالتجسيم يعني تقول إن الله -عزَّ وجلَّ- له جسم يشبه أجسام مخلوقاته، طبعًا الله -عزَّ وجلَّ- ليس كمثله شيء، ولا نتصوَّر أن قومًا من المسلمين المنتسبين للإسلام يقولون هذا الكلام، ولذلك شكَّك ابن تيمية في أن تكون هذه الأقوال صحيحة إلى أصحابها.

وممن نُسب إلى التجسيم مقاتل بن سليمان، وهذا إمام بحر في التفسير، وروى له الإمام البخاري وأخذ عنه الإمام الشافعي؛ فكثيرًا في كتاب (أحكام القرآن) ما يروي الإمام الشافعي عن مقاتل بن سليمان في التفسير، وهو مع ذلك نُسب للتجسيم، وهذا يُشكِّك في أن رجلًا يقرأ القرآن ويقول بالتفسير ويكون حجة في تفسير القرآن ثم يأتي ويُجسِّم الرب! لكن لفظ "الجسم" موهم، وهذا خطأ يقع فيه المتأخرون حين يُنزلون ألفاظ القدماء على ما استقرَّ عليه الاصطلاح عند المتأخرين.

فلفظ الجسم لم يأتِ له مُثبتٌ ولا نافٍ في الكتاب والسنة، إنما نفى ربنا المِثليَّة في قوله: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}، فلو قال أحد: هل الله شيء؟ كما قال عبد العزيز الكناني في مناظرته المشهورة لبشر المريسي في كتاب (الحِيْدة)[95] -ويخطئ الكثير حين يقولون الحَيْدَة-.

ففي كتاب (الحيدة) قال عبد العزيز الكناني -صاحب الشافعي- لبِشر: "هل الله شيء؟"، شيء في كلام المتأخرين لا تُطلق إلا على المخلوق، لكنها تُطلق في لغة العرب على إثبات الوجود، لإثبات هل هو موجود أو غير موجود، كما

[95] وهذا كتاب شكك الذهبي في نسبته لعبد العزيز الكناني، وهو إمام من أقران الإمام الشافعي. وفي الحقيقة أنه له، لكن الرواية التي وصلت للذهبي فيها رجل مضعَّف، ولكنه رُوي بمرويات أخرى ليس فيها هذا الرجل المضعف من قبل أهل الحديث. وثانيًا الكتب التي تُروى لا تُعامل معاملة الأحاديث في اشتراط ضعف الراوي ولا معرفته، وإلا لضعَّفنا كثيرًا من الكتب التي لم تصلنا إلا عن طريق رجال مجهولين عند أهل الحديث، مجهول أي لم يُوثِّقه أحد، الذي يُقال له "المستور" أو "مجهول الحال" أو "مجهول العين"، هو قد يكون معروفًا وقد يكون حاكمًا أو خليفة لكن يُقال عنه: مجهول، يعني روى عنه واحد ولم يوثِّقه أحد فهذا يُقال له: مجهول العين أو مجهول مطلقًا. وإذا روى عنه اثنان فأكثر يُقال عنه مجهول الحال مستور. أو يرويه رجل مُضعَّف إذا روى من حفظه، لكن إذا روى من الكتاب فهو ثقة.

أبو بكر القُطَيْعي -هذا الذي ليس لنا رواية للمسند إلا له-، وهو تلميذ عبد الله بن أحمد بن حنبل، و(المسند) لم يسمعه من صاحبه الإمام أحمد بن محمد بن حنبل إلا ابناه صالح وعبد الله، لأنه ألفه في آخر عمره، ولذلك كما قال الذهبي: "كثُر فيه عدم الترتيب"، يعني ربما يروي حديثًا لعبد الله بن عمرو بن العاص في مسند عبد الله بن عمر وهذا يقع وموجود. القصد من الذي روى لنا المسند؟ رواه عبد الله عن أبيه، من الذي رواه عن عبد الله؟ أبو بكر القطيعي، وهذا رجل عليه كلام. ومحمد زاهد الكوثري اتهم (المسند) لاتهام هذا الرجل، وهذا باطل.

فلا يُشكَّك في الكتب إذا وصلت إلينا من طريق رجل مجهول، لأنها تصل إلينا عن طريق الوِجادة، تعرفون الوِجَادة؟ من روى البخاري؟ الآن الأسانيد كلها للبركة، من أجل حفظ خاصية الإسناد التي امتازت بها هذه الأمة فقط، وإلى الآن الأسانيد بالرسالة ترسل إلى الشيخ الفكهاني إلى الشيخ الفاداني في مكة تكتب له: أعطني الإجازة في كتبك، فيرسل لك الإجازة في كل مروياته، وأنت لم تسمع منه حديثًا وهو لم يسمع منك حديثًا، لكن الإسناد فقط لبقاء مزية الإسناد لهذه الأمة.

قلنا لكم سابقًا: عندما قال الباطنية: هل الله موجود؟ قالوا: موجود يعني مفعول فلا بد من فاعل، فقالوا: هو الله غير موجود. إذًا نفيتم حقيقته! قالوا: ولا نقول غير موجود.

فلا بد أن نعرف مقصد المتكلم، فلما نقول: هل الله شيء؟ قال له بشر المريسي: لا الله ليس بشيء، قال له: ما تقول في قول الله -عز وجل-: {قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ}؟

فإذًا أيها الإخوة الأحبة، ربما قال ابن كرَّام السجستاني أن الله جسم، ولا يعني مشابحة المخلوق؛ لأن لفظ الجسم لم ينفه القرآن ولم تنفه السنة ولم تثبته، والأصل في الألفاظ الموهِمة ألا تنفيها ولا تُثبتها، وتسأل عن مراد المتكلم بها؛ فإذا قصد معنى صحيحًا تُثبت، وإذا قصد معنى باطلًا ولو تكلم بالكتاب والسنة تقول هذا باطل.

الآن الأشعري قال بالكسب، والكسب كلمة قرآنية {بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}، الكسب كلمة قرآنية لكن لها معنى باطل عند الأشاعرة، فننفيها مع وجود هذا اللفظ في الكتاب الكريم.

فالقصد أنه لا يوجد بين يدي الناس كتب عن المجسِّمة الذين قالوا أن الله -عز وجل- يشبه مخالوقاته. والحرب في سجستان وفي خراسان كانت حربًا بين الكراميَّة وبين الكُلابيَّة، والكلابية يؤوِّلون الصفات وخاصة الصفات الإرادية. المعتزلة بثُّوا شرًا في الأمة، قالوا لهم: أنتم قلتم أن الله -عز وجل- يريد، إذن الإرادة هذه حادثة. كلمة "حادثة" تأتي بمعنيين في لغة العرب: بمعنى مخلوقة، وبمعنى صارت بعد أن لم تكن، لا يُشترط أن تكون مخلوقة، هي صفة لمن فعلها، فإذا كان فاعلها خالقًا فهي صفة الخالق، وإذا كانت للمخلوق فهي حادثة بمعنى مخلوقة.

لكن كلمة "مُحدَث" في القرآن لا تدل على المخلوق {مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ **مُحْدَثٍ** إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ}؛ مُحدَث يعني أنَّ الله تكلَّم به ولم يكن قد تكلَّم به سابقًا. فقالوا: أنتم تقولون بإرادة محدثة في ذات الرب، هذه المحدثة عندهم لا تعني إلا المخلوق، إذًا أنتم قلتم بحلول المخلوقات في ذات الله وهذا باطل، فهرب المعتزلة وهاجموا الذين يقولون ذلك. لم يستطيعوا أن يردوا عليهم فهربوا إلى البدعة.

وهذا الذي قاله ابن تيمية، قال: "ما نشأت البدع إلا بالمناظرات لبعض من قصر عن الفهم عن الله وعن رسوله بمناظرة المبتدعة، فيُلزمونهم بأشياء لا يستطيعون ردها بالكتاب والسنة، فيضطرون إلى إحداث الأقوال البدعية".

قالوا: إذًا ننفي حدوث الإرادة والأفعال التي لها تعلُّق بالإرادة، هؤلاء **الكلابية** نفوا الصفات الاختيارية الإرادية، أما الصفات التي هي صفات الذات التي لا تعلق لها بالإرادة فأثبتوها كالسمع والبصر والقدرة والحياة، واضطروا إلى قولهم بالكلام مع أن الكلام صفة لها تعلق بالإرادة –إن شاء تكلم وإن شاء لم يتكلم– حتى لا يقعوا في ما وقعت فيه المعتزلة، ولتصريح السلف بتكفير القائلين بخلق القرآن. لكنهم لما جاؤوا إلى تفسير القرآن فسَّروه تفسيرًا باطلا، فقالوا: القرآن كلام الله. وانتبهوا، لعبة الشعارات والألفاظ إلى يومنا هذا موجودة، يعني واحد يقول لك: "الإيمان قول وعمل"، لكن إذا حاققته وبحثت في معنى قوله وجدته يفسر هذا القول الأثري الحديثي السلفي بمعنى باطل، كما الآن يقولون: "القرآن كلام الله"، لكن على معنى باطل.

القرآن ما هو؟ الله تكلم به بعد أن لم يكن هذا القرآن موجودًا، يعني متى تكلَّم الله به؟ {وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ} متى حدث الكلام؟ لما جاء موسى للميقات. قالوا: لا، "القرآن معنى نفسي قديم قائم بالذات"، إذن هو المعنى النفسي، أما هل تكلم الله بحرف وصوت؟ قالوا: لا. هروبًا من حلول الإرادة الحادثة في أفعال الرب –عز وجل– في ذاته، هروبًا من القول في الصفات الاختيارية: إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها، ولكنها صفة من صفاته –عز وجل– لها تعلق بالإرادة.

هذه المعتقدات الموجودة طبعًا لم تنتشر في العالم الاسلامي وبقيت في مشرق العالم الإسلامي في خراسان، وبقي الصراع بين الكلابية وبين الكرامية، فاتهم الكلابيةُ الكراميةَ بأنهم يقولون بالتجسيم؛ لكن أين الكتب؟ غير موجودة، فلا ندري.

هناك رجل ورث المعتزلة، رجل كان إذا كتب؛ كتب عشرات الصفحات في ليلة واحدة، ولكنه حين المناظرة يضعف، هذا الرجل اسمه أبو علي الجُبَّائي وهو من أواخر المعتزلة، وهو من معتزلة بغداد. بالرغم من أنه متأخر ولكنه ليس من معتزلة البصرة بل هو من معتزلة بغداد. كان هناك رجل مات والده صغيرًا، فأمه تزوجت أبا علي الجبائي، هذا الرجل اسمه علي، ثم بعد ذلك تلقب **بأبي الحسن**، ينتهي نسبه إلى الصحابي الجليل اليمنيّ أبي موسى الأشعري.

والأشعريون من اليمن: (يقدُم عليكم غدًا أقوامٌ هم أرَقُّ قلوبًا للإسلامِ منكم)[96]، وهم أهل علم وفهم، فأول ما وصلوا إلى النبي ﷺ كما في (البخاري) سألوه عن أول هذا الأمر، قالوا: "يا رسول الله، ما أول هذا الأمر؟"، ثم قال الرسول ﷺ: (إنَّ الأشعريِّينَ إذا أرملوا في الغزوِ أو قلَّ طعامُ عيالِهم بالمدينةِ جمعوا ما كانَ عندَهم في ثوبٍ واحدٍ ثمَّ اقتسموهُ بينَهم في إناءٍ واحدٍ بالسَّويَّةِ فَهم منِّي وأنا منْهم)[97]، مدحًا لهم لكرمهم.

أبو موسى الأشعري صحابي جليل، كان حسن الصوت بالقرآن وقال عنه ﷺ: (لقد أوتي مِزمارًا من مزامير آل داوود)[98]، والنبي ﷺ قال في الحديث الصحيح الذي رواه الإمام البخاري ومسلم: (ما أذِنَ اللهُ لشيءٍ، ما أذِنَ لنبيٍّ حسنِ الصوتِ، يتغنَّى بالقرآنِ، يجهرُ به)[99]، هذا لفظ الصحيح، وفي (البخاري) لفظ آخر ولكن انتقده الإمام الدارقطني وصوَّبه الخطيب البغدادي، وهو لفظ: (ليس منَّا مَنْ لم يتغن بالقرآن)[100]، وهذا لفظ غير صحيح بالرغم من أنه في (البخاري)، والإمام الدارقطني في كتابه (الاستدراكات) انتقده وكذلك الخطيب، وأغلب أهل العلم أقروا أن أبا عاصم النبيل الذي رواه عن ابن جريج، وابن جريج رواه عن الزهري، والزهري رواه عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة، أن أبا عاصم النبيل وهو شيخ البخاري، لكن رواه عنه من طريق إسحاق بواسطة ووهم فيه، وأن الطبقة الأولى من الرواة عن الزهري كشعيب وعقيل وسفيان ومالك لم يرووه بهذا اللفظ، فقالوا أخطأ فيه أبو عاصم الذي يقال له النبيل؛ وسمي النَّبيل لنُبله، كان عظيمًا في الفقه عظيمًا في الحديث عظيمًا في اللغة عظيمًا في نفسه، فلُقِّب من قبل أهل العلم بالنبيل، وله كتاب مطبوع اسمه (الدِّيات).

فأبو الحسن الأشعري ينتهي نسبه إلى الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري. ترَّبى في حجر أبي علي الجبائي وكان معتزليًا، وكان شديد المناظرة، إذا ناظر كان قويًا، ثم تراجع عن المعتزلة إلى أهل السنة، توفي هذا الإمام سنة 336 أو 331 اختلفوا وقالوا سنة 334 للهجرة.

لماذا تراجع من المعتزلة إلى قول أهل السنة؟

---

[96] صححهُ الألباني في السلسلة الصحيحة.
[97] صحيح البخاري: (2486)، صحيح مسلم: (2500).
[98] صححهُ الألباني في صحيح النسائي: (1020).
[99] صحيح البخاري: (7482)، صحيح مسلم: (792).
[100] صحيح البخاري: (7527).

صعد يومًا المنبر وهو مُتقنّع في مسجد الكوفة، وقال: "من كان يعرفني فهو يعرفني ومن لا يعرفني فأنا أبو الحسن الأشعري، خلعتُ دين ومذهب الاعتزال كما أخلع ثوبي هذا وخلع ثوبه، وأني أقول بما يقول به إمام أهل السنة الإمام أحمد بن حنبل".

لكن لماذا تراجع؟ هناك أسباب، ذكرتُ لكم المناظرة التي حدثت بينه وبين الجبائي في وجوب الأصلح على الله:

قال له: "ثلاثة إخوة، أحدهم مات صغيرًا، واثنان كبُرا، أحدهما صار كافرًا، والثاني صار مسلمًا، أين يذهب هؤلاء؟ قال: الصغير لا جنة ولا نار، والكافر النار، والمسلم إلى الجنة. قال: فالصغير يقول له: يا رب لماذا لم تُحيني فإذا كبرت صرت من أهل الجنة؟ -لأنهم يوجبون الأصلح على الله-، فيقول: لقد علمت أنك إن كبرت ستكفر وتدخل النار، فاخترت لك الأصلح وأمتك صغيرا، قال: حينئذ يحتج الكافر لماذا لم تُمتني صغيرًا ولم تُدخلني جهنم؟"، فسكت أبو علي. قالوا هذا السبب.

وقالوا: السبب الثاني أنه رأى رؤيا في المنام أن رسول الله جاءه ودعاه إلى ترك الاعتزال ونصرة السنة.

وقالوا شيئًا ثالثًا: أنه تناظر مع رجل سني فسكت، أُلزم بقضية وجوب الأصلح على الله.

أسباب متعددة، ولكنه ولا شك أنه من الأسباب تنقُّل هذا الرجل ومناظرته وكثرة أبحاثه مع الناس، وهكذا شأن المبتدع المناظر أنه لا يثبُت على قول. المهم أنه رجع وما تهمنا هذه القضايا، تجدون هذه الأخبار في كتاب (تبيين كذب المفتري على أبي الحسن الأشعري).

دخل أبو الحسن الأشعري بغداد، وبغداد من زمان تعشق -ليس بالمعنى الكامل لأن العشق لا بد له من الجنس- ومتيَّمة بالإمام أحمد، والحنابلة هم الذين يغلبون بغداد، لما دخل بغداد وجد رجلًا اسمه البربهاري ليس له كتب، له كتاب اسمه (صريح السنة) صغير مطبوع مؤخرًا، لكنه ليس فيه شيء كثير في الحقيقة، وفي صاحبه شدة، وكما قال أهل العلم: "زعارة"؛ شديد في ألفاظه يبالغ فيها، ولكنه كان حنبليًا وكان جَلِدًا في السنة، أهل التراجم يذكرونه بجلادة وشدة في السنة.

لما دخل وقال: أنا على مذهب أحمد، ما اطمئن إليه الحنابلة وطردوه، فألف كتًابا في ذلك سماه (الإبانة)، في بدايته قال أنه على مذهب أحمد، ونصر فيه القول بالرؤية، ونصر القول باستواء الله على عرشه، نصر القول بالأسماء والصفات والقضاء والقدر على طريقة أهل الحديث. هذا أبو الحسن الأشعري.

يقول النبي ﷺ عن المبتدعة: (لا يرجعونَ حتى يرتدَّ –السهم– على فُوقِهِ)[101]، من فوقه يعني: مكان خروج السهم، فعادة الذي تشبَّع بالبدعة ما لم يخض في السنة ويقرأها القراءة المستوعبة؛ فإنه سيبقى عنده بعض الهِنَات، وهذا الرجل مع نصرته للسنة ومع مدح الأئمة له –صار عند الناس إمامًا لأهل السنة–؛ إلا أنه بقيت به بعض الهنات وسُمِّيت طريقته **بطريقة الأشاعرة**.

والحق أن الأشعرية لا تنتسب لأبي الحسن الأشعري، إنما الإمام الذي نصر الأشعرية وبسط قوانينها وقواعدها هو أبو بكر الباقلاني، وهو من تلاميذ تلاميذه، هو الذي في كتبه نصر وقعَّد مذهب الأشاعرة، وإلا فأبو الحسن الأشعري ليس له كتب كثيرة في أبواب الاعتقاد، إلا كتابين فقط. وموجود له أكثر من 55 كتابًا هو ذكرها عن نفسه في كتاب آخر رآه المتقدمون –مثل أبو القاسم بن عساكر– اسمه (مقالات غير الإسلاميين)، لكن الكتب التي بيَّنت عقيدته هي الكتب التالية: (رسالة إلى أهل الثغر) وهي مطبوعة، والكتاب الثاني (الإبانة)، وبعض الأقوال التي نقلها تلاميذه.

والكلابية هناك جماعة من الأئمة الكبار الثقات على طريقتهم، فالإمام أبو بكر البيهقي إمام على طريقة الكلابية، وله كتابان من أمتع الكتب وأفضلها أحدهما خير من الآخر، الكتاب الأول اسمه (الأسماء والصفات)، والكتاب الثاني اسمه (الاعتقاد)، وهو خير من (الأسماء والصفات) لأن فيه هنات في قضية تأويل الصفات الاختيارية.

كذلك من الكلابية الإمام الحاكم أبو أحمد، نفرِّق بين الإمام أبي أحمد وأبي عبد الله، أبو عبد الله لم يكن كلابيًا وهو تلميذه، لماذا سمي بالحاكم؟ لأنه كان قاضيًا، ليس لمرتبة الحديث. يعني أعلى درجة في الحديث هي الحاكم، لكن أبو عبد الله الحاكم و أبو أحمد الحاكم سُمِّيَا بذلك لأنهما كانا من القُضاة.

الآن أبو الحسن الأشعري ما هو اعتقاده؟

---

[101] صححهُ الألباني في صحيح أبي داود: (**4765**).

أصحابه يقولون: له قولان في قضية الأسماء والصفات، قول بالإثبات على طريقة أهل الأثر، وقول بالتأويل. لكن المتأخرين أخطؤوا فجعلوا لأبي الحسن قولين: التفويض والتأويل، وكلاهما باطل ليسا لأهل السنة.

ما هو التفويض باختصار؟

هو آخر قول ظهر للأسماء والصفات، مع أن بعض الفضلاء ينتسب إليه مثل الإمام النووي –عليه رحمة الله– كما في مقدمة كتابه (المجموع)، يُرجِّح التفويض.

الإمام مالك لما دخل عليه الرجل قال: يا مالك ما الاستواء؟ قال: "الاستواء معلوم"؛ يعني معلوم المعنى، خاطبنا الله بكلام نعرف معناه، نعرف الاستواء وهو بمعنى العلو، فالاستواء معلوم. "والكيف مجهول"، إذًا المجهول هو الكيف، لم ينفِ مالك وجود الكيف، لكن نفى العلم به، إذن ما دام مجهولًا نَكِلُه إلى الله، أما العلم بالمعنى فنعرفه، وأما الكيف نكل علمه إلى الله. أن نكل علمه إلى الله، هذا هو التفويض. ولكن التفويض عند المتأخرين يعني: تفويض الكيف والمعنى.

وقد حاول بعض الأشاعرة أن ينفي كتاب (الإبانة) لأبي الحسن الأشعري، لكن ابن عساكر في (التبيين) نسب هذا الكتاب له وبيَّن أصل قصته.

هذا القول في الأسماء والصفات، أما **القول بالقدر**؛ فقد تكلمنا عنه البارحة وهو القول بالكسب؛ وهو إثبات أن إرادة الإنسان غير مؤثرة.

ما هو الكسب؟

أكثر من خمسين تفسيرًا ذكرها ابن الوزير، إذا أردتم التفصيل فكتاب ابن الوزير (العواصم والقواصم) –الذي اختصره في كتاب صغير– ذكر ما معنى الكسب، وهو مطبوع في ثمانية مجلدات والتاسع فهرست[102]. إذًا قوله في القضاء والقدر أنه يُثبت العلم الأزلي لله، يُثبت الكتابة، ويُثبت إرادة الله –عز وجل–، ويُثبت الخلق. لكن هل يثبت إرادة

[102] كلمة (فهرست) التاء ليست زائدة، وإنما أصلية، يُقال: "الفهرست" التاء أصلية، والذي يكتبها "فهرس" ظانًا أن التاء زائدة مخطئ، إنما هي كلمة أعجمية عرَّبتها العرب. وكتاب (الفهرست) لابن النديم كتاب مشهور، وُلد في حدود 325، وألَّف هذا الكتاب.

للإنسان؟ يثبت، ولكنها إرادة كعدمها، إرادة غير مؤثرة، فهذا قوله الكسب. لذلك هم جبرية في الواقع، وهم ينفون الصفات الاختيارية، ويُرجِعون كل الصفات الإلهية إلى سبع صفات يسمونها الصفات المعنوية، وهي: الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والكلام والإرادة.

يُثبتون لله الإرادة، طيب الإرادة حادثة؟ قالوا: لا، الإرادة تُقسم إلى قسمين: إرادة قديمة صفة أزلية، وإرادة تَنْجيزيَّة.

وأتوا بكلام لا يُعقل، فصلوا بين الإرادة والفعل. والإرادة لا بد أن تكون مقارنة للفعل إذا وُجدت القدرة التامة. ولكنهم يقولون: لا، هناك إرادة قديمة وهناك إرادة تنجيزية. إذًا ما الفرق بين الإرادة والعلم حينئذ؟ لا فرق ما دام أنها قديمة هي العلم، والحقيقة أن العلم والإرادة صفتان متغايرتان.

فهذا قول أبي حسن الأشعري بالنسبة للخلق والتكوين.

وأما قوله في القرآن؟ قال: القرآن كلام الله، لكن معنى قوله أنه المعنى النفسي القديم القائم بالذات، وقالوا: هذا القرآن الذي نقرؤه هذا تعبير عن كلام الله، والكلام:

إنَّ الكـــــلام لفـــي الفـــؤاد وإنَّمـــا جُعـــل اللســـان علـــى الفـــؤاد دلـــيلا

فهذا الحرف القرآني مخلوق. واختلفوا كما قال ابراهيم البيجوري: هذا الحرف القرآن الذي نقرؤه هل هو مخلوق؟ قال بعضهم: مخلوق، وقال بعضهم: كلام جبريل، وبعضهم قال: كلام محمد، ثلاثة أقوال.

وهذا باطل فالقرآن الله تكلَّم به بصوته، كما في الحديث الذي في "صحيح البخاري": (يقول الله عز وجل يوم القيامة: يا آدم ، يقول: لبيك ربنا وسعديك ، **فينادى بصوت**)[103]، والذي عند البخاري في كتاب (خلق أفعال العباد) :(وإن الله عز وجل ينادي بصوت يمسعه من بعد كما يسمعه من قرب)[104]، فالله له صوت، ويوم القيامة لما يُنادي الرب يسمعه الناس بصوت، يسمعه من بعُد كما يسمعه من قَرُب، قال البخاري –رحمه الله- تعليقًا على

[103] صحيح البخاري: (**4741**).

[104] رواه البخاري في كتابه: "خلق أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل" (ص–**92**)، وصححهُ الألباني في في تخريج كتاب السنة: (**514**).

الحديث: "وفي هذا دليل على أن صوت الله لا يُشبه صوت المخلوقين"، وفي الحديث أن النبي ﷺ قال: (من قرأ حرفًا من كتاب الله)[105]، وكتاب الله هو كلامه، و(أُنزل القرآن على سبعة أحرف)[106].

وهناك خطأ في كل كتب علوم القرآن، موجود في كتاب الزركشي -عليه رحمة الله-، وفي كتاب (الإتقان) للسيوطي، وفي الكتب التي أخذت منه، كلها تقول: "أنَّ جبريل أخذ القرآن من اللوح المحفوظ"، وهذا خطأ فالحديث الذي في مسند الإمام أحمد بسند أقل ما يقال عنه أنه حسن، ولكنه في الحقيقة صحيح، أن (إذا قضى الله الأمر في السماء ، ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله)[107]، فإذًا جبريل -عليه السلام- سمع القرآن من الله وأخذه ثم ألقاه إلى قلب النبي ﷺ، فالقرآن هذا هو أمره.

طيب كيف هو معنى نفسي قديم قائم بالذات؟

قالوا: الكلام يُطلق على الكلام النَّفْسي، كقول عمر: "زوَّرتُ في نفسي كلامًا"، الكلام إذا أُطلق ما معناه؟ ما هو الكلام في لغة العرب؟

كلامُنا لفظٌ مُفيدٌ كاسْتَقِمْ

فالكلام لا يكون إلا إذا حمل أمرين: المعنى (الإفادة)، والحرف.

بعض الإخوة يتحرَّج مثلا أن نقول: "إن الله -عز وجل- أقام السموات على أصبع، والأراضين على أصبع"، ويشير بيده، وهذا غير صحيح، فقد روى الإمام ابن خزيمة -عليه رحمة الله- في كتابه (التوحيد) أن النبي ﷺ قد بين أن لله عينين، فجاء في حديث أبي هريرة أنه قال في هذه الآية {....إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا}: "رأيت رسول الله ﷺ يضعُ إِبْهامَهُ علَى أذنِهِ"[108]، والَّتي تليها علَى عينِهِ ، طبعًا بلا شك أن الله -عز وجل- لا يشبهه، ولكن لدلالة إثبات الحقيقة، وهو حديث صحيح رواه ابن خزيمة إمام أهل السنة في كتابه (التوحيد).

---

[105] صححهُ الألباني في صحيح الترمذي: (2910).

[106] صححهُ الألباني في صحيح الجامع: (7842).

[107] صحيح البخاري: (4701).

[108] صححهُ الألباني في صحيح أبي داود: (4728).

فهذا هو أمر الأشعرية، وهو القول بالجبر وهو الذي انتشر، والقول بالأسماء والصفات على طريقة المؤوّلة أو المفوّضة، والقول بالقرآن كما قلنا لكم، وهؤلاء منتشرون.

وانتشرت الأشعرية في وقت كانت فيه الحرب مع الشيعة، يعني انتشرت لما صارت الحرب ضد الإسماعيلية الباطنية، ولذلك انتشر أمرهم لأنهم على مذهب أهل السنة والجماعة في أصحاب النبي ﷺ، وهم من أبصر الناس –كأهل لأثر– في محبة أصحاب النبي ﷺ.

تبنى الشافعيةُ الأشعريةَ، أئمة الشافعية قالوا بالأشعرية، فمثلًا كما قلت لكم أبو بكر الباقلاني إمام الشافعية في عصره أشعري، أبو محمد الجويني الوالد أشعري، أبو المعالي ابنه أشعري، والغزالي تلميذه أشعري. فانتشرت الأشعرية بين طوائف الشافعية، وبلاد الإسلام لم يكن فيها حنابلة إلا قليلًا في بغداد، والحنابلة قلة لا وجود لهم، وقليل موجودون فقط في بلاد الشام، بعض العائلات المقادسة من الحنابلة رحلوا واستقروا في سفح قاسيون، بسبب الخوف من الصليبيين، الذين منهم ابن قدامة وغيره، فهم قلة والأغلب شافعية، فلما صار الشافعية أشاعرة انتشرت الأشعرية.

ثم صار المالكية أشعرية عن طريق رجلين جاءا إلى المشرق من المغرب: أولُهما أبو الوليد الباجي –عليه رحمة الله– وهو الإمام الفحل الأصولي المحدِّث، له كتب من أروع الكتب: له كتاب (المنتقى) في شرح (موطأ مالك)، وهو مختصر لكتابٍ فُقد، ومطبوع هذا الكتاب قديمًا في خمس مجلدات كبار، وله كتاب في الجرح والتعديل طُبع متأخرًا، وله كتب في الأصول ومنها (إحكام الأصول) حقَّقه الدكتور عبد المجيد التركي التونسي، وله كتاب اسمه (اللِّجاج في الحِجَاج)، وكتبه رائعة نافعة.

وهو إمام مالكي رحل من المغرب وجاء إلى المشرق، وتتلمذ على يد الغزالي وعلى يد الجويني، في الأصول، ثم رحل فوجد في المغرب في العَدْوَة الأولى والثانية –يعني في المغرب والأندلس– صيت ابن حزم يملأ الآفاق.

الرجل الثاني: هو أبو بكر بن العربي، وهذا كذلك جاء إلى المشرق وتتلمذ على يد الغزالي، وهو الذي قال عن الغزالي: "شيخنا دخل في أجواف الفلاسفة ولم يستطع الخروج".

أبو بكر بن العربي الشهير صاحب كتاب (أحكام القرآن)، وله (عارضة الأحوذي شرح جامع الترمذي)، وله كتاب اسمه (العواصم من القواصم)، وكتاب (العواصم من القواصم) المُشتهِر هو تحقيق ما شجر بين الصحابة، وإلا فكتابه

أكبر وطُبع في الجزائر ومفقود للأسف، إذا استطاع أحدكم أن يبحث عنه في مكتبات الجزائر، فهو كتاب جيد فيه منافع فاتتنا. ولكن الشيخ محب الدين الخطيب أخذ ما شجر بين الصحابة ردًا على الشيعة، فأخذ الجزء وطبعه فانتشر المختصر وضاع الأصل.

وهذا كثيرًا ما يقع أن المختصر يبقى ويضيع الأصل، مثلًا (مختصر سيرة ابن هشام) مختصر سيرة النبي ﷺ هي لابن إسحاق؛ محمد بن إسحاق بن يسار اليمني، فضاع الأصل وبقي المختصر. وكتاب(الإفصاح) لابن هبُيرة الوزير لما شرح (صحيح البخاري)، لما وصل لحديث: (من يُرِد الله به خيرًا يُفقِّهه في الدين)[109]، من أجل بركة الفقه ذكر مذاهب الفقهاء فقط في داخل الكتاب، فاستلَّه بعضهم وأخذه، فضاع الأصل وبقي (الإفصاح) لابن هبيرة في مجلدين مطبوع.

طبعًا نحن لا نريد أن نستطرد في الحرب التي أشعلها أبو محمد علي بن محمد بن سعيد بن حزم الأموي، كان قد أشعلها حربًا في الأندلس، فرجع أبو الوليد الباجي ولم يستطع أحد من المالكية أن يقف أمام ابن حزم، يقول أبو بكر بن العربي: "لأن عامة من يعارضه ويناظره إنما هم من حملة وحفاظ المتون، لا بصر لهم بالآثار"، على طريقة التقليد يحفظ المتون ويأتي ليناظر واحدًا باقعة!

ابن حزم كان مالكيًا تتلمذ على يد المالكية، ثم صار شافعيًا، قرأ رسالة للشافعي موجودة في آخر كتاب (الأم) اسمها (نقض الاستحسان) –هي رسالة رائعة اقرؤوها–، فوجد أن ما ينقض به الاستحسان يصلح لنقض القياس، فترك القياس وصار ظاهريًا.

المهم لما جاء أبو الوليد الباجي من المشرق، قالوا له: "جاءك الرجل الذي سيُوقفك عند حدَّك" فتناظرا، المالكية يقولون: أبو الوليد غلب، والظاهرية يقولون: ابن حزم غلب! للأسف المناظرات لم تصل إلينا، ولكن ابن حزم يعترف بعلم أبي الوليد الباجي، هو يعترف لأشخاص معاصرين له، يعترف بأبي عمر يوسف بن عبد البر وهو صديقه، يقول عن كتابه (التمهيد): "لا تجد تفسير حديث مثله فكيف بأكثر منه". ولي مُصنَّف لم يُطبع اسمه (مسند ابن حزم)، وشيوخ ابن حزم هم شيوخ يوسف بن عبد البر ومشايخه بنفس الرتبة. المهم خُتمت المناظرة بهذا الكلام، وأنا أشجع أن ابن حزم غلب، ولكن ليست الغلبة التي كانت ظاهرة على السابقين.

---

[109] **صحيح البخاري**: (**71**).

ذكروا فقط قصة أخيرة حصلت بينهما أن أبا الوليد الباجي قال لابن حزم: "سامحني فأنا لستُ مثلك، أنا طلبت العلم على السُّرُج وفي الليلة الظلماء حتى كَلَّ بصري"، يُعرِّض بابن حزم أنه ابن وزير، وطلب العلم على المجامر واللؤلؤ وعلى النور وفي القصور، فابن حزم لم يُفوِّتها وقال له: "نعم، أنت طلبتها لتصبح مثلي –أي لتَغتَني–، أما أنا فطلبتُ العلم للعلم لا لشيء غيره"، وقال: "أنا طلبته على السُّرج وفي القصور"، يُعرِّض بذلك أن الدنيا يمكن أن تشغل الإنسان عن العلم.

رحم الله أئمتنا، نرجع إلى قضيتنا، فجاء هذان الرجلان من الأئمة الكبار، والتقيا بكبار الأشاعرة فحملا طريقة الأشاعرة إلى المغرب، طبعًا هما أخطآ بلا شك.

للأسف جاء بعد ذلك رجل سيء، ليس بمرتبة هذين العالمين في الديانة ولا في العلم وهو المهدي بن تومرت، وتتلمذ على يد الغزالي، ورجع ونشر مذهبه الذي يقال له (دين الموحِّدين)، ولم تُنشأ الدولة في عصره، بل أُنشئت بعد مماته. والغزالي ذهب إليه، حتى إذا وصل إلى مصر وصله خبر وفاة المهدي، فرجع من مصر إلى طوس ومات في بلدته.

القصد أيها الاخوة أن الأشعرية انتشرت بفعل تلقي علماء الشافعية وهم الأغلب، والمالكية وهم الأغلب، والحنابلة قلة، وصدق ابن حزم أن المذاهب لا تنتشر إلا بالدولة، وأخطأ ولكنه أصاب؛ أصاب من جهة أن الدولة إذا تبنَّت المذهب انتشر، وانظروا الأمثلة:

لما انتشرت الدولة الأيوبية نشرت الأشعرية فانتشرت. لما دولة المرابطين ليوسف بن تاشفين تبنت المذهب المالكي انتشر، حتى الآن؛ ما الذي نشر المذهب الحنبلي؟ تبني الدولة السعودية.

لكن في الحقيقة ليس فقط الدولة، هناك شيء آخر نبهنا عليه الإمام الشافعي عندما قال –عليه رحمة الله–: "الليث أفقه من مالك، لكن أصحابه لم يقوموا به".

الليث بن سعد إمام أهل النُّوبة، الذي وُلد في أصفهان وتُوفي في مصر، وهو إمام عظيم له روايات في الحديث، أفسدها كاتبه عبد الله بن صالح، كاتب الليث مُضعَّف في الحديث. فالليث لما رحل الإمام الشافعي لمصر قابل تلاميذه، فرأى عندهم أحاديث تفوق ما عند أهل الحجاز، فقال: "الليث أفقه من مالك، لكن لم يجد تلاميذ يقومون بحقه".

إذًا ما الذي ينشر علم الرجل؟ التلاميذ، والثانية: ما الذي ينشر المذهب؟ الدولة، الدولة لها دور والسلطان له دور في هذا.

فانتشرت الأشعرية حتى غلبت على الناس، وصارت تتسمى بأنها هي أهل السنة والجماعة. وهذا حق لأن المجتمع الإسلامي كان يُقسم إلى قسمين: شيعة وسنة، والخصومة كلها حول الصحابة، وعلى قضية تولّي آل البيت وهكذا، كما شرحنا سابقًا، ولذلك صار الأشاعرة هم أئمة أهل السنة مقابل الشيعة.

ولكن بدأ بعض طلبة العلم يدرسون هذا ويفهمون هذا، والصراع ما زال قائمًا، ونسأل الله أن يجمع بين القلوب. فهذا قولهم.

والأشاعرة في الحقيقة هم أقرب الناس لأهل السنة، وإن كانت الهنات التي فيهم -وهي هنات واضحة للأسف- قوَّت مذاهب الآخرين في وقت من الأوقات، فكما قال شيخ الإسلام -مع مدحه لهم-: "للأسف هؤلاء لا الإسلام نصروا ولا الشرك كسروا"، لأنهم غلَّبوا أهل البدع عليهم لوجود بعض الهنات عليهم، ولكن لهم جهاد مشكور، ولهم وقفات رائعة أمام أهل البدع، وخاصة عندما كانت الحرب بين أهل الشيعة والسنة.

الماتريدية

نشأ عند الحنفية إمام معاصر لأبي الحسن اسمه أبو منصور الماتريدي، وهو من بداية أمره تلقَّف مذهب الكُلابية وأخذه وبدأ يبثُّه، لكن الأشعرية أقرب لأهل السنة، **والماتريدية** في العقل والتوسُّع به أقرب إلى المعتزلة، وإن كانت لهم إصابات مثل قولهم في التحسين والتقبيح أفضل مما وقع به الأشاعرة.

فلا نريد أن نطيل، لأننا نريد أن ندخل في المذاهب المعاصرة التي نتجت **كالبهائية والبابية** ثم **القاديانية**، لأنها لها أثر ولها وقائع، ثم سيكون الحديث عن الزنادقة الجدد وعن آثارهم وعن وجودهم وعن معالمهم، ثم نختم بسبيل أهل السنة في التعامل مع أهل البدع.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

19

الحمد لله، نحمده تعالى حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله الطيبيين الطاهرين وعلى صحبه الغر الميامين، وعلى من تبعهم بإحسان وهدى إلى يوم الدين، جعلنا الله -عز وجل- وإياكم منهم، آمين آمين.

في الحقيقة إن هناك بعض المسائل التي تتعلق بأصول البدع لم نتطرق إليها إلا لمامًا، وهذا اللمام غير كافٍ، فنحن تكلمنا عن القدرية وعن الشيعة وعن الخوارج، ولم نتكلم عن المرجئة، وقلنا أن أصول البدع أربعة: أولًا الشيعة، والخوارج، والقدرية، والمرجئة. فلابد أن نتحدث عن المرجئة بشيء يكفي بما يتناسب مع هذه الدروس وهذا البحث.

المرجئة

نحن تكلمنا في الدروس الأولى عن مرجئة الخوارج، وهذا قلَّ من يذكره في كتبه، فأغلبهم لا يذكرون مرجئة الخوارج، وبسبب عدم التمييز بين الإرجاء في الإيمان والإرجاء الذي قال به بعض الخوارج أخطأ بعض علمائنا في نسبة القول بالإرجاء لأول مُحدث له، من هو أول من أحدث الإرجاء؟ فتجد أن أغلبهم ينسبونه إلى الحسن بن محمد بن الحنفية، يعني الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب. وهذا خطأ.

والسبب أنهم قرؤوا في رسالته التي ألفها وقرأها على الناس، وأبوه محمد بن الحنفية ضربه بالعصا على وجهه حتى شجَّه لما قرأ هذه الرسالة على الناس، وقد جاء الحسن بن محمد بن الحنفية بإرجاء الخوارج وهو: إرجاء أمر الصحابة المتقاتلين إلى الله. وهذا إرجاء باطل.

قالوا أن عليًا ومعاوية بل وعثمان، أمرُ هؤلاء إلى الله، لا ندري على أي شيء ماتوا، هل ماتوا على الإسلام أم على غير الإسلام، هل هم من أهل الإيمان أم من غير أهل الإيمان، هؤلاء هم **مرجئة الخوارج**، وبعد ذلك سُمُّوا **بالقَعَدَة**؛ فلما شكوا هذا الشك لم يخرجوا على قتال أحد، لا على علي ولا على معاوية فسموا بالقعدة. وهؤلاء -كما أُذكِّر- هم الذين كفَّرهم نافع بن الأزرق الذي ظهر سنة 60 للهجرة، وهم ظهروا في سنة 40 للهجرة، فهؤلاء بادوا وانتهوا، والحسن بن محمد بن الحنفية هو ممن قال بهذا القول وقرأ رسالته على الناس. فوُجد في رسالته التي رواها العَدَنِيّ في

كتابه (الإيمان) ففيها: "ونرى الإرجاء"، فظن بعضهم أن الإرجاء هو المقصود به على المصطلح الذي استقر عند كُتّاب الفرق وهو إرجاء الإيمان.

لكن من أول من أتى بالإرجاء؟

الإرجاء هو ردة فعل على قول الخوارج. هناك كتب ألفها أهل العلم اسمها (الأوائل)، فأبو عاصم النبيل –ذكرنا أمره سابقًا– له كتاب اسمه (الأوائل)، الطبراني له كتاب اسمه (الأوائل)، والسيوطي كذلك، يعني: أول من فعل وأول من قال أول من أحدث أول من أتى إلخ، وهكذا ألَّف من بعض الفنون التي صنَّف فيها أئمتنا –عليهم رحمة الله عز وجل–.

قلنا أن الإرجاء هو ردة فعل على القول بالخارجية.

وأول بدعة أُحدثت في الأمة هي مسألة الفاسق المِلِّي:

وهي مسألة مُتعلِّقة بالأسماء والأحكام؛ ماذا نسمي المسلم الذي قال (لا إله إلا الله محمد رسول الله) ثم أتى معصية من المعاصي المجمع عليها كالزنا كالكذب كالخيانة كإخلاف الوعد كالسرقة كشرب الخمر المجمع عليه؟

لأن هناك اختلاف فيما يسمى خمرًا بين جمهور أهل العلم وبين أهل الكوفة، بين أهل الرأي والأحناف وبين غيرهم، لكن من شرب الخمر المجمع عليها، وهو خمر العنب والمُسكِر الذي غلا حتى أزبد وظهر زبده وذهب ثلثه أو ثلثاه، فهذا خمر مُجمَع عليه أجمع أهل الملة على حرمته.

فمن أتى بالتوحيد بـ(لا إله إلا الله محمد رسول الله) وأتى بالمعاصي، فما هو حكمه؟ هذا هو الفاسق الملي، فاسق يعني: ارتكب معصية كبيرة، ومِلّي يعني: من ملة النبي ﷺ من أهل التوحيد، فما هو شأنه؟

الناس في هذا على أربعة أقوال:

القول الأول: هو قول **الخوارج**، والخوارج يكفِّرون الرجل الذي شهد بالتوحيد وكفر بالطاغوت وأتى معصية من المعاصي الكبائر، يقولون عنه: كافر في الدنيا وكافر في الآخرة. ولم يخالف من الخوارج في هذه المسألة إلا النَّجَدَات والإباضية، وهذا شرحناه.

فالنجدات أتباع نجدة بن عامر الحروري، وهو الذي خرج على نافع بن الأزرق في نجد، خرج عليه ولم يدخل مع نافع في القتال لسببين:

السبب الأول: قتل الأطفال والذرية والنساء، فنجدة خالف نافعا في هذا القول الظالم، وقد أصاب في مخالفته.

والسبب الثاني: هو مخالفته لرأيه في خيانة العهد والميثاق مع دار الكفر التي أجمعوا عليها. نافع قال: هم كفار أطفالهم نساؤهم كلهم كفار، فدماؤهم حلال؛ كبيرهم صغيرهم طفلهم، ثانيا قال: لو أنشانا عهدًا بيننا وبين الآخرين من دار الكفر، -وهي دار الإسلام ولكن المخالفين عندهم يسمونها دار كفر وهذا إجماع عندهم لم يختلف نجدة ونافع-، فهل نفي بالعهد أم لا نفي؟ فقال نجدة: نفي، وأما نافع بن الأزرق قال: لا نفي لهم.

ومسألة ثالثة اختلفوا فيها هي: تكفير القعدة الذين قعدوا عن القتال، هل نكفّرهم أم لا؟ فقال نافع بن الأزرق بتكفيرهم، نجدة قال: لا، فالقعدة انحازوا لنجدة، فالنجدات من الحرورية.

والإباضية اليوم نسبة لعبد الله بن إباض، يقولون عن العاصي في الدنيا: هو كافر نعمة وليس مشركًا، لكن أين مستقره؟ بالإجماع كلهم إلى جهنم، يقولون بأن العاصي إذا مات على معصيته ولم يتب منها فأمره إلى جهنم، ولكنهم اختلفوا في الاسم في الدنيا، فالخوارج سموه مشركًا وكافرًا، والنجدات والإباضية سموه كافر نعمة ولم يسموه مشركًا، هذا القول الأول.

القول الثاني: وهو قول **الكرَّامية**، وهذا كما قلنا يُنسب لهم، قالوا: الإيمان يُنقض بالمعصية، وهو معنى واحد لا يتجزأ، فإذا ذهب بعضه ذهب كله، وإذا ذهب ظاهره ذهب باطنه، فعلاقة الظاهر بالباطن علاقة مطلقة لازمة لا يمكن أن تتخلَّف.

القول الثاني وهو قول الكرامية قالوا: لا، حتى الرجل يكفي أن يكون في باطنه مؤمنًا ولو لم يُظهر الإيمان بأي عمل من الأعمال فهو مؤمن، بل قالوا أن من قال بلسانه هو مؤمن يعني قال لا إله إلا الله ولو لم يؤمن باطنه لكان مؤمنًا. شيخ الإسلام يقول: هم يقولون في الدنيا يسمى مؤمنًا ولكن لا يختلفون عن أهل السنة يوم القيامة، بمعنى من أظهر الإسلام بلسانه وأخفى بقلبه الكفر فهو في الدنيا يسمى مؤمنًا، ولكن في الآخرة يكون كافرًا.

القول الثالث: هو قول المرجئة، أولًا أتوا بما يقال له إرجاء الفقهاء، ثم جاء جهم بالإرجاء الغالي.

ما هو إرجاء الفقهاء؟

أول من أتى بإرجاء الفقهاء كردة فعل على الخوارج هو حمَّاد بن أبي سليمان التابعي، وهو شيخ الإمام أبي حنيفة.

قالوا: ما هو الإيمان؟ هو تصديق القلب وإقرار اللسان، وأما الأعمال فهي شرائع تكون في مرتبة التقوى واليقين ولا تدخل في مسمى الإيمان. فقالوا أن القلب له فقط جانب الاعتقاد، والقلب له أعمال كذلك، له المحبة والإخبات والطاعة والولاء، فالاعتقاد على معنى المتأخرين هو التصوُّر وهو مسائل التصديق، وهو معنى قاصر، والقول الصواب هو: الإيمان قول وعمل، يعني أعمال القلوب وأقوالها، أعمال القلوب كما قلنا: الإخبات، الخوف، المحبة، وأقوال القلوب هي تصديقات القلب، يصدق أن هناك غيبًا، وأن هناك ميزانًا، وأن هناك ملائكة، الذي يقال له: الاعتقاد، وإن كانت كلمة (الاعتقاد) كلمة ليست محبذة.

وكذلك الإيمان هو قول اللسان والإيمان هو عمل الجوارح، فهو قول القلب وعمله وقول اللسان وعمل الجوارح.

باختصار حتى نفهمها، أي شيء في الدنيا يتكوَّن من ثلاثة أشياء، سواء كان هذا العمل شرعيًا أو كونيًا، أي عمل لا بد له من شروط وأركان، لا بد له من واجبات، لا بد له من مُستحبَّات.

الآن أنت بشر مخلوق، هناك من أجزائك ما هو ركن لا تصح إنسانيتك إلا به مثل رأسك، الآن إذا أزلنا الرأس ذهب الإنسان، لأن الإنسان هو مجموع الروح والجسد، فذهبت الرأس ذهب الإنسان. الروح إذا أزلتها ذهب الإنسان، وكذلك القلب.

لكن الآن عينه لو أزلتها، هل ذهب الإنسان؟ لم يذهب الإنسان، ذهب جزء منه، هذا الجزء مهم يؤثر لدرجة الإضرار أم لا يضره؟ نعم، نقول: إنسان ناقص، ذهبت عينه إنسان أعمى أعور، أو ذهبت له رجله أو ذهبت له يده، فهذا ذهب له شيء مهم، فهذا واجب. ولكن لما ذهب الرأس ذهب كله، لما ذهب القلب ذهب كله، لما ذهبت الروح ذهب كله، ولكن لما ذهب نظره ذهب بعضه لم يذهب كله، فالأول اسمه شرط أو ركن، والثاني اسمه واجب.

طيب الآن شعر الإنسان، واحد أصلع؛ هذا من مُكمِّلاته، وهكذا.

فكل شيء في الدنيا كل شيء خلقه الله أو شرعه الله، فهو لا بد من أن يحتوي على ركن وعلى واجب وعلى مستحب.

الصلاة؛ الصلاة فيها أركان إذا ذهبت ذهب كلها، مثل الفاتحة على قول الجمهور، والركوع، لكن واحد ترك التشهد الأوسط على القول الصحيح أنه واجب يسجد للسهو، لكن واحد ترك دعاء الاستفتاح ترك مستحبًا.

فما من شيء في الدنيا إلا وهو مكون من أجزاء، هذه الأجزاء تتفاوت مراتبها بالنسبة إلى الشيء التي كانت مكوِّنة له، أي مُسمَّى الشيء. كذلك الإيمان؛ فيه وواجبات، ومستحبات {وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ}، وماذا كرَّه؟ {وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ}؛ جعل المقابل لأعمال الطاعات كلها إيمانًا، لكن إن نقضت من الإيمان شيئًا: إما أن يكفر إما أن يفسق إما أن يكون في باب المعصية.

الإنسان ثلاثة أشياء باختصار: له قلب يقول ويعمل، له لسان يقول، له جوارح تعمل.

ما من جزء من هذه الأجزاء الثلاثة إلا وهو مكلَّف بأمور تدخل في باب الشروط وبعضها يدخل في باب الواجبات وبعضها يدخل في باب المستحبات، بمعنى:

- هناك أعمال وأقوال للقلب هي من باب شروط الإيمان، إذا نقضها القلب ولم يأت بها كان الإنسان ناقضًا لركن من أركان الإيمان أو لشرط من شروطه، فيكون حينئذ ناقضًا لأصل الإيمان، ذهب الإيمان كله، بالرغم من أنها جزء من الإيمان لكن هذا جزء يذهب بكل الإيمان.
- وهناك أقوال باللسان تدخل في الشروط والأركان، وهناك أقوال تدخل في الواجبات، وهناك أقوال تدخل في المستحبات.
- وهناك أعمال بدنية تدخل في شروط وأركان الإيمان، وهناك أعمال بدنية تدخل في واجبات الإيمان، وهناك أعمال تدخل في مستحبات الإيمان، والأمثلة كثيرة.

الآن أصل تصديق وجود الله هذا قول من أقوال القلب، هذا ركن أم واجب أم مستحب؟ هذا ركن.

أصل المحبة والخوف التي هي أصل العبودية، الأصل هل هو من الأركان أم الواجبات أم المستحبات؟ هي من ركنه، إذا ذهب أصل المحبة ذهب الإيمان كله.

الآن أقوال اللسان، لو أن امرئًا ما قال (لا إله إلا الله)، وقال: سبحان الله والحمد لله والله أكبر، ورفض أن يقول: (لا إله إلا الله)، هل يكون مسلمًا أم كافرًا؟ كافرًا ينقض أصل الإيمان، فهذا أصل. لكن لو رفض أن يقول سبحان الله والحمد لله فقد ترك واجبًا.

{صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} هذا واجب إذا تركه يأثم، لكن لا يذهب أصل الإيمان. وكذلك تبسمك في وجه أخيك، أمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر، بحسب قد يكون مستحبًا قد يكون واجبًا.

وهناك أعمال في البدن من الأركان مثل الصلاة -على القول الصحيح-، وهناك أعمال في البدن من الواجبات مثل إماطة الأذى عن الطريق، صلة الأرحام، المشي إلى المسجد، أن يكون لك لحية. كذلك من المستحبات أمور كثيرة: أن تلبس الأبيض.

فرأينا أن الإنسان له قلب يقول ويعمل، وله لسان يقول، وله بدن يعمل، وكل واحدة من هذه لها في الإيمان أجزاء بحسب مراتبها.

إذًا الإيمان هل هو متعدِّد أم شيء واحد؟ متعدِّد، إذا ذهب الركن ذهب الأصل، إذا ذهب الواجب ذهب البعض المهم منه ولكن بقي الأصل، وإذا ذهب المستحب لن يتأثر كثيرًا لكنه قد يضر بالواجب، إذا كثُر الإضرار بالواجب قد يضر الأصل، ولذلك قالوا: "المعاصي بريد الكفر".

هذا هو قول أهل السنة في الإيمان؛ الإيمان ليس شيئًا واحدًا، بل هو متعدد. ثانيًا: هو مراتب بحسبه، ثالثًا: هو بالقلب واللسان والجوارح.

قول الخوارج: الإيمان شيء واحد إذا ذهب شيء من القلب كفر، إذا ذهب شيء من اللسان كفر، إذا عصى بجوارحه كفر خرج من الإيمان.

المرجئة قالوا: الإيمان شيء واحد، عمل القلب وقول اللسان، وأما عمل الجوارح فهي شرائع وهي مرتبة في اليقين والتقوى.

{وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ} هل يخرج من الإيمان؟ لا يخرج من أصل الإيمان، يبقى اسم الإيمان عليه، ولكن هل يلتحق به ما وعد الله -عز وجل- مما كتبه لاسم الإيمان عندما قال -سبحانه وتعالى- {وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ}؟، {إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ} فالأصل إن أتى هذا الصابر بشرط الصبر وبواجبه، فإذا انتقض الواجب انتقض الوعد، فحينئذ الرجل يخرج من الإيمان مع بقاء أصل الإيمان، ولكن خرج من الإيمان الكامل وانتقض جزء منه.

القول الرابع: هناك قول رابع لموضوع الفاسق الملي وهو **قول المعتزلة**، قالوا: منزلة بين المنزلتين، لا هو كافر ولا هو مسلم بقي في الوسط، اختلفوا بالاسم عليه في الدنيا، قالوا: فاسق ليس مليًا، منزلة بين منزلتين، ولكن أين مستقره في الآخرة؟ اتفقوا مع الخوارج، إذًا اختلفوا في الاسم في الدنيا والتقوا في المآل مع الخوارج في الآخرة.

والإرجاء أيها الإخوة الأحبة درجات:

أنتم عرفتم كيف كفَّر المرجئة الأوائل بالعمل، وقالوا هذا العمل الذي اقترفه دليل على نقض التصديق، ولذلك الإيمان عندهم هو التصديق. ومقابل التصديق التكذيب، فهم لا يرون في الدنيا إلا كفر التكذيب، فمن يكفر عندهم؟ من ترك قول لا إله إلا الله، ومن أتى بأعمال فيها دلالة على التكذيب على نقض التصديق.

الآن بدأ الحوار وبدأ التنزُّل، المرجئة الأوائل كما ترون يختلفون في التفسير، ولكن لا يختلفون مع أهل السنة في تسمية الأشياء، يعني عندهم الكافر كافر والمسلم مسلم، ولكن يختلفون بأن العاصي يسمى مؤمنًا وأهل السنة يقولون هو فاسق، هل يقولون: مؤمن؟ إذا قصدوا الحكم فنعم، أما إذا قصدوا مرتبة المدح فلا.

الله –عز وجل– قال: {فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ} المقصود بمؤمنة مسلمة؛ لأنك لا يمكن أن تعرف هل أتى بالإيمان الواجب بالقلب أم لا، فهنا المقصود به مرتبة مَدحيَّة أم حُكميَّة؟ حكم هذا مؤمن، ولكن هل هو ممدوح يستحق الوعد الإلهي المطلق بدخول الجنة بغير حساب، ومن غير ذنب اقترفه؟ لا تدري.

فالإيمان يُطلق على معنيين عند أهل السنة: على معنى المرتبة المدحية التي تستحق الوعود الإلهية، ويُطلق على معنى ثانٍ وهو معنى الحكم، فإذا قلت عن فلان: مؤمن، فالمقصود به مسلم.

هل يجوز لك أن تجزم أنه مؤمن على المرتبة المدحية الأولى؟ لا، بل تستثني تقول: هو مؤمن إن شاء الله، أو أنت إذا سُئلت: أمؤمن أنت؟ تقول: أنا مؤمن إن شاء الله، لأنك لا تدري أغُفر لك أم لا، هل أتيت أنت بالإيمان الواجب القلبي، حتى لو أتيت بالواجبات الظاهرة لكن هل أتيت بالواجبات القلبية؟ أنت تعرف ظاهر المرء، لا تعرف باطنه.

مرجئة الجهمية

الآن، ماذا يرى مرجئة الجهمية في الإيمان؟

يقولون: الإيمان هو التصديق القلبي فقط، وليس حتى أعمال القلوب ولا قول اللسان، لماذا؟ صار الحوار التالي مع مرجئة الفقهاء.

قالوا لهم: ما الإيمان عندكم؟ قالوا: التصديق. هذا اللسان ما هو؟ لماذا جعلتم شرط قول اللسان؟ قالوا: جعلناه من أجل الدلالة على ما في الباطن، الذي في القلب مستور فلا بد أن نعرفه من خلال اللسان.

قالوا: طيب هل دلالة الظاهر هذا -الذي هو قول اللسان- على الباطن دلالة يقينية أم محتملة؟ قالوا: محتملة، يعني أنتم تتصورون أن رجلًا مصدق بقلبه بالله -عز وجل- وبخبره وأوامره، ولا يُعلن ذلك بلسانه، ممكن ذلك؟ قالوا: هو ممكن، لأن الكفر عندهم هو بالقلب، لا يكون الرجل كافرا بذات العمل، إنما يكون كافرًا بالقلب.

أهل السنة لا يتصوَّرون هذا، لأنه ترك ركنًا من أركان الإيمان في الظاهر حينئذ كفر. لكن أولئك لا، الظاهر عندهم ليس من الإيمان، فقالوا: إذًا يُمكن للرجل أن يكون مؤمنًا بقلبه ولكن لا تظهر عليه الدلالات، لأن الإيمان عندهم هو التصديق، قالوا: إذًا لا ضرورة للرجل أن يقول بلسانه. ما دامت الدلالة غير يقينية، فكيف جعلتم هذا الدليل شرطًا؟ فقالوا بإمكانية أن يكون الرجل مؤمنًا بقلبه على معنى التصديق ولا يقول بلسانه الإيمان. فهذا هو قول **جهمية المرجئة الغلاة**.

طيب دلالة العمل على الكفر، هل يمكن لرجل أن يسجد للصنم، مع إمكانية أن يكون مكذبًا أن الصنم ينفع ويضر، ومصدقًا بأن النفع والضر من عند الله؟

إذًا دلالة هذا الساجد للصنم على كفره دلالة غير يقينية، إذًا هذا الظاهر لا يدل على شيء، يمكن للرجل أن يسب الله ويسب رسوله، وأن يسجد للصنم، وأن يرمي مصحفًا في القاذورات، مع وجود الإيمان في قلبه!

هذه مرتبة غلاة ثالثة في الإرجاء.

مرتبة رابعة، وهي مرتبة قالها ابن حزم ومشايخ السلفيين الشاميين أتباع الشيخ ناصر الألباني على هذا القول.

نحن قلنا أن القلب له أعمال وأقوال، هناك أقوال من الشروط والأركان، وهناك أقوال من الواجبات، وهناك أقوال من المستحبات. وهناك أعمال من الشروط، وهناك أعمال من الواجبات، وهناك أعمال من المستحبات، وقلنا هناك أعمال للبدن من الشروط، وهناك أعمال من الواجبات، وهناك أقوال من المستحبات.

ابن حزم قال: لا، قال: صحيح أن الإيمان قول وعمل، لكن الشروط تكون فقط باللسان والقلب، أما الأعمال فلا تكون فيها إلا الواجبات والمستحبات.

يعني هل للمرء أن يكفر بترك عمل؟ -سوى القول بلا إله إلا الله، لو اعتبرنا أنه عمل بالرغم من أنه قول-، هل المرء يمكن أن يكفر بعمل عند ابن حزم؟ نعم، يمكن أن يكفر بعمل، يعني عند ابن حزم من سجد لصنم يكفر ظاهرًا وباطنًا، وهذا العمل بذاته مكفِّر، لكن هو لا يرى من الأعمال البدنية ما هو شرط وما تركه مكفر، فيكفر بالعمل ولا يكفر بترك عمل.

لكن الشيخ ناصر ومن معه يقولون: الإيمان قول وعمل، وبعضهم يقول قال الإمام أحمد: "ومن قال الإيمان قول وعمل خرج من الإرجاء كله"، هذا لمَّا كان الناس يفهمون معنى: "الإيمان قول وعمل"، لكن الآن يقولون: "الإيمان قول وعمل" ويفسّرونه على طريقة خاطئة، كما يقول الأشاعرة: القرآن كلام الله ويفسرونه بطريقة غالطة. يقولون: كان السلف يقولون: أتقول القرآن كلام الله؟ نعم، ويكتفون منه. ولكن الآن لو أن رجلًا قال: القرآن كلام الله، هل يُقبل منه هذا فقط؟ أم لا بد أن يفسره لنا تفسير الأثر وتفسير الكتاب والسنة؟ نطلب منه أن يفسره.

فأنت لما تقول: الإيمان قول وعمل، ماذا تقصد؟ قالوا: كل الأعمال البدنية لا يمكن أن تكون شرطًا ولا ركنًا من الإيمان، إنما هي في باب الواجبات والمستحبات، فلا يكفر المرء بترك عمل ولا يكفر بعمل. هذا الذي قالوه زيادة على ابن حزم، ابن حزم يقول: المرء لا يكفر بترك عمل من أعمال البدن، ولكن يكفر بعمل كفري، ولكن هم قالوا: لا، وافقوه بالأولى وخالفوه بأن المرء لا يمكن أن يكفر بعمل من الأعمال، إنما هذا العمل دلالة على كفر باطنه.

هذه مراتب الإرجاء، والمراتب كثيرة ولكن هذه أصولها.

بقيت مسألة يخطئ إخواني فيها كثيرًا، انتبهوا لأهميتها لأني وجدت الإخوة يتيهون فيها ويتكَّلمون فيها للأسف بغير علم، فاستطال المبتدعة عليهم بإحضار كلام للسلف يناقض ما قالوه، فلا إخواننا فهموها للأسف ولا المبتدعة أقاموها موقعًا صحيحًا.

وهي: **هل يمكن للمرء أن يكفر بعمل ظاهر دون أن يكفر قلبه؟**

للأسف بعض إخواننا قالوا: نعم، يمكن للمرء أن يكفر بظاهره دون أن يكفر قلبه، هذا باطل، هذا غير صحيح.

هم قصدوا أنه يمكن للمرء أن يكفر بظاهره: بأن يسجد لصنم، بأن يُحكِّم غير شرع الله –عز وجل–، أن يستبدل الشريعة، أن يدوس المصحف، دون أن يُكذِّب بخبر السماء، يمكن؟ يمكن.

يعني يمكن للرجل أن يمسك المصحف ويرميه بالقاذورات، وهو يصدق أن القرآن من عند الله، ممكن أم غير ممكن؟ إذًا يمكن للمرء أن يكفر بظاهره دون أن يكفر باطنه كفر التكذيب. ولكن هناك كفر آخر: كفر الإعراض، كفر الاستهزاء، كفر التكبر، لكن لم يكفر كفر التكذيب.

لكن، هل يمكن للمرء أن يكفر ظاهره دون أن يكفر باطنه؟ لا يمكن، من حكم عليه أنه كفر في ظاهره لا بد أنه كفر قلبه، لكن أي كفر في القلب؟ ليس شرطًا أن يكون كفر التكذيب، إنما قد يكون كفر الكِبر، كفر الإعراض، كفر التولي، كفر الاستهزاء، كفر الشك؛ وليس هو كفر التكذيب.

وهذه المسألة متعلقة بنقطة: هل يمكن للإنسان أن يعمل عملًا بدنيًّا دون أن يكون هناك عمل باطن في قلبه؟ لا يمكن، العمل لا يكون في الظاهر إلا بوجود إرادة القلب، فلا يمكن للمرء أن يقوم بعمل في الظاهر إلا إذا أراده بقلبه. فالعمل له قسمان: جذر في الباطن، وسيقان وعيدان في الأعلى.

فالأعمال الظاهرة التي أقوم بها هي ظاهرة، لكن لا يمكن أن تنشأ إلا بإرادة القلب، فلا يجوز لنا أن نكفِّر رجلًا بظاهره مع احتمال إيمان قلبه، هذا لا وجود له عند أهل السنة، هذا قول بدعي باطل.

القول بأن رجلًا يمكن أن يكون مؤمنًا في الباطن ونحن نقول بالظاهر هو كافر هذا قول باطل بدعي، هذا قول من أقوال المرجئة. إذًا إخوتي لا يمكن للمرء أن يكفر بظاهره إلا إذا كفر بباطنه، لكن ليس كفر التكذيب.

ما هي الإرادة؟ الإرادة هي التي تُنشئ العمل؛ أنت أردت أن تسجد فسجدت، مع وجود القدرة التامة، أردت أن تُسبِّح فسبَّحت، أراد الرجل أن يسب الله فسب. ما الذي كفر؟ العمل بالظاهر الذي نتج بالباطن، ولكن هل الإرادة المقصود فيها بالباطن هي إرادة الكفر أم إرادة العمل؟ **إرادة العمل**.

يعني يمكن للرجل أن يكفر بعمل في باطنه وهو الإرادة، وأنشأت عملًا في الظاهر دون وجود إرادة الكفر لديه؟ ممكن، هو لا يريد أن يكفر ولكنه فعل، مثل من أمسك المصحف ورماه بالقاذورات، هو لا يريد أن يخرج من الإسلام،

ولكنه فعل، هل كفر؟ كفر، هل أراد الكفر؟ لم يُرده، ولذلك قالوا: {إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ}، فالله صدَّقهم بأنهم لم يُريدوا الكفر، ولكن كفَّرهم للعمل، ما قال: أنتم كاذبون ما كنتم تستهزئون. صدَّقهم أنهم كانوا يخوضون ويلعبون، أي لم يريدوا الكفر، وقال: {قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ} أقرَّهم أنهم كانوا قد كفروا.

نحن نقول بقول أهل السنة في هذا الباب، والمرجئة على درجات، فهذا هو الإرجاء.

ولكن إخواني انتبهوا لقضية: قد يوافقنا كثير من المخالفين في هذه الأصول، يعني يوافقوننا في قضايا الإيمان، في قول أهل السنة في الإيمان ككثير من المشايخ، ولكن يخالف في مسألة من المسائل أيكفر بها المرء أم لا يكفر.

لأن بعض إخواننا نجدهم للأسف عندهم الغلو في إطلاق العبارات، يعني مثلًا الرجل يقول بقول أهل السنة في الإيمان وبقول أهل السنة في التكفير، يكفّر على طريقة أهل السنة، ولكنه خالفنا في مسألة أو خالفك أنت، هو قد يكون الصواب معه، وقد يكون الصواب معك في مسألة أهي من المكفِّرات أم لا، هذه المسألة غير مُجمَع عليها (مُجتهَدة)؛ مثل قضية الحكم بغير ما أنزل الله واستبدال الشريعة. يعني رجل جاءك من أهل العلم وقال: إن قولي في الإيمان كذا، وقال قول أهل السنة، وقولي في التكفير كذا وقال بمقالة أهل السنة، ولكنه جاء بمسألة معينة وقال: "أنا هذه لا أعتبرها من شروط الإيمان"؛ هذا لا يجوز أن تقول عنه أنه مرجئ، هذا خالفك في مسألة أهي من شروط الإيمان أم من واجباته. وهذا وقع كثيرًا بين أهل العلم في مسائل كثيرة اختلفوا هل هي من المكفرات أم ليست من المكفرات.

الأحناف يقولون: من استهزأ بذيل دابة القاضي كفر، الجمهور خالفهم بهذا، فاختلفوا في مسألة مُكفّرة أم غير مكفّرة؟ هذه لا يتبعها القول بأنك مرجئ.

إذا خالفك مخالف في مسألة هل هي كذا أم كذا، تُبيّن له وتخالفه بمقدارها، إلا أن يُخالف مُجمَعًا عليه، فقد يكون تنشَّق لمَّة من أقوال أهل البدع.

الآن بقيت مسألة وهي **مسألة الصلاة** هل هي من شروط الإيمان أم هي من واجباته؟

هذا خلاف قديم، لكن هل وُجد بين أهل العلم من اعتبر أن الذي خالف إنما خالف لتأثُّره بأهل البدع؟ يعني أهل الحديث يقولون بتكفير تارك الصلاة، فهل قال بعض أهل العلم أن الذي لم يكفر إنما لتأثره بقول أهل الإرجاء بأنه لا يكفر بعمل؟

إسحاق بن راهويه –عليه رحمة الله– كان يقول أن القائل بعدم تكفير تارك الصلاة إنما أخذه من أهل الإرجاء بلا شك.

قد يقول قائل: يعني الإمام الشافعي من أهل الإرجاء؟! للذكر فقط الإمام الشافعي له قولان في تارك الصلاة، ليس ما اشتُهر فقط؛ أن الشافعية لا يقولون بتكفير تارك الصلاة، الإمام ابن كثير ذكر أن للشافعية قولًا آخر في تارك الصلاة.

فهل هذا موجود؟ نعم، لكن وُجد بعد ذلك من نسب أن الذي يقول بأن تارك الصلاة ليس بكافر مرجئ، وهذا خطأ، قول إسحاق بن راهويه أقرب إلى الصواب، قال "تأثر" متأثر. لكن أن تقول هو مرجئ لأنه لا يكفر بترك الصلاة فلا، إلا إذا كان سبب عدم تكفيره بترك الصلاة هي مبادئ الإرجاء، وهي قوله أن المرء لا يكفر بترك عمل؛ فحينئذ اعتمد على عدم تكفير تارك الصلاة بقول المرجئة، فأنت تتهمه بالإرجاء لقاعدته وليس بنتيجة قوله.

وبهذا ننتهي من المرجئة، ويكفي هذا، هي طوالع وصور يستطلع بها المرء ويستفيد بها إذا قرأ في الفرق والمذاهب.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

20

إن الحمدلله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلله فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلوات ربي وسلامه عليه.

نتحدث اليوم أيها الإخوة عن فرقة أُحدثت في مطلع القرن التاسع عشر الميلادي، أي قبل 200 سنة تقريبًا، هذه الفرقة أحدثها أعداء هذا الدين، ووجد أعداء هذا الدين في الزنادقة دومًا بغيتهم. والقاعدة أنه إذا غلب أهل البدع على مكان، لا بد أن تنتشر الزندقة ويقل الدين وتكثر الفتن، ويكون هناك المدخل لغلبة أعداء الله –عز وجل– علينا، فما من وقت غلب فيه المبتدعة على بلاد الإسلام إلا ووجد أعداء الله –عز وجل– من اليهود والنصارى وغيرهم إلا وجدوا بغيتهم في بلاد المسلمين.

ولذلك لما جاء الصليبيون إلى بلادنا في القرون الأولى وجدوا في الإسماعيلية –العبيديين– المعاونة، وعندما جاء التتار إلى بلادنا كذلك، الذي فتح بغداد لهم هو ابن العلقمي الوزير الشيعي الخبيث الرافضي، وكان إمام الروافض يومها هو نصير الدين الطوسي الذي كان يزعم قربه من أهل السنة، فلما جاء التتار هو الذي نصح الخليفة بفتح أبواب بغداد له، ثم تبيَّن أنه من جنودهم، وهو رجل رافضي معظَّم عند الشيعة، الروافض يعظمونه وحتى الخميني اللعين المتأخر يعده إمامًا، ويعدُّه أهل الزندقة من الفلاسفة مُقدَّمًا في الحكماء.

فما من فترة جاء أعداء الله إلى بلادنا إلا ووجدوا في الزنادقة من أتباع الفرق البدعية الضالة المناصرين لهم ووجدوا التأييد عندهم، هذه هي القاعدة.

وأنا أعتقد أن جزءًا من معارك الإسلام القادمة ستكون مع أهل البدع الضالة والزنادقة كالدرزية والنصيرية والرافضة، ولا أستبعد في الحقيقة أن يُعدّ أعداء الله –عز وجل– من اليهود مهديًا للشيعة؛ فالشيعة ينتظرون إمامًا غائبًا لهم، وهو محمد بن الحسن العسكري الذي غاب في سرداب في سامراء، وفي هذا السرداب قبل أن يأتي حزب البعث الكافر في العراق كان يجلس رجل شيعي ويربطون فرسًا أبيض عند السرداب على مدخله الذي يزعمونه، هناك رجل يجلس وصفه لي من رآه قال: رجل كبير هكذا، ويجلس عند السرداب ويصرخ: "اخرج إلينا عجَّل الله فرجك"، والمئات كانوا يزورونه، ولكن لما جاءهم البعث قضى على هذا الأمر. فلا نمدح المقتول ولا القاتل كلاهما شر، لكن لا يمنع أن يكون

اليهود يُعدّون مهديًا لهم ليخرج من هذا السرداب، وهم لا يخافون أن تُكتشف اللعبة، لأنه ثبت أن هذه الأمة بوجود أهل البدع فيها أنها مرتع وخيم لبدعهم، ولو كُشفت اللعبة فيكون خلال الغفلة قد سارت القضية وأخذت أبعادها.

البابيّة

وهنا نحن مع فرقة لعبت وتر المَهْدَويَّة، والشيعة يربطون كل دينهم بالمهدوية، فعند الشيعة الروافض الأعمال الجماعية من الدين لا تُقام إلا بوجود الإمام، حتى صلاة الجماعة عندهم لا ينبغي أن تكون إلا بوجود الإمام الغائب، وكذلك الجهاد الهجومي وهو جهاد الطلب لا يُجيزونه إلا مع وجود الإمام. ولكن الخميني أحيا لهم فكرة قديمة قالها بعض أئمتهم بما يسمى (ولاية الفقيه)، ومع ذلك كان كثير من الشيعة يرفضون القتال مع الإمام الفقيه، إلا أن الخميني لعب لعبة جيدة بأن أخرجهم للقتال من باب حتى جهاد الدفع.

القصد أيها الإخوة الأحبة أن فكرة المهدوية هي استطلاع الإنسان إلى الغيب، لا بد لكل أمة أن تحلم بوجود يوم تصبح فيه سيدة، واليهود لو قرأنا أسفارهم في التوراة كـ(دانيال) خاصة الذي بإجماع أهل التاريخ كُتب خلال السَّبي البابلي، فهو مليء بالنبوءات التي تُشوِّف وتُشوِّق اليهود إلى يوم يعودون فيه ويحكمون العالم عندما يأتي ملكهم المنتظر، وهم ينتظرونه، وإلى الآن لو قرأتم كتاب اليهود (الحسيديم) لوجدتم أخبارًا غريبة عن استطلاع أحبارهم إلى خروج هذا الملك الذي يحكم العالم، حتى أن بعض هؤلاء الأحبار أُصيب بالجنون وهو يتطلع إليه.

والنصارى كذلك كثير منهم يعتقدون أن القيامة هي عند نزول المسيح مرة ثانية، وأهل الإسلام يعتقدون أن المسيح لا بد أن ينزل. فاعتقاد كل أمة أن هناك رجلًا لا بد أن يأتي ويملأ الأرض عدلًا كما مُلئت ظلمًا، كل أمة ترجو أن يكون هو رجلها.

اليهود كانوا يظنون أن النبي القادم سيكون منهم، فلما جاء رسولنا ﷺ من بني عدنان وليس منهم أنكروه وكذبوه، والنصارى كذلك كانوا ينتظرون (الفارقليط) أي المحمود أو المشكور، مع ذلك لما جاء النبي ﷺ كفروا به ولم يصدقوه.

كذلك المهدوية حتى في أمة محمد ﷺ أنتجت كثيرًا من الشغب لعدم فهم أحاديث الفتن فهمًا صحيحًا. وظهر مهدويون كثر، حتى اليهود ظهر عندهم مهدويون كثر، أشهر المهدويين عند اليهود مهدي ظهر في بغداد في زمن الدولة العباسية وزمن هارون الرشيد، وهذا المهدي تبعه الكثير من اليهود وأحدث ضجة كبيرة، ولكن الغريب في نهاية الأمر أنه أسلم.

وكذلك ظهر مهدي في زمن الدولة العثمانية، ودعا إلى إجماع الناس عليه من أجل أن يعود إلى فلسطين، واجتمع اليهود عليه، وكذلك من فضل الله أنه أسلم.

أما أهل الإسلام فالمهدويون كثر، المهدي بن تومرت كان يعتقد أنه هو المهدي، وأنا أعرف خمسة يعيشون ويعتقدون في أنفسهم المهدوية!

طبعًا المهدي أحاديثه أقل ما يقال أنها حسنة، وهو حقيقة، لم يروِ البخاري ومسلم أحاديث المهدي إنما رُوي في (مسلم) حديث يبيّن صفته ولا يذكر اسمه، لكنه في السنن مذكور، وهو رجل سُنّي يأتي ويحكم بشريعة النبي ﷺ، يقاتل المسلمون معه اليهود، ويملأ الأرض عدلًا، ويقاتل أهل الإسلام معه، وفي آخر أوقاته ينزل عيسى –عليه السلام– ويصلي خلفه عند اجتماع جيش الدجال مع جيش المهدي على أرض بيت المقدس فينزل عيسى –عليه السلام– عند المنارة البيضاء شرقي دمشق.

وقصة المهدي طويلة، لا أريد أن أخوض فيها، فليس هذا بابنا.

القصد أنه لعدم فهم أحاديث المهدي ولتشوف الناس للسرعة بخروجه؛ ذهبوا وتنبؤوا أن فلانًا المهدي، ويعتقدون أنه المهدي.

يعني قصة جهيمان –عليه رحمة الله– مع محمد بن عبد الله المهدي قصة غريبة، وأغلبها يقوم على الرؤى، ورؤى غريبة جدًا في الحقيقة تدل على سكون هذا الأمر في نفوس الناس، وأنهم كانوا يفكّرون به ليل نهار. وحُدِّثتُ من أحدهم ممن كان معهم ببعض الرؤى الغريبة جدًا، وكذلك أعرف رجلًا أهل بلدته كلهم رأوا أن فلانًا بن فلان –واسمه محمد بن عبد الله–المهدي، فالرؤى جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة، والباقي ليست من النبوة! فهي مُبشِّرات، ولكنَّ الناس يتوَّهمون في هذا.

الشيعة من أكثر الناس اختلاقًا في هذا الباب، ودخلت عليهم البدع الباطلة التي وصلت إلى إلغاء الشريعة تحت هذا الباب. هناك رجل اسمه كاظم الرَّشْتي كان في شيراز وعنده أتباع، عنده رجلان من أخبث خلق الله: واحد اسمه أحمد الإحسائي والثاني حسين البشروئي، جاءهم شاب اسمه علي بن محمد الشيرازي يطلب العلم أقدمه خاله سيد ميرزا، هذا الشاب وُلد سنة 1819م، وهو شاب أخذه ووضعه عند هذا الخبيث كاظم الرشتي. وهذا كان يعتقد أنه هو المُجدِّد وأنه هو المهدي.

فتتلمذ هذا الفتى الصغير على يديه، وكان صوفيًا يمارس الرياضة الإشراقية، وكان جزء من رياضته أن ينظر إلى الشمس من صباحها إلى مسائها، فهذا الفتى مشى معه وكبر، فمات كاظم الرشتي، فكان حسين البشروئي وأحمد الإحسائي يبحثان عن خليفة لهذا الكاظم يحمل قضية التجديد، فرسخ في ذهن هذا الفتى علي بن محمد الشيرازي أنه هو المعنيّ، وأنه هو المهدي الذي يُمهِّد الخير لمن بعده، أو هو المهدي الذي يعتقد في نفسه أنه ينسخ الشريعة.

والمهدوية عند الشيعة تختلف جذريًا عن المهدوية عند السنة؛ فالمهدي عند الشيعة ينسخ الشريعة ويحكم بشريعة جديدة ويُحضر قرآنًا جديدًا ولا يحكم بشريعة محمد ﷺ، ويُقرِّب اليهود والنصارى ويقتل النَّواصب الذين هم أهل السنة.

فهذا مع صغر سنه بدأ يتوهَّم هذه الأوهام ويعتقد أنه هو المهدي، وبدأ يدعو لنفسه. طبعًا الشيعة كاليهود يتشوَّفون لهذا، فبدأ أتباعه يكثرون وعمره 25 سنة فقط، التفَّ حوله جَمْعٌ من الناس وأحدث ضجة كبيرة، والتف حوله حتى النساء، هناك امرأة مشت معه سماها "قرة العين". طبعا هذا المهدي المكذوب اجتمع هو وأتباعه وأعلنوا سقوط الشريعة وسقوط التكليف، وأنه نسخ الأديان وأسقط الأحكام الشرعية، وأسقط عقود الزواج ودعا إلى الإباحية. وهذا شأن المبتدعة، لكي يجمعوا الناس إلى دينهم؛ لأنهم من غير شهوة كيف يمشون معه؟! لا بد من شهوة. فالتفَّ حوله جماعة من الناس.

ولكن كان هنالك ملك شيعي في إيران اسمه ناصر الدين شاه، قام بعض علماء الشيعة حقدوا عليه وكذَّبوه وأفتوا لهذا الملك بأن هذا كافر يجب أن يُقتل، بالفعل أحضره سنة 1850 كان عمره 31 سنة فقط وقتله. حاول جماعة من أتباعه أن يُهرِّبوه من السجن لكن لم يستطيعوا، وكان هناك اثنان من أخبث الخلق من أتباعه شقيقان.

وهذا علي محمد الشيرازي سمي بـ"الباب" وسمي أتباعه بـ"**البابيَّة**"؛ لأنه اعتبر نفسه الباب الذي يُؤخذ منه الدين الجديد، على قاعدة الحديث الموضوع الذي هو من رواية أبي الصلت الهروي: "أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها"، فالعلم الجديد بابه أنا، فأنا الباب، فسمي أتباعه بـ"البابية". ولكن هذه الفرقة بادت وانتهت

"قرة العين" هذه كان لها زوج هو ابن عمها خرجت من عصمته من غير طلاق، واجتمعوا في حديقة لهم وأعلنت هذه المرأة سقوط التكاليف، ألقت خطبة مكتوبة مُسجَّلة في كتبهم وقالت: ليس هناك صلاة ولا صوم ولا زكاة ولا حج، وأزيحوا الستور بينكم وبين النساء. هذه المرأة دخل عليها جماعة من الناس وقتلوها وهي في الحمام مع عشيق لها، وتسمى بـ"قرة العين" ويلقّبها أتباعها بـ"الطهارة"، على قاعدة القائد الثوري يعني!

"قرة العين" هذه لها خبر في كتاب (مختصر التحفة الاثني عشرية)، لأنها سُجنت في وقت من الأوقات في بيت محمود شكري الألوسي علَّامة العراق –عليه رحمة الله–، يقول: أنا ما رأيت عليها شيئًا وكانت تُظهر النُّسك وهي مسجونة في بيته، ولكن الناس يقولون وأتباعها يقولون أنها كانت تدعو إلى الإباحية. بلا شك أنها كانت تتظاهر بالنسك والعبادة في سجنها معه.

البَـهَائيَّة

قلنا كان هناك شقيقان واحد اسمه حسين علي النوري المازندراني، وكان له أخ اسمه يحيى المازندراني، الأول لقَّب نفسه بـ"البهاء"، والثاني لقب نفسه بـ"صُبح أَزَل"، وبدآ يقولان: صحيح أن عليًا بن محمد الشيرازي هو الباب، ولكن باب لمن؟ باب لنا، وهما اللذان دعا وبشَّر بهما الباب. طبعًا الدولة الإيرانية لحقت به فاضطر إلى الهرب ومكث في بغداد مدة.

فقام هؤلاء في بغداد بالدعوة لمدة 12 سنة تقريبًا، في منطقة السُّليمانية يدعو "البهاء" لنفسه أنه هو الذي بشر به "الباب"، وأنه هو "بهاء الله" بل جعل نفسه هو الذي حلَّ فيه الله. طبعًا حصلت خصومة كبيرة بين "صبح أزل" أخيه يحيى وبينه هو حسين علي نوري، وصار صراع كبير: من الذي يأخذ الخلافة، الظاهر أن الإنجليز وجدوا أن "البهاء" أكثر ذكاء، لذلك نُفي "صبح أزل" إلى قبرص ومات فيها سنة 1920، ولم يقم الإنجليز بدعمه ولا بإعطائه المال، انقرض وانتهى أمره.

فتبنَّى هؤلاء الملاعين الإنجليز "البهاء" وبدأ بإسقاط التكليف وإحضار ديانة جديدة، هذه الديانة تقوم على إلغاء الفواصل بين الأديان، وعلى إسقاط الشريعة، وخاصة القضية الكبرى بالنسبة للإنجليز في حكمهم في بلادنا وهي قضية الجهاد.

وهو أول من دعا إلى أن الجهاد قد نُسخ، ونسخ الشريعة، وقال أتباعه أن كل نبي جاء كان خيرًا ممن قبله، فالبهاء هو آخر واحد جاء نسخ الشرائع، فهو أفضل من جميع الأنبياء. طبعًا هم يعتقدون فيه الألوهية، وقامت ضجة كبيرة حوله حتى اتفقت الحكومة الإيرانية مع الحكومة العثمانية على نفيه فنُفي، طبعًا هم أرادوا قتله ولكن تدخل القنصل الإنجليزي بمنع قتله والضغط على الحكومة العثمانية لئلا يُقتل، فأخذوه ووُضع في عكَّا، ومات هناك في فلسطين، في عكا ودفن هناك.

هناك رسالة قرأها أحد الإخوة وأخبرني أن قبره لما أُقيمت الدولة اليهودية كلَّف بناؤه خمسة ملايين في ذلك الوقت، وقبره ليس مدفونًا في الأرض إنما هو في إحدى طوابق عمارة موجودة في عكا.

ونسخ كما قلت لكم الشرائع وأبطل الجهاد، ودعا إلى الإباحية وإلى إحداث دين جديد يدعو إلى وحدة الناس على دين واحد، هذا المذهب يسمى بـ"**البهائية**"، وصاروا يعتقدون أنه هو الإله، فأمره وقوته نشأ من خلال الذهب الإنجليزي الذي أُعطي له لبث أتباعه ودعوته وكتبه إلى الناس.

هذا الخبيث لما مات خلَّف ولدًا خبيثًا مثله اسمه عباس أفندي، هذا عباس ذكي مع أنه خبيث، وُلد في يوم إظهار الدعوة، متى أظهر دعوته بهاء الله هذا البهاء الكاذب؟

اجتمع في حديقة اسمها نجيب باشا في العراق مشهورة، واختلى فيها لمدة 12 يوم من 21 نيسان إلى 3 أيار، ودعا بعد 3 أيار إلى أنه سيد الدعوة الجديدة، فهذه الأيام عند البهائية هي أعياد البهائية.

في يوم إظهار الدعوة وُلد له ولد: هذا الخبيث، وعباس بعد ذلك الظاهر أنه رُبِّي تربية استخباراتية، فأخذه الإنجليز وطوَّفوه على أوروبا كلها، زار بريطانيا وزار ألمانيا، وطاف في أوروبا وزار أمريكا، وبدأ يدعو للنِّحلة واستجاب له مئات الآلاف من الأتباع، وجمع الملايين من أتباعه وأنشأ المراكز لهم، وكان يدعو إلى ما دعا إليه أبوه من وحدة الأديان، وهذه وجدت صدى في أوروبا، الدين الواحد وعلى طريقة المذهب الإنساني.

فهذا عباس عبد البهاء، هو سمى نفسه عبد البهاء، وصورته ذكرها خير الدين الزركلي في المجلد الثالث في كتابه (الأعلام). على قاعدة الصوفية: وجهه نور! لابس لحية كبيرة ولابس عمامة، حتى لا تغتروا وتقولوا الكافر لازم يكون حالق لحيته، ممكن الكافر تكون لحيته نص متر!

أقرأ لكم لتروا ماذا قال عنه، وهو مات سنة 1921م قال في ترجمته:

"عباس عبد البهاء بن حسين علي نوري الملقب بالبهاء بن عباس بن بُزُرك، -البُزُرك في اللغة الأوردية يعني الرجل العظيم-، آخر من قام بالبهائية وتنظيم جماعتها، -والحقيقة جاء ابن اخته بعده-، فارسي مُستعرِب -أي يتكلم العربية-، أصله من بلدة بمازندران، مولده في طهران، خرج مع أبيه البهاء لما نُفي إلى العراق سنة 1268هـ، فأقاما 12 سنة، وأُبعدا إلى الأستانة، ومنها إلى أدرنة فمكثا فيها نحو خمس سنين ونُفيا إلى قلعة عكا بفلسطين، فمات بها

أبوه سنة 1309 للهجرة. وخلفه عباس بعهد منه. وانتقل إلى حيفا، وزار أوروبا سنة 1830م، وأمريكا سنة1831، وعاد إلى فلسطين ومات في حيفا.".

يقول عنه خير الدين: "كان متوقِّد الذكاء، جادًا في نشر بدعته، يستميلُ الناس بلين الحديث وكرم اليد، وتبعته جماعات في شيكاغو بالولايات المتحدة وبعض البلاد الأخرى. خلَّف آثارًا بالعربية والفارسية.. إلخ".

لما نفق هذا لم يكن له أولاد فكان له ابن أخت اسمه شوقي، فعَهِد بالإمارة إليه، لأنه كان يدرس في جماعات أوروبا دراسات أكاديمية متقدمة، كما ذكرنا لكم عن كريم خان. توفي هذا سنة 1957، وبعد ذلك قرروا ألا يكون هناك أمير واحد للمجلس البهائي، بل يختارون تسعة من العالم هم يقودون المحافل البهائية.

وسأقرأ لكم بعض ترجمته، يقول:

"شوقي رباني سِبط عباس عبد البهاء بن حسين، آخر من تولى زعامة البهائيين، التالي خبره بترجمة جده عباس عبد البهاء. تولَّى أمرهم بعد وفاة جده بوصية منه، وكان يتابع دراسته بأكسفورد، فانعقد في عكا بفلسطين ما سموه مجلس الحواريين التسعة، وهم ثلاثة إيرانيين وثلاثة أمريكيين وإسرائيلي وألماني وكنديَّة -هي زوجته، اسمها روحية رباني-.

قرروا دعوة شوقي لتولي الإمارة، فترك الدراسة للنظر في أمور محافلهم المتفرقة في البلدان، ويسمونها (مشارق الأذكار) -أي المحافل-".

ذكر أنه لهم أماكن في عشق آباد في تركستان الروسية، ولهم مركز كبير في شيكاغو في أمريكا. يقول: "لهم أوقاف كثيرة تُقدَّر ببضعة ملايين"، هذا قديم ملايين اليوم بلايين!

يقول: "تضاءلت الدعوة في أيامه، -ما كان نشيطًا مثل جده الخبيث-، إلى أن مات فجأة في لندن، وهو آخر هذه السلالة" الله يلعنهم.

موجود أتباع لهم بكثرة، في فلسطين لهم أتباع، هم يُصلُّون؛ يقفون في الصلاة للدعاء وهم لا يسجدون ولا يركعون، لكن يتوجهون بالصلاة إلى عكا إلى قبر البهاء الملعون. وهناك من اتبعهم في أوروبا، في فلسطين لهم أتباع بكثرة، واليهود أنفسهم يرعونهم ويحمونهم.

إذا دخلت بيت بهائي عادة تجد صورة عباس وتجد تحتها مكتوب: "يا بهائي يا إلهي"، رأى أحد إخواننا هناك مدارس للأطفال عندنا في الأردن زعيمهم بهائي ولهم محفل عندنا في غور الأردن، فموجود والدولة ترعاه، وكتاب (مناجاة

طلب السلام العام لحضرة عبد البهاء هو الله) هو كتاب لهم وُزعٍّ في الأردن مجانًا، مطبوع بمعرفة المحفل الروحاني المركزي للبهائيين في العراق، وزع في كثير من البلاد منها الأردن. يقول: هو موجز في تاريخ البهائية وأسسها. قال: "وُلد الدين الذي أسسه بهاء الله في إيران حول منتصف القرن التاسع عشر".

طبعًا هم عند غير المسلمين يقولون: نحن لسنا مسلمين ولا يهود نحن ديننا دين جديد، لكن عند المسلمين يقولون: نحن مسلمون، لذلك ترجموا القرآن، أول ترجمة للأسف من القرآن إلى الإنجليزية ترجمها بهائي. ولكن هم في حقائقهم يقولون: نحن غير مسلمين.

"وثبَّت مركزه الروحاني الدائم في أرض المقصود نتيجة لنفي مؤسسه المتعاقب الذي انتهى بنفيه إلى عكا مستعمرة القصاص التركية"، إذًا يُسمي الحكم التركي استعمارًا.

يقول هنا: "أول مذهب من مذاهبهم التوفيق بين العقائد الدينية المتنازعة" وحدة الأديان، طبعا وحدة الجنس البشري على هذا الأساس.

المُبشِّر الذي هو الباب هو الميرزا علي محمد، ثم بهاء الله، ثم جاء عبد البهاء، وهذا الكتاب كُتب من قبل شوقي أفندي.

"النبذة الأولى: أساس الأديان واحد، كل الأديان حتى الأرضية"، وهكذا. عندهم اتفاق الدين والعلم على طريقتهم، عندهم تساوي البنت مع الولد في حقها، كما يدعو إليه النصارى تمامًا، تأسيس السلام العام، وهم أول من دعا إلى إيجاد لغة واحدة للعالم، وبعضهم اقترح بأن تكون هي اللغة الإنجليزية المعدَّلة.

هنا يقول: "النبذة التاسعة: اتحاد لغة عالمية". يقول: "وهي إما أن تكون إحدى اللغات الحية، أو تُوضع وضعًا وتصبح على الفور أداة التخاطب والتفاهم العالمي بين مختلف الشعوب والأمم"، تأسيس السلام العام، سقوط القتال والجهاد العام عندهم، إلخ.

فهذا هو دينهم، وهم موجودون في العالم، قلت لكم: كثير من العرب يدخل فيهم، موجودون في فلسطين والأردن لهم أتباع بكثرة، ومن العرب المهاجرين إلى أوروبا وكثير من الإنجليز والأمريكان، بل إن من أعظم مراكزهم في العالم هو الذي في شيكاغو، وهم أثرياء أغنياء لمن يدخل معهم يمدُّونه ويعطونه، وأظن لهم مركز هنا قال لي بعض الإخوة أن لهم مركزًا في هذه البلاد.

فهذه هي البهائية، وهي إن كانت الآن تتلاشى ولكنها في ذلك الوقت أُقيمت من أجل منع الجهاد، وفي نفس الوقت الذي نشأت فيه هذه الفرقة البهائية في إيران وتعدَّت إلى العراق؛ نشأت فرقة أخرى وهي التي سيكون حديثنا التالي عنها، وهي "**القاديانية**" التي نشأت في الهند، وحينها لم يكن هناك فرق بين الهند وباكستان.

هذا ما حضرنا في هذه الفرقة الخبيثة، وهي فرقة زنديقة كافرة، لا حظ لها في الإسلام.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

21

إن الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلله فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلوات ربي وسلامه عليه، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى صحبه الغر الميامين، وعلى من تبعهم بإحسان وهدى إلى يوم الدين، جعلنا الله –عز وجل– وإياكم منهم، آمين آمين.

قلنا أن من صُنع أعداء الله –عز وجل– الذي التقى مع الأرضية الضالة في أمتنا، وهذه هي تمام المعادلة، تمام المعادلة وجود العدو الخارجي مع وجود الانحراف الداخلي، أنتج في مطلع القرن التاسع عشر الهجري فرقة **البهائية**، والتي قبلها كانت **البابية** وهي فرقة بادت وانتهت وبقيت البهائية. وفي نفس الوقت الذي دعم به الإنجليز والروس –لما كان الروس قياصرة البهائية وتدخلوا لدى الدولة العليَّة العثمانية لمنع إعدام البهاء وهو حسين علي المازندراني، تدخلوا لإنقاذه من حبل المشنقة من قِبل والي بغداد.

القاديانيَّة

في نفس الوقت أوجد الإنجليز فرقة أخرى في داخل الهند وبالتحديد في البِنجاب، والبنجاب تعني الخمسة أنهار: "بنج" أي خمسة، و"اب" أي نهر، لم يكن هناك توزُّع في القارة الهندية بين باكستان والهند، فكان هناك رجل مشعوذ يشتغل بالشعوذة والطب، وكان يعمل مع الإنجليز ووُلِد له وَلَد، هذا الولد سُمي بالميرزا غلام أحمد، ويقال له القادياني نسبة لقاديان وهي المدينة التي وُلد فيها، وُلد 1834م. وتربى في كنف والده، ووالده علّمه على الطريقة الغربية رجاء أن يقتنص الفرصة بالدخول موظفًا عند الحكومة الإنجليزية التي استعمرت الهند.

وليس فقط الأندلس هي التي سقطت بيد النصارى التي يقال لها إسبانيا، وليس فقط فلسطين الآن بيد اليهود، بل إن الهند كانت من ممالك الإسلام ومن دول الإسلام، وبقيت بيد المسلمين حتى جاء أعداء الله من الإنجليز واستعمروها، أو استحمروها لم يُعمِّروها ونهبوها، وقامت الثورات المجيدة العظيمة في الهند بقيادة علماء المسلمين، قام علماء ديوباند

بالثورات الشيخ أحمد حسين المدني، **والدِّيُوبَنْدِيَّة** كثيرًا ما خرجوا بالثورة وخرج علماء الحديث بذلك الوقت وقاموا بالجهاد ضد الإنجليز.

ولكن الإنجليز قبل خروجهم كعادتهم في كل بلد يُخرجون صنمًا يجعلونه بطلًا، يرسمون فيه البطولة ويدفعون في صورته روح النضال الكاذبة؛ كما هو شأن سلطان باشا الأطرش، كما هو شأن الخنزير التونسي بورقيبة وغيرهم، وكما نفخوا بالحسين بن علي وأحفاده، طبعًا بعضهم يكون مغفلًا لكنه على قاعدة الجاسوسية "المغفَّل النافع". فصنعوا رجلًا هندوسيًا كان فيه مرض يستشفي منه ببول البقر، وقال بعض معاصريه أنه كان يستشفي بماء الرجال ويشربه، وهو الذي يقال له "غاندي"، فخرج بلعبة "الصراع السِّلمي".

طبعًا غاندي رجل هندي درس في بريطانيا القانون، وبعد ذلك رجع إلى جنوب أفريقيا ومارس المحاماة، ثم بعد ذلك رجع إلى الهند وزعم أنه يريد أن يحرر الهند عن طريق الصراع السلمي وإثارة روح الخجل والندم في نفسية القائد والرجل الإنجليزي. للأسف صُنعت منه أسطورة كبيرة حتى من أسطورته أنه لما جاء ليفاوض الإنجليز هنا، أحضر معه من الهند غنمة ليشرب من لبنها ولا يأكل من طعام الإنجليز! طبعًا ما سألوش الناس أنفسهم هل كان يدفع التذاكر للغنمة؟ من أين كان يجلب لها الحشيش وثمن العلف؟ هل كانوا يُحضرونها أيضًا بالطائرة؟! على قاعدة القذافي لما كان يسافر كان يأخذ معاه الجِمال مشان يشرب من لبن النوق! المة الآن مغفلة.

طبعا لما توضع الصورة هكذا، هذا الرجل لا يأكل من عند الإنجليز ويشرب من لبن العنزة، والأمة يُصنع بها كما يُصنع بالبغل، تعرفون البغل؟ يُوضع عليه واقيان في عينه، فيمشي، ولا يرى ماذا يدور في الجوانب، {مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى}، فقط يُريهم أن هذا الرجل الوطني العظيم الذي يشرب من لبن العنز الهندي، وبعد ذلك أسئلة كثيرة تدور لا يمكن أن تنشأ، ولو نشأت لكن على قاعدة قصة "ثياب الملك"، وهي قصة رمزية معروفة:

كان هناك ملك يُصرُّ أن يلبس كل يوم ثيابًا لم يلبسها من قبل، لحرصه ألا يلبس أحد مثل ثيابه، فتعب الخياطون منه، فخياط ذكي قال: أنا أعالجلكم غباء هذا الملك، فجاء إليه فقال له: يا ملك أنا سأصنع لك ثيابًا لا يراها إلا العقلاء، أما الأغبياء فلا يرونها، فإذا قال لك رجل: أنت عارٍ، فاعلم أنه غبي لا يرى الثياب. قال له: هذه ثياب لا يمكن لأحد أن يصنع مثلها، فأوقفه عاريًا ليصنع له الثياب التي لا يراها إلا الأذكياء ولا يراها الأغبياء! فصار الخياط يأخذ من الهواء كالقماش ويضع عليه ويخيط، فالملك إذا قال: أنا لا أراها سيكون غبيًا فيخجل، فيقول له: كيف أنت

يا جلالة الملك تراها؟ فيقول له: جيدة، فيقول: الآن صنعنا الثوب، الآن صنعنا الإزار الآن السروال، ما شاء الله أسبوع وهو يخيط له!

وبعد ذلك: انظر، أنت في أجمل ثياب، والآن ستخرج للناس ليروا هذه الثياب، وأعلن بين الناس أن هذه الثياب لا يراها إلا الأذكياء، وأخرج الملك عاريًا بين الناس يطوف بهم وثيابه لا يراها إلا الأذكياء! الكل ينظر إلى الملك وهو عارٍ ولكن الكل يخاف أن يُظهر جهله وغباءه ويقول: يا جماعة الملك عارٍ. فخرج واحد مجنون –مثلنا– لا يعرف القصة قال: ما بكم الملك عارٍ؟! طبعًا ضحك الناس، واكتشفوا أنهم هم الأغبياء.

وهذه القضية الآن، كيف أنت تأتي وتقول: فلان كذا وكذا؟ كيف الآن تتهم أنت غاندي هذا الإنسان الذي حطَّم أسطورة المستعمرات الإنجليزية عن طريق السلم؟! ولا تظنوا أن هذه اللعبة لم تنطلِ على المسلمين، فهناك جماعة من المسلمين تمتدح طريقة غاندي ويرونها الطريقة المثلى في إقامة الدولة الإسلامية. بصراحة هذا ليس باستنتاج، جودت سعيد ومعه خالص جلبي ومعهم كثير من هذه الجَوْقَة التي تُغنّي على هذه الطريقة، إذ يرون أن الطريقة المثلى لإقامة الدولة هو أن لا نصارع الآخر بل أن نستسلم له، قال: فهو ماذا سيصنع؟ قال: يأتي الحاقد عليك وهو يُبغضك فيضربك يضربك، وأنت تقول له: والله لن أبغضك والله لن أقول عنك أنت عدوي أنت مسكين أنت لا تعرف الحقيقة، هو يضرب يضرب يضرب، فبعد مدة من الضرب أنت تثير في قلبه وفي نفسيَّته روح الندم، في النهاية سيرمي السوط في يده ويستسلم لك، ويعرف أنك أنت المُصيب!

ما رأيكم بهذه الطريقة؟ هذه مثل ثياب الملك! قالوا: والدليل أن الإنجليز لما جاء غاندي واستسلم لهم، في النهاية خرجوا، ظلوا يسجنون ويضربون وكذا، لكن بالنهاية شعر الإنجليز بالندم وخرجوا من الهند. طبعًا إذا قلت: غلط فأنت لم ترَ الثياب!! إذا تعترض تنطرد. وهذا يقوله أناس كثر من المشايخ الآن، حتى بعض الجماعات ترى أن المشكلة في الحركات الإسلامية اليوم أنها استعدت الأنظمة، يعني هي التي هاجمت الأنظمة وصنعت عِداء الأنظمة لها!!

قالوا: والدليل أن هذه ليست طريقة غاندي وحسب، هذه طريقة ابن آدم الأول، وأصدر جودت سعيد كاتبا سماه (مذهب ابن آدم الأول)، قال على قاعدة {لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ}، طيب في النهاية قتله، لما خوَّفه بالله هل امتنع عن قتله أم قتله؟ قتله.

طبعًا غاندي كان من أكثر الناس حقدًا على الإسلام وأهله، كم كان مسالمًا للإنجليز ولكن يعادله في الشق الآخر كم هو حاقد على الإسلام وأهله، وله عبارات من أخطر العبارات التي تُنبئ وتدل على حقده وعلى بغضه لأهل الإسلام.

القصد أن هذا الرجل ميرزا نشأ وعلَّمه والده، ثم بعد ذلك توجَّه إلى الدراسات الدينية على طريقة الشعوذة وطريقة الخزعبلات. وبدأ يُظهر نفسه أنه أتى بدين جديد، وبدأ يدعو تقريبًا وهو في الخامسة والعشرين من عمره إلى ديانة جديدة، وإلى أنه المُبشَّر به مِن قِبل النبي ﷺ أنه هو المهدي.

بعد ذلك تمادى وفي الأربعين من عمره أعلن أنه هو نفسه المسيح الذي وعد رسول الله ﷺ بنزوله، بعد ذلك كبُرت معه حتى أعلن أنه هو محمد ﷺ، وفسَّر الآيات الدالة على ختم النبوة على أن "الخاتم" على معنيين: الخاتم بمعنى الأفضل هو أفضل الأنبياء، والمعنى الثاني هو الذي يدل على ما بعده. وبهذا أعلن نفسه نبيًا، وتبعه أناس كثر، وصل في الأربعين من القرن الماضي عدد أتباعه في الهند وباكستان ما لا يقل عن نصف مليون رجل، ولما فرَّقوا بين الهند وباكستان استلم رجل من رجال القاديانية اسمه "ظفر الله خان" رئاسة الوزراء في الباكستان، واستلموا الكثير من المناصب.

نفق أحمد القادياني سنة 1908، فانقسم أتباعه بعده. وهو ألغى النبوة، وكانت له علاقة حميمة جدًا بالإنجليز وكانوا يمدونه بالأموال ويدعمونه ويحمونه، وهو أعلن أن من أكبر فضائله أنه حرَّم ومنع الجهاد ضد الإنجليز.

وفي وقت من الأوقات أعلن نفسه أنه "كرِشْنَا" وهو معبود الهندوس، حتى يجتمع عنده المسلمون أنه هو الذي يهديهم، ويتبعه كذلك الهندوس. لما مات انقسم أتباعه إلى قسمين: جماعة تقال لها "**اللاهوريون**" نسبة إلى لاهور، قالوا: غلام أحمد القادياني لم يكن نبيًا لكنه مُصلح فقط، ومن أنكره فهو فاسد فاسق، والقسم الأكبر –وهم أبناؤه وأخلص الناس به– قالوا: بل هو المسيح المنتظر، وقاموا بترجمة القرآن وبتفسيره.

والرجل كان يصاب بالأمور التالية:

أولًا: كان من أجهل خلق الله، وكان يؤمن بالتنجيم والنظر في الأفلاك ومعرفة المستقبل، وكان يصاب بلوثات في علقه.

من أكثر العلماء الذين ناظروه هو عالم من (أمريتسار) وهي مدينة على الحدود الباكستانية الهندية اليوم، وفيها معبد السيخ وأنا دخلتها، وهي من أقذر مدن الدنيا، أظن لا يوجد هناك أقذر منها، ومعبد السيخ كبير، لقذارة السيخ حقيقة وقذارة الهندوس، يعني الشعب هناك يتعبَّد بالقذارة وعدم النظافة! فكان هناك عالم في الحديث اسمه "ثناء الله الآمريتساري"، ورد عليه ردودًا، وأرسل له الميرزا غلام رسالة قال له: إذا كنت أنا على الباطل كما تزعم وتسب علي، أسال الله أن أموت قبلك، وبالفعل مات قبله بـ41سنة، وهذا من كرامات الغلام أحمد القادياني!

تزوج الأولى وولد لها ولدان، ثم تزوج الثانية وولد لها أربع أولاد، وعشق بنتًا من قريته لم يكن أبوها من أتباعه، فأعلن أن الله أوحى إليه أنه لا بد أن يتزوجها، وهي تُبغضه ولم تتزوجه، وأعلن أنه إذا لم يتزوجها ستموت وسيموت أبوها، ولكن في النهاية تزوجت وأنجبت أولادًا، وهو فطس قبلها!

وأتباعه ينتشرون، بقيت القاديانية كنِحلة دينية يُعترف بها في باكستان بعد الاستقلال، حتى بعض أتباعهم وصل إلى رئاسة الوزراء، لكن في الأربعين سنة 1940-1945 قامت المحكمة الشرعية بإعلان أن القاديانية طائفة كافرة مرتدة ويجب قتلها.

لذلك هم قبل خمس سنوات فقط هنا في بريطانيا أنشؤوا مؤتمرًا، وألقى فيه أميرهم بحثًا في إسقاط حدّ الردة، ووزع الكتيب لعل بعضكم قد رآه، وبعضهم يكون له الطاولات على طريقة الدعوة في هذه البلاد، ويوزّعون هذه الكتب ومنها (حكم الردة في الإسلام)، إمامهم ألقاه وللأسف أن الأدلة التي يستند إليها القاديانيون لإسقاط الردة هي عينها التي يقولها التُّرابي والغنوشي!

لأن الترابي لا يقول بحد الردة، يقول: الردة في الإسلام هي الخروج على نظام الدولة، وأن أبا بكر الصديق -رضي الله تعالى عنه- قاتل المرتدين لا لخروجهم عن الملة، إنما لأنهم خرجوا عن نظام الدولة، والناس كانوا يكفرون ويُسلمون في زمن النبي ﷺ ولم يُؤثَر أنه قتل مرتدًا، والدليل أن الله قال: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا} أي الناس كانوا يكفرون ويؤمنون، طالعين داخلين ما حد بقلهم وين رايحين!

ثم دعم هذا للأسف راشد الغنوشي في كتابه (الحريات العامة في الدولة الاسلامية)، ونصر هذا القول للأسف أنه لا يوجد حكم ردة، وأظن أن كبيرهم الذي علمهم السحر يوسف القرضاوي على هذا الباب يقول أن الردة سقط

حكمها، وأن الرجل المرتد هو فقط من خرج على نظام الدولة، ليس فقط الذي بدل دينه، أما قوله: (من بدَّل دينه فاقتلوه)[110]؛ فالمقصود به الذي خرج عن الجماعة، لقوله: (والتارك لدينه المفارق للجماعة.)[111].

هذا هو أمرهم، فالقاديانية أُعلن أنها فرقة كافرة خارجة، وقامت بالفعل بعض أعمال القتل وملاحقة القاديانيين وهدم مساجدهم. طبعًا هو دُفن بفتوى خبيثة في منطقة البنجاب في قريته وسموها الربوة على أساس أنه هو المسيح: {وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ}، وقالوا: الربوة المذكورة في القرآن هي هذه. وقامت الحكومة الباكستانية في ذلك الوقت بهدم هذه الأماكن، وهم ما زالوا ينتشرون، وأعظم مراكز القاديانية موجدة هنا في بريطانيا، وكتبهم تُطبع في إسرائيل، وترجموا القرآن وللأسف من أوائل الترجمة للغة الإنجليزية قام بها القاديانيون.

ولهم أتباع، دخل من فلسطين من المسلمين في دينهم، ودخل من المصريين كذلك في دينهم، ولهم نشاط في هذا الباب لأنهم يقدمون مع دعوتهم شيئًا من المال، هم أثرياء يقدّمون المال، وهم يشعرون -كما شأن البهائية- بالمنة والغبطة للحكومة الإنجليزية، وألفاظهم في هذا من أصرح الألفاظ، أصرح من البهائيين، البهائيون يرون العلاقة وثيقة مع دولة إسرائيل كما تقول ماري ماكسويل زوجة شوقي أفندي الخليفة أو المتخلّف الثالث، تقول: أن العلاقة مع إسرائيل علاقة أبدية لا تنفصم، لكن هؤلاء القاديانيين يرون أن العلاقة من أشد ما تكون مع الإنجليز.

هذا هو شأنهم، وهي فرقة كافرة زنديقة، ليس لها في الإسلام نصيب.

بقي موضوع لا بد من الحديث عنه، وهو:

تعامل أهل السنة مع الفرق الخارجة عن السنة والجماعة أو الخارجة عن الإسلام.

الخارجة عن الإسلام هذه طوائف مرتدة، وإما أن تكون خارجة عن الإسلام بقوة، وإما أن لا تكون خارجة بقوة، يعني: إما أن يكون لها القوة والمنعة أو لا يكون لها القوة والمنعة. فإن لم يكن لها القوة والمنعة يُستتابون ويُقتلون، إلا أن

[110] صحيح البخاري: (3017).
[111] صحيح مسلم: (1676).

يكون دينهم الزَّندقة؛ فهؤلاء على الصحيح لا يُستتابون؛ يعني من كان يُظهر الإسلام ويُبطن الكفر، يقول: "أنا مسلم"، يعني القادياني يقول: أنا مسلم، لا ينفعه هذا؛ لأن شرط الإسلام الذي لا بد أن يُوضع وهو أن يكفر بالطاغوت، ومن الكفر بالطاغوت أن يكفر بكل دين يخالف دين الإسلام، ولذلك قال الشافعي وجرى وراءه الإمام أحمد وغيره وقال المالكية بهذا وحتى الأحناف قالوا به: أن الرجل إذا كفر من باب فلا يجوز له أن يرجع إلى الإسلام إلا من الباب الذي خرج منه، يعني الرجل يقول: (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، ولكن قال: باب الردة لا وجود له. فهذا كفر من هذا الباب، فكيف يعود؟ هل يعود بقوله لا إله إلا الله محمد رسول الله؟ لابد أن يعود إلى الإسلام من الباب الذي خرج منه وهو إنكار حد الردة.

ومن هنا فالمناظرة المذكورة في فقه السنة بين الإمام الشافعي وبين أحمد في موضوع تارك الصلاة غير صحيحة؛ أول شيء سندها ضعيف لا يصح، ثانيًا الإمام أحمد أجلُّ من أن تنطلي عليه هذه، أو الشافعي أجلُّ من أن يقول هذا الدليل، وهو أنه لما قال الشافعي لأحمد: ماذا تقول في تارك الصلاة؟ قال: كافر، قال: بمَ يعود إلى الإسلام؟ قال: يعود بقوله لا إله إلا الله محمد رسول الله، قال: هو لم يفارقها. الشافعي يقول في (الأم): أن الرجل لا يعود إلى الإسلام إلا من الباب الذي خرج منه. فإذا كفر بترك الصلاة، هل يعود ب(لا إله إلا الله محمد رسول الله) أم يعود بالصلاة؟ يعود من باب ترك الصلاة، أي بأن يصلي.

لذلك فالزنديق الذي يُظهر الإسلام ويُبطن الكفر لا تُقبل له توبة.

وأما من أعلن الردة وخرج عن الإسلام فيُستتاب، والاستتابة ليست من أجل عدم تكفيره ولكن من أجل قضية الحد؛ أن نقتله حدًا. أما أنه كافر فبمجرد أنه كفر فهو يخرج من الإسلام، ولكن الاستتابة القضائية من أجل قضية قتله، وهذه على خلاف بين أهل العلم، هل يُستتاب أم لا؟ فمالك لا يرى الاستتابة مثلًا، والصواب أنه يُستتاب لحديث أبي موسى الأشعري -رضي الله عنه- عندما نزل عند معاذ فوجد رجلًا مربوطًا -كما في (صحيح مسلم)- قال: ما بال هذا؟ قال: "هذا كان نصرانيًا فأسلم ثم رجع نصرانيًا، فقام إليه فقتله، فلما سُئل عمر قال: لو كان الأمر إلي لأمهلته ثلاثًا"، يُمهله ثلاثة أيام.

فالذي يخرج من الإسلام على ظاهر الأمر لا بد أن يعود إليه وإلا يُقتل، أما إذا كان زنديقًا فهؤلاء لا تُقبل لهم توبة يُقتلون مثل الإسماعيلية الباطنية القرامطة، مثل الدروز، مثل النصيرية، وللأسف استُتيبوا كثيرًا في تاريخنا وما زادتهم

الاستتابة إلا كُرهًا للدين، شيخ الإسلام استتابهم وقبل ذلك استُتيبوا مرات ولم تنفعهم. لما يخرج عنهم أهل الإسلام أو يضعف أهل الإسلام يعودون إلى كفرهم، فالدروز والنصيرية هؤلاء لا يُستتابون، يُقتلون سواء قدرنا عليهم أم لم نقدر، سواء قدرنا بمعنى أن كانوا في دولة الإسلام أو فارقوها بقوة ومنعة. فهؤلاء يُقاتَلون ويُقتلون؛ يقاتلون إذا كانت لهم منعة، ويقتلون إذا كانت أو لم تكن لهم منعة، على القاعدة النبوية: (من بدَّل دينه فاقتلوه).

فهؤلاء لا تقبل لهم توبة ولو أظهروها؛ كما قال أبو الوليد الباجي: "وهل أظهروا إلا ما كانوا يُظهرونه؟"؛ يعني لما يقول: أنا مسلم، وهو من قبل كان يقول: أنا مسلم، ما الذي غيَّره؟ والشافعي قال: يُستتاب، وهذا غير صحيح، والصواب أن الزنادقة لا يستتابون، وإذا قتلهم مسلم فلا يُودَى ولا يُقتصّ من المسلم، وهذا غير معصوم ودمه غير محترم، وقتل الزنادقة في ديننا أفضل من قتل اليهود والنصارى؛ لأن شرَّهم على الإسلام عظيم.

وأقولها لكم بصراحة: إن المعارك القادمة بين أهل الإسلام وخصومهم سيكون أغلبها مع هؤلاء الزنادقة، سيكون مع الروافض، أنتم ترون هؤلاء الروافض وأئمتهم زنادقة، نحن لا نكفّر العوام إلا من اعتقد باعتقاد الأئمة، فهؤلاء من أكفر خلق الله. وأنتم ترون الآن إيران الدولة الخبيثة الآن تُسمي المجاهدين في الشيشان بقطاع الطريق، هذه دول خبيثة لكن الأمة تنسى وكل مسلم يريد مصلحته ولا ينظر إلى دين الله –عز وجل–.

لما كان الجهاد في سوريا؛ للأسف المجاهدون أو الإخوان المسلمون ذهبوا إلى إيران ظانين أنها دولة إسلامية، وخلخالي الذي أنشأ الحرس الثوري يخطب في سوريا ويُعلن أن المجاهدين في سوريا إنما حُكمهم حكم الحِرابة؛ أي: يُقتَّلون أو يُصلَّبون أو تُقطَّع أيديهم وأرجلهم من خلاف.

واحد منهم يُحدِّث أنهم في يوم عملوا مؤتمرًا للمسلمين، فجاؤوا بواحد من هؤلاء ليتكلم عن مأساة المسلمين في سوريا، ثم اكتشف أنه غبي قطعوا عنه الميكروفون ووضعوه في داخل قفص من زجاج، لا يُسمع إلا نفسه، وهم يتحاورن!

هؤلاء خبثاء، هؤلاء لا دين لهم، تاريخهم أسود وأقذر من القذر، لكن المسلمين في غباء! من الذي فتح بغداد للتتار؟ الرافضة، ابن العلقمي نصير الدين الطوسي، من الذي استقبلهم في دمشق فدخلوا المساجد وأراقوا فيها الخمر؟ كما ذكر ابن كثير لما جاء التتار إلى دمشق لما جاء قازان، الروافض استقبلوهم، دخلوا المساجد وشربوا فيها الخمر فرحًا

بانتصار التتار على أهل السنة. من الذي قتل أهل دمشق لما دخل عدو الله تيمورلنك؟ تيمورنك هذا شيعي، والدليل اقرؤوا كتاب (عجائب المقدور في أخبار تيمور) لابن عربشاه، وهو معاصر لتيمور.

لماجاء ابن مفلح الحنبلي هؤلاء شيخان هما اللذان فتحا بوابة قلعة دمشق لتيمورلنك، وإلا فقلعة دمشق لم يدخلها التتار قط إلا بعد خداع تيمورلنك لإمامين: الأول هو عبد الرحمن بن خلدون صاحب (المقدمة)، والثاني ابن مفلح الحنبلي. ابن خلدون استلم القضاء في مصر قليلًا، ثم جاء ودخل دمشق وقت محنة تيمورلنك، وكان هناك ابن مفلح الحنبلي، فانتدبهما أهل دمشق من أجل مفاوضة تيمورلنك.

تيمورلنك كان يزعم الإسلام، معه مؤذن ويصلي، ويصلي على النبي ﷺ، ومعه آلات النَّصب مثل حكام هذا العصر! فذهب ابن خلدون وابن مفلح ودخلا عليه، كان قاضي تيمورلنك هو عبد الجبار المعتزلي، قال ابن مفلح: فجاء إلي القاضي، وقال لي: احذر فإنه يتشيَّع. أراد أن يسأله من أفضل علي أم أبو بكر أم عمر. فدخل دمشق وقتل كل من فيها انتقامًا -كما يزعم- من قتل أهل الشام للحسين بن علي في كربلاء.

هؤلاء لا ذمة لهم ولا ضمير، وأنا لا أعرف إلا طوائف قليلة جدًا لم تؤيد ثورة الخميني، كلهم انساقوا وصفقوا لها، وظنوا أن الفتح وأن المهدي قد حضر، بعض المشايخ عندنا في الأردن قال: "رأيت في صورة الخميني عمر بن الخطاب"، عجيب!

ومع ذلك أنتم ترون أنه من أخبث خلق الله، فهؤلاء الكبار لا هوادة معهم، أما الصغار فيُشتَّتون ويُستتابون ويُعلمون الدين.

وكما أن الدولة الصَّفوية حوَّلت إيران الدولة السُّنية من سُنَّة عظيمة خرَّجت فحول وجهابذ العلماء، إلى روافض يُبغضون السنة. وذكرت لكم أمر أبي الحسن الندوي -عليه رحمة الله- الذي مات البارحة، يقول أنه زار إيران في مطلع القرن الفائت، ولم يجد فيها حافظًا للقرآن واحدًا. لا يهتمون بهذه الأمور، وهذا أمر مذكور، شيخ الإسلام يقول: نحن صعدنا إلى مساجدهم وجدناها مرابط، -طبعًا ليس عن الرافضة إنما يتكلم عن الدروز والنصيرية-، فوجدناها مأوى وإسطبلات للخيول، ولم نجد عندهم مصحفًا واحدًا.

فالقصد، الزنديق لا تقبل له توبة، هذا هو دين الله: البراءة منهم وعدم قبولهم.

الآن قامت عمليات الوحدة بين المسلمين والرافضة، جاء عدو الله إلى مصر ودعا إلى إنشاء دار التقريب، أنشأ (دار التقريب) وجرَّبها الناس، جربها اثنان: الأول مصطفى السباعي والثاني الشيخ شلتوت الذي أفتى بأن المذهب الرافضي الجعفري كما يزعمون أنه يجوز التعبُّد به كمذهب خامس، مثل التعبد بالمذهب الحنفي والشافعي والمالكي والحنبلي!

فيقول مصطفى السباعي في كتابه (السنة النبوية)، وهو كتاب رائع من الكتب التي فيها الجهد وفيها العلم والدراسة الواعية، وهو رجل في الحقيقة جمع بين أمرين في هذا الكتاب: بين العلم بالشرع وبين العلم بما يقوله المستشرقون، لأنه زار بريطانيا هنا والتقى بمجموعة من المستشرقين، وأغلبهم من اليهود. يقول:

لما جاؤوا إلى دار التقريب ودعونا إلى اللقاء، طبعا نحن نريد وحدة المسلمين فالتقينا معهم، وأنشؤوا (دار التقريب) وصار يدعون لها. قال: اكتشفنا بعد ذلك بأنه في الوقت الذي كانوا يأتون لنا بالكتب الشيعية من أجل أن تنتشر في بلاد أهل السنة كانوا ينشرون في بلادهم الكتب التي تسب على أصحاب النبي ﷺ، قال: فأخبرناهم عدة مرات بهذا ولكن هؤلاء كذبة، كما يقول مصطفى السباعي، هذا رجل انخدع بهم ثم يُعلن أنه قد ثبت أنهم يخدعونه.

الشيخ محمد خضر حسين أعلن أنه دخل في دار التقريب، قال: لكن كنت أتعجب من أين يأتيهم المال وكيف يطبعون هذه الكتب؟! هذا قبل الدولة هذه، ثم اكتشف بعد ذلك ما قاله مصطفى السباعي بأنهم يأتون ويقولون: خلاص ما لنا والتاريخ، نحن لماذا نختلف من الأفضل أبو بكر أم عمر أم علي؟ خلاص الناس أفضوا لما قدموا. هكذا يقولون لأهل السنة، وهم في بلادهم يسبون على الصحابة -رضي الله عنهم-.

وهم الآن ينشرون كتب هذا المجرم الذي علفوه ببعض العلف التونسي محمد التيجاني السماوي الشهير بالتيجاني (ثم اهتديت) بل كفر في الحقيقة و(لأكون مع الصادقين)، وهذا الفلسطيني الخنزير أسعد وحيد القاسم الذي تشيَّع في الفلبين كذلك له كتاب اسمه (حقيقة مذهب الاثني عشرية)، ينشرون هذه الكتب في السب على أصحاب النبي ﷺ.

وبعض الإخوان ذهب إلى حزب الله -والإخوة أخبروني بأنفسهم- أنهم ذهبوا من أجل التدريب فقط هناك، قال: فقط يأتونك أولًا بأننا نحن نعم ضد إسرائيل وضد أمريكا، تجدهم في الأول يقولون: تعالوا للوحدة تعالوا للتقريب، ولكن من أجل إخراج الناس من السنة إلى التشيع، إذا كان الأمر لا يعنيكم: سنة وشيعة، لماذا تقومون بمثل هذا؟ هذه أكاذيبهم، وهم أناس يستمرئون التَّقيَّة، دينهم باطل، التقية هي أساس البلاء، أساس الضلال، أساس الانحراف.

ولكن ليس كل أهل البدع كفارًا ولا زنادقة، فهل نكفرهم؟ مثلًا كالخوارج كالمرجئة، الآن نحن نقول عن الأشعرية نقول عن المعتزلة عن القدرية، هؤلاء وإن أطلق سلفنا وعلماؤنا الذين عاصروا هذه المذاهب عليها أنها مذاهب كافرة، ولكن لم يكونوا يكفّرون عين الواحد حتى يتبيَّنوا أمره عن طريق الحوار والنقاش وغيره، فربما أنت تقول: "الجهمية كفار"، لكن لا يجوز لك أن تكفِّر الواحد منهم حتى تتبيَّن أمره.

ولذلك وُجد من كلام العلماء في تكفير الطوائف الضالة، ولكن لا يعني هذا أنهم كفَّروا كل واحد، ولا يعني أنهم لم يكفِّروا أحدًا، الشافعي كفَّر حفص الفرد أو حفص القرد على خلاف في رواية اسمه، كفَّره لما ناظره قال له: "يا حفص لقد كفرت بالله". فإذًا يمكن أن يكفَّر عين المبتدع، ولكن لا تكفّر بالجملة، وقد تقول: "هذه طائفة كافرة"، ولا يعني أنك تكفّر كل واحد منها إلا بالشروط المعروفة عند أهل العلم في قضية تكفير الأعيان، فهناك فرق بين التكفير المطلق وتكفير الأعيان.

هذه الطوائف التي نقول هي طوائف مبتدعة، قد نقول عنها كافرة وقد نقول غير كافرة. ما هو أمرها؟ هناك فرق، الطائفة الأولى التي كفرت أو قلنا زنديقة تُقاتَل وتُقتل، سواء كانت ذات شوكة وقوة أو لم يكن لها، حتى لو كانت في دار الإسلام.

لكن هذه الطوائف الأخرى لا تُقاتل حتى تعتزل دار الإسلام بقوة ومنعة وتقاتل أهل الإسلام، كما فعل علي -رضي الله عنه- بعدم مقاتلة الخوارج حتى خرجوا عليه. فالمعتزلة لا نقاتلهم حتى يخرجوا عن دار الإسلام بقوة وشوكة، فبعد أن يعتزلوا دار الإسلام يُقاتَلون على بدعتهم، فهذه القاعدة العامة التي قالها علماؤنا بما يسمى قتال الممتنعين عن الشريعة، سواء كان الامتناع عن أمر عملي كالزكاة أو الصلاة أو الصوم.

وعند مالك إذا اتفق أهل قرية على ترك صلاة سنة الفجر، إذا اتفقوا وتمالؤوا عليها وقالوا: لا نريد أن نصلي، قال: يقاتلون عليها مع أنها سنة.

وإذا امتنعوا عن أمر اعتقادي كقول بالبدعة، مثل: اجتمع أهل قرية على سب الشيخين، يقاتلون حتى وإن امتنعوا بقوة وشوكة ومنعة على هذا.

هذا باختصار، وأمر مقاتلة وحال أهل البدع أمر طويل.

اعتقاد أهل السنة في هذه البدع:

ما هو قول أهل السنة في الصحابة، ما هو قول أهل السنة في الاختلاف الذي حدث بينهم، ما هو قول أهل السنة في موضوع القدر، ما هو قول أهل السنة في الأسماء والصفات، ما هو قول أهل السنة في الخروج على أئمة الجور؟

هذه أبواب علمية واسعة، ربما نجد أوقاتا للحديث عنها، ولكن سأتحدث عن قضية الخروج على الأئمة، يقولون: مذهب أهل السنة: أن لا نرى الخروج على أئمة الجور وعلى الأئمة المسلمين. هذا غير صحيح، هذه مسألة خلافية وقال ابن حجر نفسه في (الفتح): إن أهل السنة –الاحتراز بإطلاق هذا اللفظ في هذا الموطن– لم يتفقوا على ترك الخروج على أئمة الجور، إلا بعد حادثة دير الجماجم أنها طريقة بدعية، وهذا باطل، في حادثة ابن الأشعث؛ عامة الفقهاء أبو حنيفة أرسل المال، مالك دعا لهم ونصح بعض أتباعهم بالخروج معهم، سعيد بن جبير وغيرهم كثير خرجوا مع عبد الرحمن بن الأشعث، ومحمد النفس الزكية، خرج طوائف من أهل الفقه وأهل العلم والحديث.

فقضية الخروج ليست هي قضية حديدية ولا نقول: أهل السنة لا يرون الخروج. بل هذه مسألة تعود إلى نظر الناظر واجتهاد المجتهد، لكن المصيبة هذه الأيام أن بعضهم يقول: أن من البدعة أن تُصرِّح بنصيحة الحاكم!! ويزعمون أن هذا مذهب أهل السنة، كما ترى طوائف المشايخ المُخذِّلين، والحقيقة أن مذهب أهل الحديث في هذا الزمان في قضايا معينة فسد بأمرين.

ما يقال لهم "السلفيون"، وهذا اسم قديم من قبل وليس الآن، يعني من زمان جمال الدين القاسمي كان يقال السلفيون، فسد هؤلاء وانحرفوا، وبقيت طوائف لم تنحرف وهي قلة، ولكن طوائف أهل الحديث انحرفوا –خذوها مني مع شدَّتها– بسببين:

السبب الأول: هذه الدولة الخبيثة التي يقال لها السعودية، هذه أفسدت مذهب أهل السنة عن طريق دخول مشايخ السنة فيها، يعني لما صار الانحراف في عبد العزيز وظهر أمره، دخلت طوائف من المشايخ الذين يدعون إلى السنة في هذه الدولة، فصار الرجل العالم إذا خرج من الصوفية أو خرج من البدعة وصار سنيًا ينظر في الحديث وينظر في الفقه يسقط في هذه الحفرة، وهذا إعمالًا لنصيحة توينبي –عليه من الله اللعائن– قال أنه لم يبقَ في الدنيا إلا ثلاث حضارات ستصطرع، الذي قاله توينبي ينصره ويرجِّحه الحديث عندما قال النبي ﷺ عن الروم: (والرُّومُ ذاتُ القرونِ

أصحاب سحر وصحر، كلَّما ذهب قرنٌ خلَّفَ قرن مَكانَهُ)[112]، فإذًا الروم بقيت كما قال النبي ﷺ: (تقوم الساعة والروم أكثر الناس)[113]، فالصراع الأكبر سيكون مع هؤلاء الملاعين الروم.

فأولًا هي الحضارة الغربية، هذه حضارة الروم، الحضارة الثانية: الحضارة الكنفوشوسية حضارة الصين، وهذا ثابت بالحديث عن طريق يأجوج ومأجوج، يأجوج ومأجوج هم الصينيون –لا شك في ذلك– والدكتور عمر حليق –عليه رحمة الله– حقَّق أن هناك قبيلتين كبيرتين في الصين اسمهما يأجوج ومأجوج، فهذه موجودة.

وحضارة الإسلام. قال لهم توينبي بعد أن قال هذا الكلام قال: كيف تستطيع أن تقضوا على هذا الأمر؟ قالوا: بالنسبة للقضاء على الحضارة الإسلامية –التي ستكون مُصارِعة ومُعانِدة للحضارة الغربية– فعن طريق إيجاد الإسلام المعدَّل.

وأوضح صورة لهذا الإسلام المنحرف الذي سماه المعدل هي هذه الدولة الخبيثة، طبعًا الآن صور الإسلام المعدَّل مثل المسلمين في الجيش الأمريكي! هناك مشايخ يعتبرون هذا من البطولة، نحن نريد أن نخترق الجيش الأمريكي! لذلك الجيش الأمريكي صنعوا لهم بزَّات موجود فيها مكان للمصحف، موجود فيها مكان للصلاة، حتى إذا دخلوا بلادنا ما خرج المشايخ ورفعوا عقائرهم بقولهم: ها قد جاء الصليبيون ها قد جاء اليهود، ينزلون وهم يقولون: "سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر". بدل أن يقولوا: ها قد جاء أكلة الخنزير، يُحضرون لهم لحم خنزير مكتوب عليه "لحم حلال"، وحتى الآن دخل مسلمون في الجيش الإسرائيلي، ويُصارعون حتى يدخلوا ويعتبرون هذا فوزًا، فوز أننا دخلنا البرلمان الإسرائيلي!

انقلبت الدنيا، واليوم هنا في بريطانيا يدعون إلى دخول المسلمين في داخل الجيش الإنجليزي، هذا كله من أجل الحرية طبعًا والعمل بالإثنينية؛ أن هذا المجتمع متعدد الأجناس، والمشايخ عندهم البرلمان الإسلامي وفقه المصالح، وما دام في عندنا واحد مثل القرضاوي لا تخافوا!

---

[112] ضعفهُ الألباني في السلسلة الضعفية: (3999).

[113] صحيح مسلم: (2898).

فهذه الدولة الخبيثة أفسدت، ولذلك أغلب المشايخ سقطوا في مستنقع هذه الدولة، أئمة السنة من موالين هذه الدولة، الشيخ أحمد شاكر! تفتح كتاب (صحيح ابن حبان) حقّق مجلدًا، وإذا هو إهداء لصقر الجزيرة عبد العزيز! تقي الدين الهلالي كذلك، وهكذا علماء الهند، سقطوا بفعل هذه الدولة الخبيثة التي استطاعت بالفعل أن تُوقع أهل الإسلام -الذين ينبغي أن يكون عندهم الدين الصحيح- في حبائلها.

الفساد الثاني: إدخال مزاج بعض المشايخ في المنهج، يعني في شيخ لا يُحب الدم، فيُصبح عدم محبة الدم دينًا! النبي ﷺ قُدِّم إليه الضَّبّ فوضع يده ليأكله، قالت له المرأة: "يا رسول الله إنه الضب" فنزع يده، فقال خالد بن الوليد: "أحرام هو؟" قال: (لا، ولكن لم يكن بأرض قومي، فأجدني أُعافُه)[114]، ففرّق النبي ﷺ بين ما يشتهيه وبين الحلال والحرام. شيخ لا يُحب المشاكل، فيُخرج منهجًا أن الإسلام لا يحب المشاكل! يا عمي أنت لا تحب المشاكل وليس الإسلام! شيخ يقول لك: "والله أنا يا أخي والله أنا أتضايق ولا أحب هذا"، ثاني يوم: الإسلام لا يحب هذا! يا عمي الشيخ الذي لا يحب!

شيخ طلع قال: أنا لا أرى ولا أستحسن أسلوب خطف الطائرات، أنت لا تحب ما شأننا بك، أنت لا تحب ولا ترى ما، دخل الإسلام فيك؟! إذا كان مزاج النبي ﷺ الخاص لا يكون دينًا، فهل أنت مزاجك يصير دينًا؟

فإدخال المزاجية، مثل الشيخ ناصر الألباني صار مزاجه دينًا! هناك فرق بين أن تقول: قال رسول الله ﷺ، وفرق بين أن تقول لي: قال الألباني أو يحب الألباني، ما علاقتي بما يحب الألباني.

فإدخال أمزجة المشايخ في المنهج أفسد هذا الدين وأفسد هذا المنهج، ولا بد من إحيائه على طريقة صحيحة.

فهذه بعض القضايا التي تتعلق بطريقة أهل السنة. لا بد أن ندرس دراسة صحيحة طريقة أهل السنة في هذه القضايا، ولا تغرنا الألفاظ ولا التهديد: "أنتم خوارج"!، هذا كلام فارغ، العبارات لا يقتات منها ولا يأكلها ولا يخاف منها إلا الجهلة، تعال إلى الحقيقة لنتكلم عن ما قاله الله وقال رسوله ﷺ وكيف فهم الصحابة -رضي الله عنهم- هذا الدين. أما في شيخ يخرج ويقول: نصيحة الحاكم علنًا أمام الناس هذا خروج.

---

[114] **صحيح البخاري**: (**5391**).

والله قرأت لبعضهم قال: "فقه الإسلام السياسي"، قال: "وأن لا ترى في قلبك النكارة على الحاكم"، من هذا؟ عمن تتحدث أنت؟! عمر -رضي الله عنه- رأى في قلبه النكارة على صلح الحديبية أم لا؟ هو خطأ ولكن أنت تريد أن تُعطِّل بشريَّتي، هذا عمر، ثم استغفر ربه وأناب، فمن بعد ذلك؟ كيف لا يُستنكَر على حاكم؟ ألا ترى في قلبك النكارة على حاكم كيف؟!

لذلك صار الدين أفيون الشعوب، حقيقة! والجماعات مارست هذا. وخذوها مني صريحة، ما انتشر الفكر القومي الكافر وما انتشرت الشيوعية وما انتشرت الأفكار الإلحادية إلا بسبب تخلّي المشايخ عن قيادة الأمة في أحداثها.

تعالوا إلى القضية الفلسطينية، كيف انتشر الشيُّوعيون؟ كيف انتشر القوميون؟ الآن عرفات وجورش حبش وحواتمة النصارى، تعال إلى أي مجتمع مسلم يبغض كلمة "نصراني"، ولو قلت له: "شيوعي"، "بلشفيك"، تعرفون ما معنى بلشفيك عندنا في بلاد الشام؟ لما تسب على واحد تقول له: أنت بلشفيك؛ بلشفيك معناها الإباحي، الإباحي يعني لا يحمي أمه ولا أخته!

فتصور أن الأمة والشباب تُقاد مِن قِبل نصارى وبلشفيك، ما هو السبب؟ السبب تخلِّي المشايخ عن القيادة، تخلي العلماء، تخلي ما يسمى بقادة الحركات. تعرفون بعد 1967 أخرج الإخوان المسلمون فرمًانا داخليًا في أفرادهم أننا لن نشترك في القتال، وهذا الوقت هو وقت التربية! جلسوا، فمن جاء؟ الأمة تريد أن تجاهد، رجل أرضه ضاعت واليهود يستعلون، والناس في فورة قضية ضياع أرضهم، ويأتي واحد ويقول لك: هذا وقت التربية! أي تربية يا رجل؟! عن ماذا تتحدث أنت!

الآن تعال إلى رجل في الشيشان وقل له: هذا يا أخي وقت التربية حفظك الله!

أنتم تظنون أن هذا خيال؟ في الوقت التي كادت الصومال أن يحكمها المسلمون جاءت الفتاوى من علماء الجزيرة ومن مجرمي المدخليين وغيرهم بأن هذا وقت التصفية والتربية! يجب عليكم ألا تحملوا السلاح، كان الإخوة تقريبًا أكثر من نصف الصومال تحت أيديهم، الساحل الصومالي كان بأيدي المسلمين، لما جاءت هذه الفتنة والناس يحترمون المشايخ، وباسم السنة يتكلمون، وهذا إمام أهل السنة، هذا إمام أهل الحديث، هذا مرجع الأمة، هذا إمام العصر! وذاك المسلم مسكين يريد أن يعبد الله، يقول: أخاف إذا قُتلت أذهب لجهنم، فتخلَّوا عنها! هذا واقع.

ولذلك أيها الإخوة الأحبة، الشيخ هو من دلَّك على الله، وعرَّفك في الدين، ولم يُثبِّط الإرادة، الإنسان بفطرته صحيح، الإنسان لما يأتي من الشارع فطرته صحيحة، يعرف كيف تسير الأمور، ولكن ماذا يفعل به المشايخ؟ يُسلَّك؛ يُدخلونه في السلك الدبلوماسي! ستة شهور وهم يقولون له: لا، لا يجوز، لا يجوز، حلال، لا يجوز، أنت مجرم، خوارج، بمجرد كلمة أصبح من الخوارج!

تصور أن شيخًا يقول عن المجاهدين في الجزائر أنهم عملاء, يقول: هم بين أمرين: إما أجهل خلق الله وإما عملاء! عملاء لمن يا عم؟!

أنت تردد ألفاظ القوميين التي كانوا يضحكون بها على الأمة من أجل سب الناس، يقولون: "عميل، عميل..". أنت الآن جئت وأخذت زبالة ما يقوله القوميون بعد أن انكشف الستر، ليس هناك عملاء هي قضية اعتقادات تمشي والعمالة هي جزء من الاعتقاد. يقولون لمجاهدي الجزائر: يجب عليكم أن تنزلوا وتُسلِّموا أسلحتكم, ومن لم يستجب فهو في النار. هكذا صار خازن النار!

أي جهاد سيقوم؟ أي تغيير سيحدث في الأمة؟ الآن صار الدور: "اسكتوا واشتغلوا في بلادكم، أصلحوا قلوبكم"، أنا أريد أن أسأل، كيف نصلح قلوبنا من غير أن نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر؟ كيف يمكن أن يصح قلب المرء وهو يستمرئ المعاصي ويغض البصر عنها؟ يخرج من الحرم المكي ويرى البنك السعودي الأمريكي، كل هذه أنظمة لتنظيم البلد! يخرج من قيام الليل ويرى العهر، يخرج من قيام الليل ويجد النساء، يخرج من قيام الليل ويرى الكفر، لو فتح التلفاز يجد الكفر.

أهذا هو المسلم؟ بالله عليكم أهذا هو المسلم الصحابي؟ المسلم هو الرافض (لا إله إلا الله) الكفر بالطاغوت، هذا هو الإسلام؛ الأمر بالمعروف، جاء بعض أهل العلم جعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الركن السادس، لا يوجد بعد الأركان الخمسة عمل حضَّت عليه الشريعة كما حضَّت على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال بعد الإنكار بالقلب: (وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل)[115].

---

[115] **صحيح مسلم**: (**50**).

فيا عباد الله، يجب على المسلم أن يكون فاعلًا، أن يكون له قلب، لو وُجد المشايخ ليُحرِّكوا الأمة، ولكن يخافون من الموت، يخافون من الدم، والنتيجة أن الدم سيكون، يعني المشايخ لا يريدون الفتنة ولكن أي فتنة أعظم من الكفر بالله؟! أي فتنة أكبر من أن يأكل الناس الحرام؟ أي فتنة أكبر من أن ينتشر الكفر بين الناس؟ هذه هي الفتنة. يقول بعضهم: هناك ما هو أعظم من الكفر، قال: ما هو؟ قال: الكفر والقتل، انظر التزوير!

عدنان عرعور قال: أنتم تريدون أن تخرجوا على الأنظمة لأنه ليس هناك أعظم من الكفر، قال: هناك ما هو أعظم من الكفر، أن يبقى الكفر وأن يحدث القتل. ما جرُؤ أن يقول الشهادة، لو قالها لانكشفت القضية!

ما هو أعظم بالله عليكم؟ ما الأفضل؛ أن تموت الأمة في سبيل دينها، أو تعيش هذه الذلة التي تعيش فيها؟ أن يُسرق دينها وأن يُسرق عرضها، الأب يرى ابنته تتاجر بعرضها، ويرى ابنه يخرج من الدين، من أولى؟

ولو بقي الكفر هذا التغيير بيد الله، المطلوب منا أن نأمر بالمعروف وأن ننهى عن المنكر وأن نجاهد، من مات يموت شهيدًا ومن بقي إن شاء الله يواصل الطريق، وليس هذا مما يُعاب، لكن تبقى الأمة حية.

للأسف أقول لكم أن المستقبل في هذه اللحظات سيء في البلاد إلا أن يشاء الله شيئًا، الذي دمَّر الأمة فرعون وجنوده والسَّحرة الذين معه موَّهوا على الناس وغيَّروا حقائق الدين وأفسدوا دين الله –عز وجل–، وأبطلوا أعظم قوة وهي فاعلية المسلم، رفض المسلم وعدم قبوله.

تصور بالله عليك أن يقول لك النبي ﷺ أن: (أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر)[116] أي دين هذا؟! دين عظيم يُعطيك أعظم الأجر بهذه الكلمة؛ لأن هذه الكلمة لا بد أن تخرج من نفس رافضة، نفس مراقبة، من بصيرة ثاقبة، هذا هو الدين، هذا الذي يجب أن يسري في الأمة لتعود الأمة. أما الأمة نائمة، اليهود استقر أمرهم وثبتت دولتهم، أخذوا الأرض، أفسدوا الدين والعرض، نشروا سلطانهم صارت الدول تتسابق من أجل رضاهم، يدخل اليهود إلى بلادنا.

أحـــــرامٌ علــــــى بلابلـــــــه الــــــدَّوْح   حـــلالٌ للطيـــر مـــن كـــل جـــنسٍ؟!

---

[116] صححهُ الألباني في صحيح الجامع: (1100).

المسلم في بلده مُهان مطارد، واليهودي يُضرب له ألف سلام ويُسجد له! اليهود بسطوا سلطانهم، يأتون بأموالهم وينشرون فكرهم، حتى أشربوا الناس في الأردن -هذه التي وعدوا فيها الناس بعد السلام أن يُطعموهم ويُشربوهم العسل- بول اليهود، فاضت مجاري اليهود على مياه الأردن، وستة شهور وإخوانكم يشربون بول بني إسرائيل! نعم هذه حقيقة استعلى أمرهم كما ترون.

فيا أيها الإخوة الأحبة، لا تغيير للأمة إلا بحركة شعبية، إذا بقيت الجماعات الإسلامية المجاهدة نخبًا يُقاتلون لكن لا يصلون إلى أهدافهم، لا يتم التغيير، لأن التغيير قاعدة كونية جماعية فلا يُمكن أن يقع التغيير إلا بحركة شعبية.

انظروا في الشيشان لو أن هناك جماعة تقاتل مثل طاجكستان لانتهت القصة، ولكن لما يكون الجهاد حركة شعبية وروح الجهاد تسري؛ حينئذ يتم التغيير. فلا بد أن نصنع هذه الحالة الشعبية في الأمة، لا بد أن نبث الدين الأشرطة والمقالات تسري في الناس، تُصبح الحالة أن مجرَّد القبول به دمار لدينك ودمار لدنياك، فحينئذ يتم التغيير.

فأسأله -سبحانه وتعالى- أن يُرينا في أعدائه يومًا تقر به العيون، نسأله -سبحانه وتعالى- أن يُرينا يومًا يفرح به أهل الإيمان بنصرة أوليائه وهزيمة أعدائه.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، وبارك الله فيكم.

22

(ملحق)

عن كتاب (المحِجَّة البيضاء في ما يجب اعتقاده في المعيَّة والاستواء) للشيخ الزمزمي –رحمه الله–

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلله فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلوات ربي وسلامه عليه، وعلى آله الطيبين وعلى صحبه الغر الميامين، وعلى من تبعهم بإحسان وهدى إلى يوم الدين، جعلنا الله –عز وجل– وإياكم منهم، آمين.

في الحقيقة أن الأخ الذي طلبنا منه الكتاب الذي يتكلم عن صفات الله –عز وجل– وما يليق بها وكيف فهمها أئمتنا قد أحضر الكتاب، وهو للشيخ محمد الزمزمي واسمه (المحِجَّة البيضاء في ما يجب اعتقاده في المعيَّة والاستواء)، قرأت هذا الكتاب والحق أنه من أسوأ الكتب التي مرَّت علي في حياتي في موضوع فهم أسماء الله وصفاته، والشيخ الزمزمي وإن كان له جهود مشكورة كنصرة التوحيد والدعوة إليه، وله باب طيب في التحذير من الشرك وعبادة القبور ومحاربة التصوف الذي هو مرتع القبورية، وله جهود طيبة في محاربة التقليد، وفي جرأته في الحق، إلا أنه في هذا الباب قد سقط سقطات غريبة جدًا.

ويدل على أن الكبراء يُخطئون مرات فيما هو بيِّن في دين الله –عز وجل–، والرجل في الحقيقة فيه جرأة كنت أحسها في بعض رسائله، لكني ما كنت أظن أن هذه الجرأة خرجت عن حدها إلى الطعن بالحق، والتهجُّم على الكبار كابن عباس وعلى الأحمدين ابن حنبل وابن تيمية، وجرأته في هذا الحقيقة مُستَنكَرة وكبيرة، وكذلك في تسمية المخالف مشركًا.

يعني الرجل حقيقة أنا لا أنصح بعد اليوم بقراءة ما يتكلم به في الاعتقاد، وقرأت له بعض الرسائل التي يتكلم فيها ببعض المسائل الفقهية كذلك تجد فيها التهجُّم السريع دون استيفاء. وهذا الكتاب في الحقيقة كما قلت لكم من أسوأ ما قرأت في بابه، وفيه الافتراء على المخالف بأن ينسب إلى الأئمة من الأقوال ما لم يقولوها ولم تخطر على بالهم، غريب، هذا الرجل أبى إلا أن يُسقط مرتبته من قلبي.

أنا كُنت أُعظِّم هذا الرجل لدعوته للتوحيد ونُصرته للسنة في أبواب الخير والفروع، ولكنه مُتهجِّم الحقيقة، ويقول كلامًا هو هو عين كلام الجهمية في القرآن، أسوأ من كلام الأشاعرة، بل ينطلق من منطلقات قواعد أهل البدع المتكلمين، كقوله: "هذا حديث يخالف العقل"! هذه قاعدة ما جرؤ عليها إلا الجهمية وفراخهم.

في الحقيقة الرد عليه يحتاج إلى استيفاء، حتى لا يظن الظان حين نختصر الرد، فيظن الجاهل أو الغِرّ أن هذا من باب الضعف في الرد عليه ومن باب قوة حجته، وليست المسألة كذلك في الحقيقة، يعني انظروا إلى قوله وكأنه لم يقرأ شيئًا من هذه المسائل، والكتب فيها كثيرة، انظروا إلى قوله: "فصل الواجب اعتقاده في صفات الله التي يدل ظاهرها على تشبيه الله بمخلوقاته، هو أنها صفات ثابتة لله مع اعتقادنا أن المراد بها غير معروف"، ثلاثة أسطر ربما لا تزيد عن عشر كلمات، فيها أخطاء ما الله به عليهم، كقوله: "الواجب اعتقاده في صفات الله التي يدل ظاهرها على تشبيه الله بمخلوقاته" أين هذا في كتاب الله؟ أين في كتاب الله -عز وجل- من الآيات وفي سنة النبي ﷺ من الحديث، من أخبار عن صفات الله -عز وجل- يدل ظاهرها على أنها تشبيه الله بمخلوقاته؟

وهذا لجهله بمعنى كلمة (الظاهر) في كلام العرب. ثم قوله: "أن المراد بها غير معروف"، ما المقصود بالمراد؟ لم يفصّل، المعنى والكيف هو يقصد، ومن هنا جاء الباطل بكلامه.

لذلك يقول بعدها: "فنقول في قوله تعالى {اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} هذه صفة وصف الله بها نفسه، فنحن نؤمن بها ونصف الله بها، فنقول استوى على عرشه كما قال وبالمعنى الذي أراد، ولا نزيد على هذا شيئًا من الزيادات التي تقتضي تكييف الاستواء بالكيفية المعلومة لنا".

من قال هذا الكلام؟ من قال أن أحدًا من البشر يقول أننا نُثبت الاستواء على الكيفية التي نعلمها نحن من استواء المخلوق على المخلوق، من أين هذا؟ ظلمات بعضها فوق بعض، والرد عليها طويل.

اعتبر أن الأسماء من قبيل الاشتراك اللفظي وهذا باطل، يقول: "نقول أنها صفات لله نصف الله بها مع اعتقادنا أن المراد بها غير معلوم، فهي من باب المشترك الذي يُطلق بلفظ واحد على معانٍ مختلفة كالعين"، جعلها من باب الاشتراك اللفظي وهذا الكلام باطل، وتفسيره للحديث: (كان اللهُ ولم يكن شيٌء غيرُهُ)، للأسف أشبه تفسيره لو أردنا أن نحمل لازمه –ولا نعتقد أنه يقول ذلك– ولكن تفسيره هو عين تفسير الملحدة الذين يقولون بوحدة الوجود، وهي عبارته المشهورة "كان الله ولا مكان، وهو على ما عليه كان" وهذه عبارة كُفريَّة تدل عندهم على أنه لم يتغير شيء؛ فكل شيء كما هو، لم يحدث أن صار مخلوق، بل هو ما عليه كان، وهذا باطل.

ولذلك يقول: "لا أرض ولا مكان ولا زمان"، هذه ألفاظ موهمة، ما المكان المقصود به هنا؟ المكان إما أن يُطلق على المكان الوجودي للمخلوق، وهذا لا يقول أحد به. وإما أن يُطلق على المكان العدمي لإثبات الوجود، وهذا يجوز إطلاقه بحق الله، ثم أين نفي إطلاق المكان في كتاب الله –عز وجل–؟ تقول: "كان الله ولا شيء معه"، الشيء: المخلوق، لكن نحن نقول: المكان عدمي ليس بمخلوق. ثم الزمان ما هو؟ الزمان إذا كان الدقائق والثواني التي يمر بها البشر هذه مخلوقة، أما إذا كان الزمان هو الحياة فهذا يُوصف بها ربنا –عز وجل–. ولذلك يقول هذه الكلمة الكبيرة أن: "الله لا يزال كما كان قبل خلق العرش والعالم"، طيب كيف قال الله: {ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ}؟

ثم ينفي الجهة: "لم يكن بمكان ولا بجهة"، ما المقصود بالجهة؟ هل هي الحيز أم إثبات الفوقية؟ كلامه عجيب.

انظروا الجرأة غريبة جدًا، وهذه خطيرة ما قالها أحد، قال: "إن الله يتجلَّى على الخلق يوم القيامة كما يتجلى الملك في التلفزيون على شعبه"!! (وأنكم سترون ربكم)[117]، يقول هكذا معنى هذا الحديث: أن الله يتجلى لأهل الموقف في المظهر الذي يرونه فيه في مكان وفي جهة، مع أنه سبحانه لا في مكان ولا في جهة، وذلك المظهر يشبه المظهر الذي يراه في التلفزيون يراه الناس في الجهة التي ليس هو فيها، ويسمعون كلامه من الجهة التي ليس هو فيها. هذا الأشاعرة ما قالوه! وأما المعتزلة فنفوا القصة. فهذا كلام باطل.

"ويدل على أن المظهر الذي تجلَّى الله –عز وجل– فيه لأهل المحشر يشبه التلفزيون"، يُلزم المخالف، يقول: "الله –عز وجل –يقال له: بلا كيف، بلا أين، بلا جهة من خلقه"، طيب النبي ﷺ سأل الأين، كيف تنفيها أنت؟!

---

[117] صحيح البخاري: (7435).

ويقول: "وهل ظاهر الاستواء إلا القعود؟"، من قال أن الظاهر هو القعود؟ كلمة (الظاهر) تتردَّد عنده أكثر من عشرين مرة وهو يجهل معناها تمامًا.

طبعا الإخوة يريدون ردًا على هذا، وهذا يحتاج إلى تطويل.

هنا الكلام الأغرب فيما يقول! كلام يعني ما أدري صُدمت أن يقول الرجل بهذا الكلام، قال: "ومعنى هذا أن تفسير الاستواء بالعلم له دليل من القرآن"؛ فالاستواء عنده هو العلم، طيب ربنا يقول: {ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} يعني ما كان يعلم ثم علم؟ {ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} إذا كان الاستواء هو العلم، فلِمَ اختصَّ بالعرش؟ والله يعلم كل شيء، وعلم الله -عز وجل- محيط بالعرش وما دونه. ثم ثانيًا يقول: {ثُمَّ اسْتَوَى} فهو لم يكن مستويًا لأنه لم يكن هناك عرش، فكيف يفسر الاستواء بالعلم، والعلم أزلي؟ طبعًا هو جهل بالصفات الاختيارية لا يُجارى به في الحقيقة!

حتى إذا جاء الكلام من صحابي لا يُعجبه؛ يتعامل مع كلام الصحابة في العقائد كما يتعامل معهم في المسائل الاجتهادية الفرعية، وهذا باطل، يعني الصحابي يُمكن أن يُخطئ في المسائل الاجتهادية في الفروع، ولكن هل يمكن أن يخطئ في معرفته لكلام الله وكلام رسوله في ربه؟ هذا غير ممكن، مع ذلك يقول: "حتى لو ابن مسعود قاله"، هذا كلامه.

انظر بالله إلى هذه الكلمة الخطيرة: "على أن ابن عباس ليس بحجة عند الأئمة الأربعة وغيرهم في المسائل الفقهية، فكيف يكون حجة في مسائل العقيدة المخالفة للعقل والنقل"!

أما كلامه عن أحمد يقول عنه: أحمق! قال: هذا حمق، أحمد يقول عنه هكذا! يقول عن الحديث: هذا مخالف للعقل، يقول عن مخالفه: "هذا المشرك"، مرتين في كتابه.

أما تفسيره بأنه كلام الله فينفي أن تكون هذه الحروف التي نقرؤها هي كلام الله، يقول: "إن المقرر عند العقلاء في القرآن أن الألفاظ التي نقرأ بها القرآن مخلوقة لله"، ما المقصود بالألفاظ؟ أصواتنا نعم مخلوقة، لكن هذا الكلام الذي نتكلم به {الْحَمْدُ لِلَّهِ} هذا كلام من؟ كلام الله، يقول: لا.

وهذا نفس قول الأشعرية الباطل الذي يسمونه الدلالة، يقول: "لهذا قال أهل السنة أن الألفاظ التي نقرأ بها القرآن كلام الله لأنها تدل على الكلام"، تدل يعني نحن لا نقرأ كلام الله، نحن نقرأ الألفاظ التي تدل على كلام الله الذي تكلم الله به.

أما كيف تكلم الله به؟ قال: "كتبه"، كقولك: "هذا كلام الخطيب"، والخطيب لا يكون قد قرأه إنما كتبه، كذلك الله ما تكلم به إنما كتبه، وهكذا يفسر الأحاديث الصحيحة بذلك!

ثم يسب على المخالفين وينسب لهم أقوالًا لم يقلها واحد منهم، كقوله: "أن مدعي السلفية يقولون أن الألفاظ التي نتكلم بها قديمة لم يخلقها الله"، من قال هذا؟ هم أنكروا هذا؛ "لا نقول أن لفظنا بالقرآن مخلوق، لأن اللفظ إما أن يدل على الصوت أو على الملفوظ"، فهذا كلام مُوهِم. ويسب هكذا، كلام عجيب.

ذكر مناظرة بين أبي ثور والإمام أحمد في قضية إثبات الصورة لله، الإمام أحمد يُثبت الصورة لا لحديث: (خلق اللهُ آدمَ على صورتِه)[118]، لكن لإثبات الصورة الواردة في (البخاري): (فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون)[119]؛ ففيه إثبات الصورة لله، ولكن ليس ذاك الحديث. فصارت مناظرة بين أبي ثور والإمام أحمد في هذه المسألة، فانظر ماذا يقول هو، يأتي بكلام الإمام أحمد وينصر كلام أبي ثور، يقول: "وأحمد إن أنكر تفسير الحديث بما فسَّره به أبو ثور فإنه كان قبل أن يظهر القول الذي قاله داروين، ومهما يكن من شيء فإنه إذا كان تفسير أبي ثور للحديث بالتفسير المذكور من مذهب الجهمية -يعني رد على أحمد لما قال له: هذا تفسير الجهمية بتأويل الصفة-، فإن تفسير الحنابلة للحديث من مذهب الحمقى، ولعل مذهب الجهمية في هذه المسألة أحسن من مذهب الحمقى والحنابلة، وأقرب للحق والصواب"!!

يتكلم في مسألة تعليل أفعال الله بما لا يعرف، ويتهم السلف بجواز الكذب: "أن يقولوا بغير الحقائق من أجل إلزام الخصم"، انظروا هذه العبارة الخطيرة! سبحان الله رجل لا أدري كيف كتبه؟!

---

[118] صحيح البخاري: (6227).
[119] صحيح البخاري: (7437).

يقول عن السلف لما فسروا المعية هي معية العلم: "يمكن أن يكون الحامل للسلف الذين نُقل عنهم تفسير المعية بالعلم، إن صحَّ ذلك عنهم، شيوع المذهب الفاسد الذي كان موجودًا بين العجم، وهو المذهب الذي يقول بحلول الله في العباد والمكان، فكان السلف يفسرون المعيَّة بالعلم ليُبيِّنوا للناس فساد هذا المذهب، لأنهم إذا لم يُفسِّروا المعية بالعلم وجد الكفار دليلًا لمذهبهم من القرآن الذي لا يمكن للعامة أن يفهموا منه إلا ما يقوله أولئك الكفار، إذا لم تفسر لهم المعية بالعلم"!!

هذا كلام يُجلد عليه والله، يعني أجاز للسلف أن يُفسِّروا كلام الله بالباطل لئلَّا يحتجَّ المخالف بكلامهم لو قالوه حقًّا، سبحان الله!! الله قال هذا، إذا الناس فهموه خطأ أنت علّمهم ما هو الصحيح.

طبعًا هو لا يُقيم اعتبارًا لأحد من أهل العلم، أما ابن تيمية فيراه من أجهل الناس، يعني يُجوِّز تكفير ابن تيمية، يقول: "أنا لست مبتدعًا في السب على ابن تيمية فهؤلاء العلماء قد كفَّروه"، انظروا!

وينسب لابن تيمية القول أن الألفاظ التي نتكلم بها هذه قديمة أزلية، "وقد يكون القول بِقِدَم الألفاظ هو السبب فيما نُقل عن ابن تيمية من القول بقدم العالم قدم النوعيَّة"، وحسبنا الله ونعم الوكيل. "وذكر الحافظ في (الدرر) بأن العلماء حكموا عليه بأنه مُجسِّم"، سبحان الله!! وذكر كلام الخصوم في ابن تيمية أنه يسب على علي -رضي الله عنه-، وهذا كلام كله باطل.

الحق يا إخواني أن كتابه هذا من أسوأ الكتب. أما الرد على الأدلة التي قال بها في نصرة مذهبه، وتخبُّطه، هو أصلًا يقول الشيء ويعارضه، فهذا يحتاج إلى دروس متعددة.

عروج الملائكة إلى السماء، هذا مثل قصة التليفزيون، الملائكة تعرج إلى ربنا، وهذا دليل على علو الله، قال: "وإذا كان هذا جائزًا كما بيَّنا فإن عُروج الملائكة إلى العرش كذهاب الناس إلى المكان الذي فيه التليفزيون ليسمعوا فيه كلام الملك، مع علمهم بأن الملك لا وجود له في هذا المكان"!!.

سبحان الله ما كنت أحب أن أُسقط هيبة هذا الرجل الذي له جهود مشكورة في معاداة المشركين من عبَّاد القبور وغيرها، ولكن الحقَّ أحقُّ أن يُتَّبع، وهو في هذا الباب من أفسد ما قرأت حقيقة، مضطرب ولا يدري ما يقول، لا يعرف معنى الظاهر، وهذا شرحه يحتاج إلى دروس متعددة وبسط، ويكفي إلى هنا.

الشيخ الزمزمي الإخوة في المغرب يعرفونه، وله أشرطة طيبة في الدعوة للتوحيد والدعوة إلى السنة ونبذ التقليد ومحاربة التصوف، وهذا شيء مشهور عنه، وهو غُماري من إخوانهم، لكنه لا يتسمَّى بالغُماريَّة براءةً منهم، وقال عن نفسه: محمد الزمزمي فقط.

أحد الإخوة يسأل، والصوت غير واضح.

الشيخ أبو قتادة: يفسر الاستواء بالعلم، يعني الله ما قدر أن يقول: "ثم علم العرش"؟ تصور ما معناها، هل كان العرش مجهولًا لربنا ثم علمه، وإذا كان الاستواء هو العلم فما هي خاصية أن يقول: "علم العرش"؟ وهو يعلم كل شيء العرش فما دونه، هذا كلام مردود عليه، ما تقرؤوا لهذا.

وله المناظرة مع الألباني كذلك فاسدة، لكن كانت تلك صغيرة ليس فيها البسط، ولكن لما قرأت هذا ذُهلت، فيه التواء وجهل، أنت تقرأ القرآن يقع على قلبك الموقع الحسن، لما أنت الآن تقرأ قوله ﷺ: (إنَّ القُلوبَ بينَ إصبُعَيْنِ مِن أصابعِ اللَّهِ يقلِّبُها كيفَ شاءَ)[120]، ماذا فهمت منها؟ أن القلب بيد الله –عز وجل– هو الذي يُقلِّبُه.

كلمة (بيد) هنا لما أنت ينشأ في عقلك التشبيه تضطر إلى التأويل، الأصل ألا ينشأ، لأنه ما من أحد لما يسمع قوله هذا يخطر في باله أن المقصود به المماسَّة وأنه يقبضها القبض الذي به الماسة، أن تكون اليد في داخل الصدر وتقبضها، هل يخطر هذا على بال أحد؟ جدتك هل يخطر هذا على بالها؟ لا يخطر على بالها، لا يخطر إلا على بال الفاسد العقل الفاسد، فالمقصود أن الله يُقلِّبُها، فهذا هو المعنى.

كقوله: {تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا}؛ يعني الناس كلهم يرون أن السفينة تمشي في البحر لا تمشي في عين، حسبنا الله ونعم الوكيل! لكن هل نُثبت لله العين؟ الرسول ﷺ قال: (وإنَّ ربَّكم ليس بأَعْوَرَ)[121]، إذًا له عين. الأصابع؛ هل الله له أصبع؟ نعم له أصبع، يد؟ قال ﷺ: (وكلتا يديه يمين)[122]، الآن يثبت أن لله أصبعًا؛ لأنه لا يجوز لنا أن نعتقد أن لازم الصفة موجود، وهو وجود أصبعين تقلب القلب، من غير أن نُثبت أصل الصفة.

[120] صححهُ الألباني في صحيح الترمذي: (2140).
[121] صححهُ الألباني في صحيح الجامع: (7875).
[122] صحيح مسلم: (1872).

ثم إن النبي ﷺ جاءه اليهود قالوا: "إن الله يُقيم السماوات على أصبع، ويُقيم الأرضين على أصبع، فضحك النبي ﷺ"، ضحك ضحك العجب والرضا مما قاله اليهود.

ثم يأتي واحد ويقول: هذا تأويل، من قال أن هذا تأويل؟ العرب هذا تتكلم به وهذا الذي يفهمه البشر كلهم، هكذا خُوطب العرب بهذه اللغة، هل هذا تشبيه؟ هل هذا تجسيم؟ هل هذا إدخال للرب بشيء من مخلوقاته؟!

والله يا إخوة إن هؤلاء الذين يتكلمون في هذه الأبواب يُذهبون هيبة الرب من القلوب، وما أظن أن الله يرضى عن هذا الذي يقولونه، ولكن **المتكلمين** في الحقيقة **والجهمية** بدعة حدثت بعد القرن الثاني الهجري ولم تحدث عند الأوائل، ما تكلَّم في الأسماء والصفات أحد، كان الخلاف في الأسماء والأحكام كالفاسق الملي وغيره، الخلاف حول الصحابة، لكن الخلاف في علو الله بقول جهم حدثت بعد القرن الثاني الهجري، أتى بها الملعون عدو الله جهم، وبدأ يتكلم حتى انخلعت قلوب الناس.

قال الشافعي: "اطلعت على هؤلاء القوم -أي الجهمية- فوجدتُ أن كلامهم أشد من كلام الزنادقة، إن كلامهم يصير إلى النفي"؛ نفي وجود الله -عز وجل-، ابن مبارك قال: "الجهمية ليس لهم في الإسلام نصيب"، يقول: "والله إنا لنحكي كلام الزنادقة، ونحكي كلام اليهود والنصارى، ولا نجسُر أن نقول كلام الجهمية".

سبحان الله شيء مستقر في قلبك وأنت تفهمه، وليس معنى ذلك أن نجهل ما قاله الله، لكن لما نريد أن نُفهم ينبغي أن تُساق صفات الله -عز وجل- على سبيل التعظيم وعلى سبيل المهابة وعلى سبيل الاحترام والتعزيز والإجلال، أما أن يقول: "الله يتجلى مثل الملك في التلفزيون"، قال: "يعرج إليه ليروه كما ترى أنت صورة الملك" سبحان الله!! إذا كانت الرؤية هذه هكذا "كما ترى الصورة في التلفزيون" لماذا قال الله لموسى -عليه السلام- {قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا}؟ هل تجلى من خلال صورة؟! ولذلك لا تستطيع أجسادنا أن تقوى على رؤية الله -عز وجل-، الله يخلق الناس في الجنة خلقًا آخر فتقوى، وهو القادر على كل شيء، حديث أبي موسى الأشعري: (حجابه النور لو كشفه لأحرقت سُبُحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه)[123].

---

[123] **صحيح مسلم**: (**179**).

حسبنا الله ونعم الوكيل، نتقي الله في ألفاظنا وعباراتنا، وكلامه هذا ما قاله أحد، الأشاعرة قالوا: نعم يُرى الرب ولكن يُرى من غير جهة، النبي ﷺ شبَّه الرؤية قال: (إنكم ستَرَونَ ربَّكم كما ترون هذا القمرَ)[124]، ولذلك المتكلمون يصير أمرهم إلى دين العجائز ويتندَّمون بآخر أمرهم.

متناقضات، لما يدخل التناقض يتيه العقل، والأصل التسليم والانشغال بالعبادة والطاعة وتعظيم الرب، هذا هو المقصود. وأن نُسلِّم أن هذه الصفات لله -عز وجل- حقيقية أخبرنا بها، فنحن نؤمن بها ونصدقها، ولماذا أُخبرنا بهذه الصفات؟ حتى نعرف قدرته وحتى نتعرَّف على عظمته وحتى نتعامل مع هذه الصفات، هذا هو المقصد.

سؤال من أحد الشباب والصوت غير واضح.

الشيخ: أنت لو أردت أن تتابعه في اللوازم لهذا، ما دام أنت تقول ترى كما ترى في التلفزيون، في النهاية لم تتشكل الصورة في التلفزيون إلا مع وجود الحقيقة، فهذا إثبات لقضية الوجود أصلًا، لكن هذا سؤالهم من أن يعلموا أن الله -سبحانه وتعالى- خارج هذا الكون، هذا الكون مخلوق صغير، الحديث صحيح يا قوم (هذا الكون في يد الرحمن كخردلة في يد أحدكم) ، الكون هذا كخردلة! بما فيه من اتساع للعرش، يعني عرش الرحمن -عز وجل- هو سقف العا لم.

إذا كان كرسي الله -وهو أصغر من العرش- ليس بشيء مقابل العا لم، والله يقول: {وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ}، وصحَّ عن ابن عباس قال: "الكرسي موضع القدمين"، فإذا كان الكرسي {وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ}، هذا الكون كله، هذا الكون كل الدنيا بما فيه هو أحقر عند الله من جناح بعوضة، إذًا كيف أنت لما يقول لك الرب -عز وجل- {وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا}، هذه الجنة، لا تتحدث عن هذه الأرض بل عن الكون {فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ} تعرفون ما هي مواقع النجوم؟!

يا إخواني أعود وأكرر، هذه الأرض التي تعيشون عليها نفخة، هباء، لا شيء، في داخل ما يقال له المجموعة الشمسية، هذه الأرض جزء من ملايين الأجزاء من المجموعة الشمسية، هذه المجموعة الشمسية فيها كواكب وفيها

---

[124] صحيح مسلم: (633).

نجوم وفيها مدارات، هذه الأرض جزء يسير جدًا من ملايين الأجزاء من المجموعة الشمسية، هذه المجموعة الشمسية هي جزء يسير من ملايين الشموس في إحدى مخلوقات الله اسمها "درب التبانة".

تعرفون لماذا سموها درب التبانة؟ لأنه لما يأتي التبَّان –أي الزَّارِع– ويحصد وبعد أن يحصد يفرِّق ما بين السنبل والحب، فيمسك المِذْرَاة في يوم فيه بعض الهواء، فيحمل الحب مع التِّبن ويرفعه هكذا. لما يرفعه تأتي الريح فتحمل الضعيف وينزل الثقيل، الثقيل هو الحب والضعيف هو السنبل الذي هو القش أي التِّبن، هذا المنظر يكون التبن منتشر بكثرة.

لما تنظر لدرب التبانة ترى نقطًا كثيرة جدًا جدًا منثورة، هذه النقط هي الشموس، يعني درب التبانة فيه آلاف وعشرات الشموس، هذه الشموس جزء منها المجموعة الشمسية التي جزء من المجموعة الشمسية جزء من ملايين الأجزاء هو قطعة المخلوق الصغير الأرض! {لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ}، هذا درب التبانة هو جزء يسير جدًا جدًا من مجموعة خلق الله في الكون. ولذلك لما يقول لك عالم في البصريات: هناك نجوم في السماء أطلقت أشعتها إلى الأرض منذ أن خلقها الله وإلى اليوم لم يصل شعاعها إلى الأرض!

فهذا الكون عظيم، وكل ما سمعتم هذا في السماء الدنيا، هذه السماء الدنيا كما في حديث ابن عباس بسند صحيح: (ما الكرسيُّ في العرشِ إلَّا كَحلقةٍ من حديدٍ أُلْقيَت بينَ ظَهْري فلاةٍ منَ الأرضِ)[125]، فالسماء الأولى في السماء الثانية كحلقة فيها، والسماء الثانية لو وُضعت في السماء الثالثة كحلقة فيها لكانت كحلقة في درع، ولو وضعت الثالثة في الرابعة كذلك، والرابعة في الخامسة كذلك، والخامسة في السادسة كذلك، والسادسة في السابعة كذلك، والله يقول: {وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ}؛ هذا الكرسي. تصور أنت عن ماذا نتحدث؟!

أما العرش فقال ابن عباس: "والعرش لا يَقْدِرُه أحد"؛ مجرد الوصف لا يقدره أحد، وهذا العرش وهو سقف هذا الكون، وربنا –عز وجل– استوى على العرش يطَّلع على عباده، والله قادر أن يخلق مثل هذه الأكوان، ويخلق الجنة والنار وجميع المخلوقات.

---

[125] صححهُ الألباني في شرح الطحاوية.

تصور أن أرض المحشر التي تفنى بعد خروج الخلق منها، كل البشر منذ أن خلقهم الله مع من؟ {وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ}، مع الوحوش والملائكة والجن كلهم محشورون في الأرض، أرض جديدة لم يطأها إنسان قط، لم يُعمل عليها ذنب قط.

ومع ذلك يدخل الناس في النار، ما هذه النار؟ يكون عِظَم ضرس الكافر في جهنم بمقدار جبل أحد، تصور! ويُلقى إليها من البشر، يُلقى، يُلقى، يلقى... وتسأل فتقول: هل من مزيد؟ حتى يضع الرب قدمه فيها فيزوي بعضها إلى بعض حتى تقول: (قط قط)[126].

و"قط قط" على معنيين: إما على معنى يكفي، وإما أن الصوت الذي يخرج، كما أنك تضغط على الشيء فيخرج منه صوت لا معنى له، هذان تفسيران للعلماء.

أما الجنة فيدخلها الخلق ويُعطون هذه الأملاك، شجرة تأتي العنزة منذ أن تنزل من بطن أمها تطوف فيها وتموت قبل أن تصل إلى أصل جذعها. يأتي طائر أبقع يجري ألف سنة في شجرة واحدة لا يقطع ظلها! الله يسميه {مُلْكًا كَبِيرًا}.

يأخذون من هذا النعيم، ومع ذلك يبقى في الجنة موطن ليس له أصحاب فيُنشئ الله له خلقا آخر فيدخلون الجنة. هذا خلق الله، هذا نعيم الله، هذه عظمة الله، كن فيكون. تصوروا الجنة حصباؤها اللؤلؤ، هذا الحصب الحجارة فيها اللؤلؤ، التراب المسك الأذفر. تصوَّر يا عبد الله خيمة من لؤلؤة! تصوروا كم كبر الجنة، فيها كل العُبَّاد والعلماء والصالحين، وملك عظيم، {وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ}.

ولا تظنوا أن الإنسان تنقطع رغباته في الآخرة، يعني الآن لو سألوك ماذا تريد أنت؟ اطلب؟ تقول: أريد الكون كله، لا قليل، عشرة أمثاله، لا عشرين مثل! (لو كان لآبن ادم واديًا من ذهب لتمنى أن يكون له واديان)[127].

تصور أنه تنقطع آمال الإنسان فلا يبقى في ذهنه ما يتصوُّره، لأن التصور تَبَعٌ للمعرفة، يعني لا تستطيع أن تتمنى شيئًا لا تعرفه، فما الذي تطلبه؟ لباس، طعام، نساء، أموال.

---

[126] صحيح البخاري: (4569)، صحيح مسلم: (2846).
[127] صحيح البخاري: (6439).

فأنت تتخيل فتتمنى. هناك في الجنة ترى أمورًا تفتح على ذهنك وعقلك من الأمنيات فتتمنى وتتمنى، يقول الله {أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ}، هذا العطاء العظيم، قال الفردوس الأعلى: (فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر)[128].

الفردوس الأعلى تصور مكان الأنبياء، ماذا يكون ملك النبي محمد ﷺ؟! للشهداء فقط سبعين درجة خاصة في الجنة، وأهل الجنة يرون أهل الغرف كما ترى أنت في الدنيا النجم الغابر في السماء لعلو منزلتهم، (وإن أهل الجنة ليرون أهل الغُرَف في الجنة كما يُرى النجم الغابر في السماء)[129]. تصوَّر ما لمحمد ﷺ؟ ما لإبراهيم؟ ما لموسى؟ ما لنوح؟ ما لعيسى؟ ما للوط؟ ما لصالح؟ ما لهود؟ ما لهؤلاء الانبياء {وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ} وأولياء وصالحين وعباد؟!

ويخرج من النار كل من بقي في قلبه شعلة بسيطة من (لا إله إلا الله)، ثم الجنة بعد أن تتوزَّع هذه الممالك: {قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ}، {إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ}، قالوا: "يا رسول الله ﷺ أفي الجنة موت؟ قال: (لا، الموت أخو النوم)[130]، لماذا ينام؟ ينام لما يتعب، هنا النوم من أجل أن تستريح، هناك لماذا تستريح؟ ليس هناك تعب ولا نصب.

{إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ} جالسين الأنبياء يُسلِّمون على بعضهم البعض، المؤمنون يسلمون على بعضهم البعض، {وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ}، {دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}.

(إنَّ أَهْلَ الجنَّةِ يأكُلونَ فيها ويشرَبونَ . ولا يَتفُلونَ ولا يبولونَ ولا يتغوَّطونَ ولا يتمَخَّطونَ قالوا: فما بالُ الطَّعامِ ؟ قالَ: جُشاءٌ ورشحٌ كرشحِ المسكِ، يُلهَمونَ التَّسبيحَ والتَّحميدَ، كما يُلهَمونَ النَّفَسَ)[131]، لا ينشغلون عنه، يخرج منهم

---

[128] صحيح مسلم: (2825).
[129] صحيح البخاري: (6555)، صحيح مسلم: (2830).
[130] صححهُ الألباني في صحيح الجامع: (6808).
[131] صحيح مسلم: (2835).

طعامهم كرائحة المسك. ومن أجل أن تتنعَّم طولك في السماء ستون ذراعًا. ولا نريد أن نتحدث عن الحور العين لأنكم تعرفون القصة.

وهذا أبد الآباد، لا انقطاع، لا موت، حياة أبدية. فهذا كله يدلنا على قدرة الله وعلى عظمة الله، فيتجلَّى لهم فيرونه، أعظم نعيم في الجنة أنهم يرون الله، يرون الله يتجلَّى لهم وهم جلوس على المنابر، هذا منبر من لؤلؤ، هذا منبر من ذهب، هذا منبر من نور، ويتجلَّى لهم الله، قال: (ماذا تطلبون؟)، قالوا: "ألم تُبيِّض وجوهنا؟ ألم تُعطِنا..؟" قال: (اليوم أُحلُّ عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم أبداً)[132].

انظر بالله الذين يتركون هذا النعيم!، التجارة {هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (10) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} هذه حقيقة تجارة، ما رصيدك في النهاية؟ (ابنُ آدمَ مالي مالي وَهل لَكَ مِن مالِكَ إلَّا ما تصدَّقتَ فأمضيتَ أو أَكلتَ فأفنيتَ أو لبِستَ فأبليتَ)[133] هذه لك، الأكل محدود والشرب محدود والإنسان طاقته على التنعُّم في الدنيا محدودة.

سمعتم بالمليونير اللي مات محروقًا في شقته اليهودي اللبناني أظن اسمه (صفير)، هذا من مليارديرية هذا العصر، حسابه تقريبًا ما يعادل 15 مليار، تصور هذا ماذا لديه ومع ذلك كان قد أصيب بالاكتئاب، مُغلق على نفسه داخل غرفة، لا يزوره صديق ولا أي إنسان، ولا يسمح لأحد أن يكلِّمه، جالس في غرفته يضع يده على خده، فقط يدخل عليه طبيبه ويُعطيه حقنة، حتى ملَّ الطبيب منه ووضع له ممرضًا، والظاهر أن الممرض ملَّ منه أيضًا فأحرق قصره.

تصور هذا لو كان فقط يعلم أن هناك جنة ونارًا ودينًا يُبذل له وعطاءً، مثل الصحابة عقلاء؛ أي دنيا هذه؟! ما الأموال؟ ما النساء؟ ما الملك؟ هل نضيع أعمارنا على كلام فارغ؟!

هذا الحديث هو الذي نتحدَّث به عن عظمة الله وعن قدرة الله، الحديث ماذا في هذه الدنيا وماذا بعد هذه الدنيا؟ وهذا الخلق يدل على عظمة الخالق، {وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ}، أنت تصور (هذه القطعة) كم فيها من ذرَّات؟ الله يعلم الذرات، وهذه الذرات لم يخلقها الله وقال لها

---

[132] صحيح البخاري: (7518)، صحيح مسلم: (2829).

[133] صححهُ الألباني في صحيح الترمذي: (3354).

خلاص كوني أنتِ ذرة بلاستيك، وانتهت العلاقة بين هذا المخلوق وبين الله، ببقاء هذا المخلوق الله –عز وجل– دائم الخلق له بأن يكون بلاستيك، ودائم المراقبة له، وإعطائه له القوة بأن يبقى بلاستيك، لأنه لو سحب منه هذه الخاصية لانتهت علاقة هذا المخلوق، لذهب الشيء وانتهى. كيف يقوم الآن هذا البلاستيك؟ "قيوم السماوات والأرض"، من الذي يقيمها الآن وهي بيدي؟ من الذي يقيمها أن تبقى هكذا بلاستيكة؟ من الذي يقيمها الآن على هذا الشكل وعلى هذه الخاصية على هذا اللون؟ الله.

الذرات والإلكترونات بالداخل تتحرك بأمر الله، والأمر دائم لا يتوقف، والإحصاء كله في كتاب، تصور كل ذرة فيها محصاة في كتاب، العالم كله هل يستطيع أن يُحصي ذرات هذه؟ طيب لو أحصاها هل يستطيع أن يقوم عليها؟ قيوم أن تبقى قائمة به، لو لم يقم عليها ذهبت.

انظر البحار وما فيها من أجزاء وذرات، والأرض، أنت، الكون، لا إله إلا الله، يقول مولاكم ومولاي: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ}، (ما السماوات والأرض في كف الرحمن في يده إلا كخردلة في كف أحدكم)[134]، لا إله إلا الله، لا إله إلا الله.

الله –عز وجل– من سُنَّته أنه صبور، يسبُّونه ويُطعمهم، أين المسلمون أتباع محمد ﷺ؟ لو كان دينهم صحيحًا لأعزَّهم. تصوَّر يأتي لك شخص ويقول: "نعم الله خلقنا، ولكن ما دخله فينا؟ الله أعطانا الحياة وقال لنا أنتم لكم عقول تستطيعون أن تُديروها بأنفسكم؟" هكذا! الله يقول لهم هذا؟!

قال: "يا أخي هذا العقل لا مدى له!"، وما تزال هناك أسرار داخل عقله لا يعرفها هو! {وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ}، حتى نفسك، لا تعرف كيف هذه المشاعر تقوم، كيف الحب؟ كيف ينشأ البغض؟ كيف هذا يقوم بهذا الفعل؟ الطفل ما هو؟ كيف يشعر؟ كيف يحب؟ النوم لعلهم يحلُّون ألغازه! الرؤى المنامات؟ لماذا هذا يحب الأبيض وذاك يحب الأخضر؟ {وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ}؟!

لغز الموت كيف هذا؟ والله يا إخوة عجيب، هذا يموت وهو يراقب طعامه وشرابه ويُدقِّق في كل شيء، وواحد غافل عن طعامه وشرابه ويعيش، هذا السر {وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ} أنت آية.

[134] قال الشيخ سليمان بن عبد الله في كتاب (إبطال التنديد باختصار شرح كتاب التوحيد): "وهذا الإسناد في نقدي صحيح".

كيف خلقك بالله عليك؟

قالوا العالم جيد أن يكون من غير ذباب، قضوا على الذباب فخرج لهم مرض؛ وإذا الذباب كائن ضروري! قضوا على الفيلة ثم قالوا: أعيدوها، قضوا على بعض الحيوانات وإذا كل شيء بِقَدَر وبحكمة. فأنت فكر كيف تكون أحسن، ما دمت عاقلًا ما الذي ينقصك وتحتاج أن تُضيفه لنفسك زيادة؟ مثل اليوم يصنعون سيارة ثم يجدونها ناقصة فيضعوا لها زيادة، أنت ماذا ينقصك؟ {هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ}.

فيا أيها الأخوة الأحبة، الحياة قصيرة والزمن أنفاس معدودة {وَالْآَخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى}، الآخرة، الجنة، الموت رحلة ليس انتهاءً، رحلة قادمة لأفق جديد تعيشه.

فنسأله –سبحانه وتعالى– أن يرحمنا، وأن يتوب علينا، وأن يجعلنا من عباده. اللهم إنا عبيدك أبناء عبيدك، أبناء إمائك، نواصينا بيدك، ماضٍ فينا حُكمك، عدل علينا قضاؤك، لا إله إلا أنت. اللهم أحينا مسلمين وتوفَّنا مؤمنين وألحِقنا بالصالحين، يا رب، يا الله.

اللهم يا أرحم الراحمين رحمتك أوسع لنا من أعمالنا ومغفرتك أوسع لنا من ذنوبنا، لا إله إلا أنت.

اللهم أعتق رقابنا ورقاب آبائنا وأمهاتنا وأزواجنا وأولادنا وإخواننا من النار، واجعلنا من عتقائك في هذا الشهر الكريم، لا إله إلا الله.

اللهم لا تعذبنا بذنوبنا، اللهم لا تعاملنا بسوء قلوبنا ولا بسوء نوايانا يا رب، يا رب، لا إله إلا أنت، لا إله إلا أنت.

اللهم لا تُعذِّب لسانًا يُخبر عنك ولا تُعذِّب لسانًا يدل على سنة رسولك ﷺ يا رب.

لا إله إلا الله، لا إله إلا الله. والله ما قدروا الله حق قدره، لكنه الصَّبور يصبر عليهم، يُعطيهم ويسبونه، لا إله إلا الله له الكبرياء في السماوات والأرض. مسكين هذا الإنسان إنه كان ظلومًا جهولًا.

اللهم اغفر لنا، اللهم اغفر لنا، اللهم اغفر لنا.



سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.